
معالم
المنهج التفسيري
(أسسه وآلياته)
عند
آية الله العظمى
السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري
تأليف
كاظم عوده الأسدي

معالم المنهج التفسيري
عند السيد عبد الأعلى السبزواري



معالم المنهج التفسيري عند السيد عبد الأعلى السبزواري

(أُسسه وآلياته)

تأليف
كاظم عوده الأسدي

هوية الكتاب

اسم الكتاب .... معالم المنهج التفسيري عند السيد عبدالأعلى السبزواري

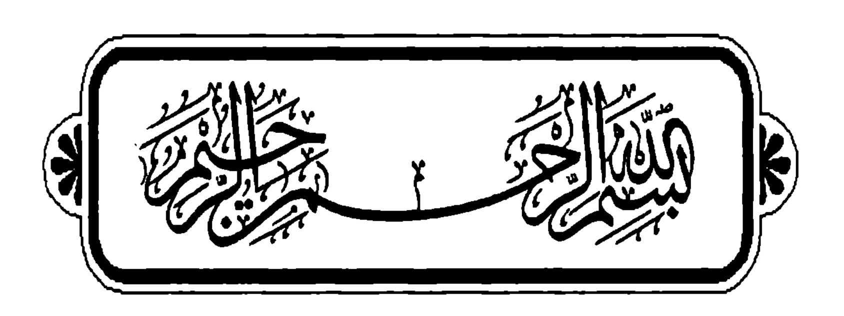
المؤلف .... كاظم عوده الأسدي

الناشر .... مؤسسة العهد الصادق

الإخراج الفني .... ولاء النجار

الطبعة .... الأولى ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

الكمية .... ٢٠٠٠ نسخة


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

الجميع يسخر ...

لكنك من شجعني ...

فإليك أهدي باكورة عملي ...

المُقَدِّمَة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيّدنا ونبيّنا حبيب إله العالمين أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين المعصومين، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

لقد جاء كتابنا يحمل عنوان المنهج التفسيري عند السيد السبزواري رحمه الله، وهو عبارة عن دراسة شاملة للمنهج التفسيري عند السيد عبد الأعلى السبزواري قدس سره في تفسيره القيِّم (مواهب الرحمن في تفسير القرآن)، الذي له الأهمية الكبرى في إغناء المكتبة الإسلامية والتفسيريّة بالخصوص، بتسليط الضوء على هذا الأثر المهم في حقل المعارف القرآنية، لأنّا رأينا من الواجب أن نعقد له دراسة تحليلية نتناول فيها جميع محطّاته وما يتعلّق به من مسائل فرعية.

واعتقد أنّ أهم الصعائب والإشكاليات التي واجهتنا خلال الكتابة هي السَّعة العلمية الخلاّقة التي احتواها تفسير مواهب الرحمن؛ فإنّ سعة اجتهاد السيد السبزواري ومنازلاته في نواحي الاستنباط، واطّلاعه الواسع على

المنطق الروائي، وغوره في البحوث الفلسفية والعرفانية والسلوكية، جعل هذا التفسير القيّم بعيد المنال وواسع الآفاق وكان الإلمام به كالمستحيل، لأنّ اختزاله البحوث وإشاراته الخاطفة إلى كثير من الرؤى التفسيرية، جعله واسع الطرق والبحوث، وبالتالي كان استلال مناهج واضحة وصريحة قريب من المحال، ولكّن العمل الدؤوب والمتواصل، وكذلك أنفاس السيد السبزواري أخذت بتقوية عزائمنا.

الجدير بالذكر أن السبزواري وفّق في تطبيق المنهج الذي اختطه لنفسه في مقدمة كتابه التفسيري، بحيث لم يخرج عمّا رسمه من أُسس في التفسير، وهو إذ يفيد من الروايات المأثورة في تفسيره، يتخذ من الظهور القرآني مستنداً وميزاناً للاستدلال به.

من الخصوصيات المميّزة لتفسير السيّد السبزواري أنّه ترجم المباحث القرآنية بصورة عملية في تفسيره للآية الكريمة، ولقد اعتمد السيد السبزواري المنهج الإشاري (العرفاني) في تفسيره، كما أنّه لا يقدم رأيه إلاّ بعد الدراسة الجادة للمسألة المبحوثة.

وتناول الكتاب قضايا قرآنية خلافية بين العلماء وأفصح عن رأي السيد في كل منها، وأمّا موقفه تجاه اختلاف الآراء والأقوال في مسألة ما، فيكشف عنه اعتماده على منهجه العام.

وكشفت الدراسة عن منهج السيدقُدِّسَ سِرُّهُوأساليبه في الرد على المخالفين ومناقشة ما جاءت به تفاسيرهم.

كما إن الكتاب أوضح أن السيد السبزواري استعان بموضوعات علوم القرآن في التفسير، ولكنه لم يكن قد ذكرها بشكل مستقل في مقدمة تفسيره، بل بثّها في ثنايا تفسيره.

لقد اخترنا الكتابة في مناهج التفسير وذلك لأهمية مثل هكذا بحث في فهم القرآن، ولمعرفة الضوابط الكلّية في التفسير الصحيح، واخترنا الكتابة في منهج السيد السبزواري بالخصوص لكونه منهجاً تفسيرياً صدر من عالم جليل الشأن من أبرز الأعلام المفسرين، الذين قضوا أعمارهم في فهم النص الديني والقرآني.

فأهمية الموضوع وضرورته تكمن في تسليط الضوء بصورة واضحة على المنهجية التفسيرية عند السيد السبزواري، وما امتاز به عن غيره من المفسرين، ولذا انبثقت لديّنا فكرة وضع دراسة منهجية لبيان حيثيات هذه الموضوع.

إنّ الدراسة في منهجية السيد السبزواري في التفسير لم يُتطرق لها بنحوٍ تفصيلي، نعم، هناك بعض الكتّاب تكلموا عنها بإيجاز عندما بحثوا المناهج، فقد قام الدكتور عبد الرؤوف عبد الغفور بدراسة منهج التفسير عند السيد السبزواري، والذي استفدنا منه كثيرا في دراسة طريقة السيد السبزواري في التفسير.

غير أنّنا في كتابنا هذا فصلنا المنهج بصورة أوسع شملت جميع النواحي، من حيث أُسلوبه وطريقته في التفسير، ومن حيث الخطوط التي

سار عليها السيد السبزواري قُدِّسَ سِرُّه في منهجه التفسيري، نعم، تبقى الرؤية التكاملية في الكتابات التي تتعقب هذه البحث حتى يستوفي الموضوع حقه.

لا نغالي إذا قلنا: إنّ الكتاب بمجموعه إثارات جديدة في المنهجية التفسيريّة عند السيد السبزواري، وإن أشبعت بعض البحوث في بعض المناهج التفسيريّة في الدراسات القرآنية، ولكن في الفصل الثاني والذي عقد تحت عنوان «أُسلوبه وطريقته في التفسير»، سوف نجد الشيء الكثير من الجديد في هذه البحوث، وكذا في الفصل الثالث والذي مثّل عصب البحث حيث عُقد لبيان الخطوط التفصيلية في منهجية السيد السبزواري في تفسير مواهب الرحمن.

نظراً لأهمية البحث الذي تناولناه والذي يتسم بالكشف عن أبرز ما امتاز به المنهج التفسيري عند السيد السبزواري، فقد اعتمدنا على جمع المواد العلمية والشواهد التفسيريّة التي توخّت المنهج التفسيري، وذلك باستقراء جميع الكتاب وإخراج عيِّنات تفسيريّة امتاز بها هذا التفسير، وكذلك لم أحد عن الاستفادة من المصادر المهمة التي عليها المعيار في سبك وتقييم هذه النظرية، وأخذت أو طرحت بعض الأفكار مؤيّداً ذلك بالدليل والبرهان القاطع.

كاظم عوده الأسدي

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

الفصل الأول

بحوث تمهيدية

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: نبذة عن حياة السيد السبزواري
- المبحث الثاني: عرض حول مناهج التفسير وتاريخ نشوئها
- المبحث الثالث: تقييم موجز لتفسير المواهب وموقعه في المكتبة القرآنية

المبحث الأول

نبذة عن حياة السيد السبزواري

وفيه خمسة نقاط:

النقطة الأولى: اسمه ونشأته:

أ- نسبه الشريف:

ينحدر نسب السيّد السبزواري رحمه الله من أُسرة علمية عريقة الأصل، فهو السيد عبد الأعلى خلف العلاّمة المقدس السيد علي رضا، نجل السيد عبد العلي بن السيد عبد الغني بن السيد محمّد بن السيد حسين بن السيد محمّد بن السيد علي بن مسعود بن إبراهيم بن حسن بن شرف الدين بن أحمد بن علي بن محمّد (أبو الغنائم) بن (أبو الفتح) الأخرس بن أبي محمّد إبراهيم بن أبي القيثان بن عبد بن الحسن بركة بن أبي الحسن معصوم بن أبي الحسن بن أبي الطيب احمد بن موسى بن جعفر بن محمّد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[1].

---

(١) انظر: صفحات مشرقة من حياة السيد السبزواري: ١٦، عمدة الطالب في انساب آل أبي طالب: ١٩٧، المشجَّر الوافي في السلسلة الموسوية ١: ١٤٧.

نسبٌ كأنَّ عليهِ مِنْ شمسِ الضُّحى نـوراً وَمِـنْ فَلَـقِ الـصَّباحِ عَمـودا

ب ـ ولادته:

ولد السيد السبزواريقُدِّسَ سِرُّهُ في مدينة (سبزوار)، التي خرج منها كثير من فطاحل العلماء، وغذّت أبناءها طعم الولاء ومودة الأوصياء، التي كانت ولازالت المدينة الشيعية العريقة بالولاء لأهل البيتعليهم السلام.

وهي مدينة تقع في الشمال الشرقي من إيران في ولاية خراسان وتقع إلى الغرب من (نيسابور)(١).

ولدرحمه الله،يوم الولاية الكبرى، يوم عيد الغدير الأغر، الموافق للثامن عشر من شهر ذي الحجّة الحرام سنة ١٣٢٨هـ(٢).

ج ـ أُسرته:

ينتمي السيد السبزواري إلى أُسرة علمية عريقة، حفلت بالكثير من رجالات العلم وكبار المفكرين، حتّى قيل: «إنّ هذه الأُسرة الشريفة لا يمر بها عصر من العصور إلا وفيها أحد رجالات العلم المجتهدين»(٣).

والده: هو سماحة العلاّمة الزاهد الورع التقي السيد علي رضا الموسوي السبزواري قُدِّسَ سِرُّهُ،كان من أكابر علماء (سبزوار) المشهورين بالورع والتقوى.

---

(١) انظر: جذوة مقتبسة من حياة المرجع الديني السيد السبزواري: ١٢.

(٢) انظر: صفحات مشرقة من حياة السيد السبزواري: ١٦، الذريعة إلى تصانيف الشيعة ١٨: ٢٨١، ألطاف الباري: ١٠.

(٣) انظر: صفحات مشرقة من حياة السيد السبزواري: ١٧.

وعمّه: هو سماحة العلاّمة الكبير والخطيب الشهير السيد عبد الله الموسوي السبزواري المعروف بـ(البرهان)، وصفه الأميني في معجمه بأنّه: «عالم جليل، فاضل خطيب، متكلّم متبحّر، مؤلّف بارع، من أعلام المنبر والخطابة»[(١)].

وله أخ عالم مجتهد هو سماحة العلاّمة المجتهد آية الله السيد فخر الدين الموسوي السبزواري، المتوفى سنة ١٤٠٢هـ.

وهكذا نشأ السيد السبزواري وترعرع بين نفحات هذه الأُسرة العلمية ومواهبها، وأحضان الفضيلة والطهر، والقداسة، حتّى اخضرّ عوده واشتدّ ساعداه، وهو ينهل من أكناف تلك الحضرة الطاهرة، فكان نبراساً وضاءاً ومثالاً حياً لأعلام أسرته المباركة.

د ـ زواجه:

تزوج السيدقُدِّسَ سِرُّهُبزوجة واحدة تنتمي في نسبها الشريف إلى أُسرة علمية معروفة، وهي أُسرة آل المدرِّسي، فأخوها هو سماحة العلاّمة المرحوم السيد كاظم المدرِّسي[(٢)].

وكانت من النساء الفاضلات الأديبات[(٣)]، وقد رزقه الله تعالى منها أربعة بدور، ثلاثة ذكور وبنتاً واحدة تزوجها فيما بعد صاحب الفضيلة السيد حسين

---

(١) انظر: معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ٢٤٠.

(٢) هو والد كلٍّ من السيّدين الفاضلين سماحة السيد محمّد تقي المدرسي وأخيه السيد هادي المدرسي حفظهما الله تعالى.

(٣) انظر:صفحات مشرقة من حياة السيد السبزواري: ١٨.

العلي الشاهرودي، سبط المرجع الديني السيد محمود الشاهرودي قدس سره.

أما الثلاثة الأفذاذ من الذكور فهم:

١ـ السيد محمّد السبزواري

٢ـ العلاّمة الحجّة السيد علي السبزواري

٣ـ الفاضل السيد حسين السبزواري

النقطة الثانية: سيرته العلمية

أ ـ دراسته:

لم يخلد السيِّد السبزواري إلى الدعة والراحة والسكون في حياته، بل كان مجداً في طلب العلم حتّى برز في سماء العلم كأفضل عَلم ومجتهد، بدأ مسيرته العلمية ودراسته الحوزوية وهو في مقتبل العمر، فتلقى بعض العلوم والمعارف على يد سماحة والده العالم الجليل، وعنده أنهى مرحلة المقدمات وهو دون العاشرة من عمره، وبعدها أخذه والده إلى الحوزة العلمية في مشهد الإمام الرضا عليه السلام، فحضر دروس علمائها في الفقه والأُصول والعرفان والتفسير والفلسفة.

وفي ذلك يقول السيّد السبزواري: «جاء بي والدي إلى حرم الإمام الرضا عليه السلام، ووضع يدي على ضريحه مخاطباً الإمام: هذا وديعة وأمانة عندك، وآمل أن أراه مرجعاً من المراجع، وكان عمري آنذاك ثماني سنوات»[1].

(١) المصدر السابق: ٧٢.

وبعد أن أنهى مرحلة السطوح العالية هاجر إلى مدينة النجف الأشرف حيث مرقد باب مدينة علم الرسولﷺ، فدرس على يد أكابر علمائها وفطاحل فقهائها فقهاً وأُصولاً حتّى أُجيز بالاجتهاد وعمره الشريف لم يتجاوز الثانية والعشرين[١].

ومن مظاهر العناية الإلهية بالسيّد السبزواري أنّ الله سبحانه قد يسّر له أساتذة أكفّاء نهل من علومهم، واغترف من حوض كوثرهم، فحصل على عصارة أفكارهم وخلاصة آرائهم، ومن المناسب أن نقسم البحث في أساتذته إلى قسمين:

القسم الأول: أساتذته في خراسان

كانت خراسان تتمتع بحوزة علمية عريقة، وقد برز فيها أساتذة وعلماء كبار كان كل منهم عبقريّ زمانه، وقد استفاد السيد السبزواري من هؤلاء الأفذاذ الّذين نأتي على بعضهم:

١ـ الأديب النيسابوري الأولقدس سره، قرأ عليه العلوم الأدبية، وقد ترك أثراً واضحاً على السيد السبزواري.

وفي هذا الصدد يقول سماحة السيد علي السبزواري: «كان النيسابوري ثاقب البصر حاد الذكاء، بارعاً في علوم اللُّغة العربية، وبالأخص منها التي أخذت مأخذها في فكر السيد الراحلقدس سره»[٢].

---

(١) انظر: صفحات مشرقة من حياة السيد السبزواري: ٧٢.

(٢) مضمون حديث جرى في لقاء خاص مع السيد علي السبزواري في النجف الأشرف.

٢ـ آية الله الشيخ محمّد حسن البرسيقُدِّسَ سِرُّه، قرأ عليه الفقه والأُصول.

٣ـ الحكيم السيد محمد العصّارقُدِّسَ سِرُّه، قرأ عليه الحكمة والفلسفة.

٤ـ آية الله الشيخ حسن علي الأصفهانيقُدِّسَ سِرُّه، قرأ عليه علوم القرآن وعلم العرفان(١).

القسم الثاني: أساتذته في النجف الاشرف

بعد قدوم السيد السبزواري إلى مدينة النجف الأشرف، ومواصلته مسيرة العلم، تنوعت مواهبه العلمية بتنوع اختصاصاته وتعدد مناهله، فحضر على جمع من أساطين العلم وأساتذة الحوزة العلمية الشريفة الذين كان لهم الروح الأعظم في الحوزة العلمية.

أولاً: أساتذته في الفقه والأُصول

يعتبر الفقه والأُصول قمّة الهرم في الدراسات الحوزوية، وعليهما تقام الشريعة المقدسة، وهما المدار الرئيسي في الحوزة العلمية في النجف الاشرف، وقد تضلع السيد السبزواري في الفقه ونال الدرجة العالية في تنقيح المباحث، ويشهد له حضوره عند جهابذة هذا الفن، وبالتالي ما كتبه في الفقه الاستدلالي المفصّل، وكذا الأُصول، ومن أبرز أساتذة السيّد السبزواري في هذين العلمين:

١ـ آية الله العظمى الشيخ أبو الحسن المشكينيقُدِّسَ سِرُّه:

(١) انظر: جذوة مقتبسة من حياة المرجع الديني السيد السبزواري: ١٤.

وهو فقيه أصولي، عالم متضلّع، شيخ جليل، مجتهد فاضل من أساتذة الفقه والأُصول، من تلامذة المولى الخراساني قدس سره صاحب الكفاية، عرف بالهدوء، والسكينة والتحقيق في العلم، له من المؤلفات: حاشية العروة الوثقى، وحاشية كفاية الأُصول وغيرهما[1].

٢ـ آية الله العظمى الميرزا محمّد حسين النائيني قدس سره:

وهو من كبار شيوخ الفقه والأُصول، ومن أعاظم علماء الشيعة ومن أكابر المحققين، فقيه أصولي، صاحب تحقيق وتدقيق، يتميز النائيني بمدرسته التكاملية في أصول الفقه التي تجمع بين المنهجين العقلي والنقلي[2]، وفي ذلك يقول الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي: «وأي مجتهد يقال له من تلامذة الميرزا النائيني فهذه تعني إشارة تقدير واحترام لعلمه، والسيد السبزواري فيما يبدو لي أنه آخر تلامذة الميرزا النائيني»[3].

٣ـ آية الله العظمى أقا ضياء العراقي قدس سره:

مجتهد من أكابر فقهاء العصر ومراجع التقليد وأساطين الفقه والأُصول والتربية والأخلاق، وقد برع في الأُصول حتّى تخصّص فيه وأبدع،له مؤلفات عديدة في الفقه والأُصول.

---

(١) انظر: صفحات مشرقة من حياة السيد السبزواري: ٧٦، معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ٤١٤.

(٢) معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ٤٣٥.

(٣) صفحات مشرقة من حياة السيد السبزواري: ١٦٢.

٤ـ آية الله العظمى الشيخ محمّد حسين الأصفهاني قدس سره:

من أعاظم الفقهاء وكبار المجتهدين وإجلاّء الفلاسفة والمتألهين، حكيم متبحر، شاعر مبدع في اللُّغتين العربية والفارسية، وله مؤلفات كثيرة في الفقه والأُصول والفلسفة، ومنظومة في رثاء أهل البيت عليهم السلام، وأُخرى ضاهت منظومة السبزواري قدس سره في الفلسفة.

٥ـ سماحة آية الله العظمى السيد أبو الحسن الأصفهاني قدس سره:

فقيه أصولي وعالم كبير، وشخصية فذة، وعبقرية نادرة، استقل بالرئاسة الدينية والمرجعية الكبرى، وطبقت شهرته الآفاق، وأصبح مفتي الشيعة في الأقطار الإسلامية كافة من غير منازع[1].

ثانياً: أساتذته في الحكمة والفلسفة

وهناك عدة بحوث حكمية وفلسفية تضمنه كتاب مواهب الرحمن اعربت عن دقته في البحوث الفلسفية وقد حضر على جهابذة هذه البحوث منهم:

١ـ آية الله العظمى السيد حسين اللاهيجي البادكوبي قدس سره.

من أساتذة الفقه والأُصول والحكمة والعلوم العقلية، اشتهر بالفلسفة والعلوم العقلية والمهارة والتحقيق ومن أساتذة الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة.

٢ـ آية الله العظمى الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء قدس سره.

من أعلام الطائفة وزعمائها، ومنابع الأدب والفقه والأُصول والحكمة

(١) انظر: المصدر السابق: ٧٨.

والعرفان، وأئمة القريض والفصاحة والبيان، برع في التأليف والتحقيق وأسهم في القيام بمعارضة الاحتلال الإنكليزي[١].

ثالثاً: أساتذته في علوم القرآن

كان القرآن الكريم محوراً مهماً في حياة السيد السبزواري قدس سره، وقد كتب هذا السفر الجليل في القرآن الكريم«مواهب الرحمن»، ولابد أنّه تأثر بأساتذة ذاقوا رحيق القرآن منهم:

سماحة آية الله العظمى الشيخ محمّد جواد البلاغي قدس سره الذي أثّر في ذهنيّة السيّد السبزواري في فهم النص القرآني وتبيين معانيه.

فالبلاغي، فقيه كبير، مجتهد وعالم غزير، وعابد زاهد وناسك ورع، ومؤلف خبير، متضلّع في العقائد، وكان شاعراً مجيداً وأديباً بارعاً، خدم العالم الإسلامي بقلمه السيّال[٢]. ويعتبر تفسيره «آلاء الرحمن»من التفاسير المهمة في حقل القرآن الكريم[٣].

(١) انظر: معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ٣٦٥.

(٢) انظر: صفحات مشرقة من حياة السيد السبزواري: ٢٧٢.

(٣) من لطيف المصادفة أن تعاجل المنية الشيخ البلاغي قبل أن يكمل تفسيره (آلاء الرحمن)، إذ لم يصل بالتفسير إلّا إلى الآية السابع والخمسين من سورة النساء مع مقدمة في التفسير،وهو مطبوع في جزأين ،كما عاجلت تلميذه فيما بعد، إذ لم يتجاوز السيد السبزواري قدس سره تفسير سورة الأنعام، ولكن في أربعة عشر جزءاً ،ينظر: معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف: ٢٧٢.

رابعاً: أساتذته في السير والسلوك و علم العرفان

نشهد معالم السير والسلوك والعرفان في كثير من بحوث مواهب الرحمن، بل كأنه من أصحاب الاختصاص في هذا المجال، ولا عجب فقد حضر على أبرز الأساتذة في هذا العلم الجليل، وهو سماحة آية الله العظمى السيد علي القاضي الطباطبائي التبريزي قُدِّسَ سِرُّهُ، وكان مجتهداً جليلاً، مفسراً فقيهاً، محدّثاً أخلاقياً، وكان من رجالات الأخلاق وتهذيب النفس.

ب ـ تلامذته:

لقد خرّجت مدرسة السيّد السبزواري على مدى خمسة عقود متوالية كوكبة من كبار الفقهاء والمجتهدين والفضلاء والمحقّقين الذين أخذوا على عاتقهم مواصلة المسيرة الفكرية، والدرب الحافل بالبذل والعطاء والتضحية لخدمة الدين الحنيف، وإعلاء كلمة الله في أرضه، ومنهم:

١ـ آية الله العظمى الشيخ محمّد علي التوحيدي التبريزي: مجتهد فاضل، وعالم محقق من أساتذة الفقه والأُصول، له من المصنفات مصباح الفقاهة(تقرير بحث آية الله العظمى السيد الخوئي في سبعة أجزاء)، وحاشية الكفاية، وغير ذلك.

٢ـ آية الله الشيخ محمد صادق النجفي السعيدي: عالم فاضل، مجتهد متّبع محقّق، من مؤلفاته (تقريرات أبحاث السيد الخوئي في الفقه والأُصول).

٣ـ العلاّمة الحجّة السيد محمد كلانتر: عالم فاضل ومؤلف خبير،

تولّى عمادة جامعة النجف الأشرف الدينية، من مؤلفاته: شرح الكفاية، دراسات في أصول الفقه (في ثلاثة أجزاء) وغير ذلك.

٤ـ العلاّمة الحجّة الشيخ نور الدين الواعظي: من العلماء الأجلاّء ورعٌ صالحٌ خيِّرٌ، من مؤلفاته (حرمة الغناء، وحكم الأواني).

٥ـ العلاّمة الحجّة السيد عبد العزيز الطباطبائي: عالم فاضل، بحّاثة محقّق من أعلام المتتبّعين والمحقّقين، ومن أهل الورع والتقوى، من مؤلفاته: (الغدير في التراث الإسلامي، أضواء على الذريعة)[١].

ومن تلاميذه أيضاً مقتصرين على أسمائهم فقط:

آية الله الشيخ محمّد أصف المحسني.

العلاّمة الحجّة السيد جمال الدين الاسترآبادي.

العلاّمة والحجّة السيد محمّد الموسوي.

العلاّمة الحجّة السيد إبراهيم الزنجاني.

العلاّمة الحجّة السيد محمّد السبزواري.

وغير هؤلاء الكثير من العلماء الأفاضل الذين تتلمذوا على يد السيد السبزواري ونهلوا من عذب عطائه الفكري، وفرات علمه الذي لم تقيده الحدود[٢].

---

(١) لمزيد من الاطلاع على حياة السيّد السبزواري وعطائه العلمي، انظر: صفحات مشرقة، جمال السالكين، ومعجم رجال الفكر والأدب وغير ذلك.

(٢) جمال السالكين: ٢٠ـ٢١.

ج ـ مؤلفاته وآثاره العلمية:

كان السيّد السبزواري يتمتع بفكر ثاقب وعبقرية نادرة وعلمية واسعة، فالحديث عن مؤلفاته حديث عن الفقه في قمة حركته التطورية، وحديث عن علم الأُصول في صياغته الحديثة، وحديث عن التفسير في منهجيته العرفانية، وحديث عن الفلسفة بين الأصالة والتجديد[(١)].

فالأُفق الواسع والفكر الشمولي الموسوعي اللّذان كان يتمتع بهما السيّد السبزواري انعكسا بشكل واضح على سلسلة مؤلفاته المتعددة والمتنوعة، وقد صنفنا مؤلفاته والحديث عنها بحسب الموضوعات والحقول المعرفية، وهي كالآتي:

١ . الفقه

أ ـ مهذَّب الأحكام في بيان الحلال والحرام:

وهو فقه استدلالي مستخرج من الأخبار[(٢)]، حمل في طياته أروع الاستنتاجات الفقهية المعمّقة والاجتهادية، يقع في ثلاثين مجلّداً، وقد طبع في النجف الأشرف ولبنان وقم المقدسة.

ب ـ تعليقة على كتاب(جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام)

تقع في ثلاثة وأربعين مجلّداً، المعدّ منها حالياً للطبع باب النكاح في أربعة مجلّدات، والبقيّة قيد الإشراف والتحقيق.

---

(١) انظر: صفحات مشرقة من حياة السيد السبزواري: ٩١.

(٢) انظر: الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٢١: ٢٨٥.

ج. تعليقة على كتاب (الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة)

ويعتبر كتاب الحدائق الناضرة للشيخ يوسف البحراني رحمه الله من أدق الموسوعات الفقهية الاستدلالية عند الشيعة الإماميّة، ويقع الحدائق في خمسة وعشرين مجلداً، ولم تطبع هذه التعليقة.

د. جامع الأحكام الشرعية، وهو عبارة عن رسالته العملية وتقع في مجلد واحد.

هـ. تعليقة على (منهاج الصالحين) للسيد محسن الحكيم رحمه الله تقع في مجلدين.

و. مناسك الحج.

ز. أحكام العدد في الوطء المحرَّم.

٢ . الحكمة والكلام

أ. تعليقة على كتاب (الحكمة المتعالية).

والمعروف بالأسفار الأربعة لصدر المتألهين الشيرازي قدس سره المعروف بالملاّ صدرا[1]، وقد كتب السيّد السبزواري هذه التعليقة في مرحلة تدريسه لهذا الكتاب الفلسفي، الذي يعد من أوسع الكتب الفلسفية.

ب. إفاضة الباري في نقض ما كتبه الحكيم السبزواري

كتب السيّد السبزواري هذا الكتاب لنقض بعض المباني الفلسفية التي أسّسها الفيلسوف المولى هادي السبزواري قدس سره.

---

(١) هو المولى محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي المعروف بصدر المتألهين، (ت: ١٠٥٠ هـ).

٣ . الأُصول

تهذيب الأُصول: دورة أُصولية كاملة تقع في مجلّدين، سّماه السيد السبزواري قُدّسَ سِرُّه بـ(تهذيب الأُصول)، هذّب فيه البحوث المتطاولة والآراء المعقّدة، وبسّط فيه القول على أحسن وجه، وفي ذلك يقول الشيخ الدكتور عبد الهادي الفضلي: «لو كان لدينا جامعات ولدينا دراسات جامعية للماجستير والدكتوراه، لكان كتاب تهذيب الأُصول من أوائل وأهمّ الكتب التي تدرس ككتاب أسهم إسهاماً جديداً في طرح فكرة تطوير أُصول الفقه»[١].

٤ . التفسير

مواهب الرحمن في تفسير القرآن: وهو محطّ بحثنا في دراستنا هذه، وسيأتي الكلام عليه لاحقاً - إن شاء الله- في وصفه وتبيان معالمه وأُصوله ومنهجه.

النقطة الثالثة: سيرته العملية

أ ـ عبادته:

إن العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء أخلص الناس عبادة لله ، قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[٢]، ومن ثَمّ فإن العلماء العاملين

(١) صفحات مشرقة من حياة السيد السبزواري: ١٦٥.

(٢) سورة فاطر: ٢٨.

كانوا أخلص الناس عبادة لله بعد الأنبياء والأوصياء، لأنهم حجج الله على الأنام والإمام حجة الله علينا وعليهم[1].

ولقد شهد كلّ من عرف السيد السبزواري بكثرة تعبده لله تعالى، وتهجُّده آناء الليل وتنفله أطراف النهار، وفي ذلك يقول السيد عبد الستار الحسني: «واشتهر عنه أنه كان كثير العبادة ملازماً لذكر مولاه مراقباً لنفسه، لا يفتر لسانه عن التسبيح والاستغفار وسائر الأذكار، حتّى أنه لم يترك نوافل الظهرين مع إقامته للجماعة»[2].

ولا بأس بالحديث عن الجانب العبادي عند السيّد السبزواري قدس سره من خلال الإشارة إلى بعض السمات التي تجلت في ثنايا سلوكه وهي:

١ . حُبُّه للصلاة:

لقد كان السيّد السبزواري قدس سره عاشقاً للصلاة، فهي قرّة عينه ومعراجه إلى الله تعالى، كما كان جدّه النبي صلى الله عليه وآله، فقد كان يتفانى في حبِّه للصلاة، وكان قدس سره مواظباً على صلاة جعفر الطيار عليه السلام[3]، وأمّا صلاته في أثناء الليل

(١) انظر: الاحتجاج ٢: ٤٧٠.

(٢) جمال السالكين: ٤٥.

(٣) في مدرسة المولى حسين قلي الهمداني قدس سره وتلامذته، منهم السيِّد علي القاضي الطباطبائي قدس سره. لهذه الصلاة أهمية كبرى في بعض الأربعينيات السلوكية التي يعطونها لتلامذتهم، ولذلك نشهد هذه الشعيرة عند السيّد السبزواري فلا تستغرب.

فكان له فيها شأن آخر لأنّه رأى فيها محلاًّ لعناية الله تعالى وألطافه الخفية[١].

قال قدس سره: « الصلاة أجمل محبوب؛ إذ بها تفتح أبواب الغيوب، وبها تطمئن القلوب، وبها ترفع الدرجات وتتسع فيها ميادين الأسرار، وبها تزال الحجب والأستار، وبها تصفو المحبة من كدر الجفاء، ويتصل المحبُّ مع حبيبه في محل الصفا »[٢]، هكذا كانت رؤيته إلى الصلاة وتعظيم قدرها ومنزلتها.

٢ . تلاوة القرآن الكريم وتفسيره:

كان السيد السبزواري قدس سره مرتبطاً دائماً بالقرآن الكريم، لأنّه كان يراه مأدبة الله تعالى في الأرض، وأنّ الله تعالى تجلّى لخلقه في كلامه، وقد عاش معه في كلّ أوقاته، وكان يختمه في كلّ شهر ثلاث مرات، أمّا في شهر رمضان المبارك فقد كان يختمه عشر مرات، ويوصي بقراءته ولو بمقدار دقيقة واحدة بحيث لا يعدُّ المسلم تاركاً له[٣].

وهكذا في تفسير القرآن الكريم « مواهب الرحمن في تفسير القرآن» خير شاهد على مثابرته لفهم النص الإلهي، وليبقى شاهداً لنا على مدى علاقته بالقرآن الكريم تلاوةً وتدبراً وعملاً.

---

(١) جمال السالكين: ٤٨.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٩: ٣٥٧.

(٣) جمال السالكين: ٤٩ـ٥٠.

٣. الدعاء:

كان السيد السبزواري رحمه الله دؤوباً على قراءة الأدعية والمناجاة، وخصوصاً أدعية زبور آل محمّد (الصحيفة السجّادية) التي كانت تلازمه في الأوقات جميعها، ولشدّة عشقه للدعاء فقد جمع جملة من الأدعية في محفظته الخاصة يحملها معه في حلّه وترحاله، فيقرؤها متى ما سنحت له الفرصة بذلك[1].

٤. التفاني في الولاء:

وكان السيد السبزواري قدس سره محباً لأهل بيت النبوة الأئمة الهادين المهديين عليهم السلام، متفانياً في ولائهم، وإذا أقبل شهر محرّم الحرام بأحزانه ومآسيه تجلبب بالسواد حتّى إطلالة شهر ربيع الأول[2].

وقد مشى سيراً على قدميه عندما كان عمره عشرين عاماً ـ تقريباً ـ من مشهد الإمام الرضا عليه السلام إلى مرقد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وهكذا مشى عدة مرات من النجف الأشرف إلى كربلاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام[3].

وممّا يعكس مدى علاقته بالمعصومين عليهم السلام، كلامه المذكور في كتاب «مواهب الرحمن»، وممّا جاء فيه: «ولا ريب في أنّ لسيّد الأنبياء عليه السلام أرفع الدرجات على سائر المرسلين عليهم السلام، لما ورد عنه صلى الله عليه وآله: «آدم ومن دونه

(١) المصدر السابق: ٥٠ـ٥١.

(٢) صفحات مشرقة من حياة السيد السبزواري: ٢٣.

(٣) جذوة مقتبسة: ٢٢

تحت لوائي يوم القيامة: وفي الدُّنيا أيضاً، يكون العلّة الغائية للخليقة مطلقاً، وقد ثبت في محلّه أنّ العلّة الغائية علّة فاعلية بوجودها العلمي،وغائية بوجودها الخارجي»[١].

٥ـ المداومة على الطهارة:

كان السيد السبزواري قدس سره يحرص على الجمع بين الطهارتين (البدنية والروحية)، فقد كان مداوماً على الطهارة مطلقاً - الوضوء والأغسال لمستحبّة- في الأوقات كلّها[٢]، لأنه قدس سره كان يرى في الطهارة نوراً على نور، كما قال الإمام الصادق عليه السلام:«الوضوء على الوضوء نور على نور»[٣].

ب ـ أخلاقه:

يمكننا القول هنا: إننا سنستوقد ضياء السبزواري قدس سره الروحي مسترشدين به ظلام سلوكنا بالإلماحة إلى نزر من نور سيره وسلوكه، إذ كان رحمه الله في أخلاقه وسجاياه مثالاً ناصعاً ومصداقاً بارزاً للأخلاق المحمدية والشمائل العلوية والخصائص الفاطمية على صعيديها (النظري والعملي).

فمدرسته الأخلاقية على مستواها النظري يمكن أن نستكن بإطلالة سريعة على بحوثه الأخلاقية المبثوثة في أثناء تفسيره القيِّم (مواهب الرحمن في تفسير القرآن).

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ١٨٦.

(٢) جمال السالكين: ٥٣.

(٣) مهذب الأحكام ٢: ٢٨٠.

أمّا على مستواها العملي، فيمكننا إبراز أنوارها بكشف النقاب عن شيء من أضواء سيرته الحميدة وحياته المليئة بمكارم الأخلاق:

١. الجانب النظري :

للوقوف على أبعاد هذا الجانب عند السيد السبزواري، يحسن بنا أن نستعرضه من خلال قناتين:

القناة الأُولى: تعريف علم الأخلاق عند السبزواري.

القناة الثانية: المذهب الأخلاقي عند السبزواري.

تعريف علم الأخلاق:

تعدَّدت التعريفات النظرية لعلم الأخلاق كحالة طبيعية لتعدُّد المذاهب الأخلاقية، فمنهم من عرفه أنه: العلم الباحث في الاستعمال الواجب لحرية الإنسان ابتغاء بلوغه غايته النهائية[١].

ومنهم من عرَّفه أنه: الفن الباحث عن الملكات الإنسانية المتعلّقة بقواه النباتية والحيوانية والإنسانية ليميز الفضائل منها عن الرذائل، ليستكمل الإنسان بالتحلّي والاتّصاف بها سعادته العلمية، فيصدر عنه من الأفعال ما يجلب الحمد العام والثناء الجميل[٢]، وغير ذلك من التعاريف.

أمّا السيد السبزواري قدس سره فإنّه عرفه تعريفاً علمياً يتناسب مع مبادئ

(١) صفحات مشرقة من حياة السيد السبزواري: ٢٩.

(٢) مقدمة في علم الأخلاق: ٣٨.

الأخلاق في النهج المحمدي القويم، فقال قُدِّسَ سِرُّه:علم الأخلاق: هو العلم الذي يبحث عن كيفية المحافظة على الحد الأوسط ـ الذي هو الفضيلة ـ والاجتناب عن طرفي الإفراط والتفريط اللذين هما الرذائل؛ لتصدر منه أفعال يصل بها إلى السعادة المرجّوة [١].

مذهبه الأخلاقي:

يختلف العلماء والباحثون في تقسيم المذاهب الأخلاقية المتعددة، والسبب في ذلك:

أن طائفة منهم ربطت المذاهب الأخلاقية بالمذاهب الفلسفية من واقعية وتجريبية ومثالية وغير ذلك.

وطائفة أُخرى أرجعت الاختلاف بعينه إلى الاختلاف في الغاية، وإنها المنفعة سواء أكانت فردية أم اجتماعية.

وطائفة ثالثة ذهبت إلى أن المناط هو الوجدان والزهد[٢].

وعلى هذا الأساس يمكن تقسيم المذاهب الأخلاقية إلى ثلاثة أقسام[٣]:

أ- **الاتجاه العقلي:** لأنّ العقل هو الذي يحدد الغاية في حياتنا، وأصحابه يعترفون بأُصول مسلَّمة كـ(حسن العدل وقبح الظلم). ويشمل هذا الاتجاه المذهب الحسّي والواقعي والمثالي، وبعض المذاهب اليونانية القديمة.

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢: ٤٠٧

(٢) انظر: فلسفة الأخلاق: ٥٠

(٣) كما هو في تفسير مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢: ٤٠٠.

ب- **الاتجاه المادي**: وهو الذي يرفض كلّ القيم الإنسانية المسبقة التي تحدد للإنسان سلوكه، بل يعد الجانب المادي ذا أثرٍ كبيرٍ في سلوك الإنسان، ونخلص إلى أن هذا الإتجاه على اختلاف مذاهبه يتوجه إلى آثار الأفعال ونتائجها.

ج- **الاتجاه الصوفي**: وفي هذا الاتجاه يتنكر الإنسان للمادة في جميع مظاهرها، ويرى أصحاب هذا الاتجاه أن السعادة في الابتعاد عما يشغل ذهن الإنسان عن التفكر والتكامل، وفي هذا الاتجاه تعدُّ المحبّة أصلاً لكل خير.

فبعد أن انتهى السيد السبزواري قدس سره من هذا التصنيف الثلاثي للمذاهب الأخلاقية عقّب قائلاً: «هذه هي الاتجاهات الأساسية للمذاهب الأخلاقية المتعددة، وهي جميعها قد أخفقت في حل المشكلات الخلقية للإنسان، سواء أكانت منها الفردية أم الاجتماعية، ولم تصل بالفرد إلى ما يصبو إليه من السعادة والكمال»[(١)].

فالسيد السبزواري قدس سره قد يطرح رؤية خاصة به، لأنه يرى أن هذه الاتجاهات لا تتلاءم مع الواقع العملي في حياة الإنسان، وأن المبدأ الأخلاقي الذي يتناسب مع الروح الفطرية في حياة الإنسان ولا يتنافى مع المبادئ الغريزية هو المبدأ الأخلاقي الذي يقدم أُطروحته القرآن الكريم.

وأهم ما يمتاز به هذا المبدأ من خصائص ومميزات هو: «إن الطابع

(١) المصدر السابق ٢: ٤٠٢، بتصرف.

الأخلاقي الذي يستمد من القرآن الكريم يختلف كثيراً عما ذكرناه في المذاهب الأخلاقية المختلفة، سواء أكان من الناحية النظرية أم العملية، فهو يحل جميع المشكلات الخلقية ويضع كلّ شيء في موضعه المعين، ويربط بين الفضل والفضيلة، ولذا ترى أن المفهوم الأخلاقي في القرآن الكريم لا يقتصر على الحاجة العقلية فحسب، بل إن الجانب النظري والعملي كلّ واحد منهما مكمل للآخر، وتكون لهما وحدة خاصة تشبع الحاسة الأخلاقية التي أودعها الله تعالى في الإنسان، كما أن المفهوم الأخلاقي فيه يمتاز عن غيره في أنه يشتمل على روح التوفيق بين سائر النزعات الأخلاقية، ويلبّي جميع المطالب للإنسان، فهو ينظر إلى الفرد كما ينظر إلى المجتمع، ويعطي كلّ واحد منهما حقّه»[١].

٢. الجانب العملي:

حاول السيّد السبزواري قُدِّسَ سِرُّه أن يكون مصداقاً حياً ومثالاً يقدم قومه، ليرسم لهم الأُسوة الحسنة التي يطابق من خلالها فعلهم قولهم؛ مجسداً بذلك الأخلاق المحمدية والسجايا العلوية والطباع الفاطمية،والخصائص الحسينية، لذا كان الحديث في الميدان العملي للأخلاق عند السيد السبزواري قُدِّسَ سِرُّه متمثلاً في آدابه وسجاياه الحميدة، ووصاياه الرشيدة، ونصائحه السديدة بشيء من الإيجاز والاختصار، من خلال عدة قنوات أهمها:

---

(١) المصدر السابق ٢ : ٤٠٢-٤٠٣، بتصرف

القناة الأُولى: ادبه مع الله تعالى

من مظاهر العبودية الصادقة، وأوضح مصاديق الانقياد الخالص، الذي يكشف عن مدى الأدب العبودي المنبعث من قلب لا يعرف إلا الله الواحد الأحد، كلام العبد الناقص مع مولاه الكامل، وحديث الحبيب مع حبيبه، ومن أجمل الحديث في ذلك، ما دوّنه السيد السبزواري بمداد من نور عن خالقه، إذ يقول قُدِّسَ سِرُّهُ:«والله أجلّ لفظ في الممكنات كلها لأعظم معنى في الموجودات جميعها، بهت من عذوبته كلّ سالك مجذوب، وتحير في عظمة معناه جميع أرباب القلوب، تتدفق المحبة والرأفة عن الاسم فكيف بالمعنى! فكأنّ نفس المعنى يتجلّى فيه، ويقول: ﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾، جمعت فيه من الكمالات حقائقها، ومن الألطاف والعنايات دقائقها ورقائقها. تطلبه الملائكة المقربون كما يطلبه أهل الأرضين، والجميع لا يصل إليه، ظهر لغيره بالآثار، وخفي عن الجميع بالذات فما أعظم شأنه! فقد عجزت العقول وإن قويت فطنتها عن درك أفعاله فضلاً عن صفاته، فكيف بذاته! فكلّما زاد الإنسان تأملاً فيه زيد تحيُّراً وجهلاً...»[1].

القناة الثانية: ادبه النفسي

تميّز السبزواري قُدِّسَ سِرُّهُ بأخلاق كريمة وسجايا حميدة قلّ نظيرها وندر حاملها، فأحبته القلوب واستولت هيبته على العقول لما رأت فيه من أخلاق

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١ : ١٢ـ١٣، سورة طه: ١٤.

العابدين وأوصاف المخلصين، فقد كان بعض الناس يكون عندما ينظرون إليه، لا لشيء سوى ذلة العبودية وهيبة الإخلاص بين قسمات وجهه النوراني.

فيقول عنه من عرفه: «كان رحمه الله سكوتاً لا يتكلم إلا عند الحاجة، شديد الاحترام للعلماء والمشايخ، كثير البكاء في جوف الليل، كثير الحياء حتّى في مرحلة شيخوخته، وقد وصفه أبو الحسن الأصفهاني -في رسالة بعث بها إلى والده- بأنه أفرط في الحياء»[1].

ومن أوضح آثار ورعه قدس سره عن زخارف هذه الدنيا الدنيّة، أنه زهد فيها زهداً لا نظير له.

وقد عبر السيد حسين الطالقاني عن هذا المعنى بقوله: «وقد زهد في هذه الدنيا زهداً منقطع النظير لم يعهد مثله إلا عند الأوائل من رجال السلف، فقد كان رحمه الله لا يعتني بالمال والجاه، بل قنع بالقليل من كلّ شي»[2].

وأيّ شيء أدلّ على زهده في متاع الدنيا من أنه دخل النجف الأشرف ومضى إلى ربه سعيداً وهو لم يملك منزلاً للسكنى، بعدما أصبح مرجعاً للأُمة بعد رحيل الإمام الخوئي قدس سره.

وفي هذا الصدد يروى أنه قد جاء يوماً أحد كبار تجار البحرين، قاصداً أن يقدم خدمة للسيد السبزواري، بعد أن علم أنه لا يملك منزلاً،

---

(١) جمال السالكين: ٦٤.

(٢) المصدر السابق: ٦٥.

فعرض عليه ذلك،فرفض السيّد السبزواري رحمه الله وأمره أن يقوم بإعادة بناء أحد المساجد المعروفة في النجف الأشرف بدلاً عن ذلك[(١)].

القناة الثالثة: ادبه مع مجتمعه

لقد كان السيد السبزواري قدس سره يتعامل مع المجتمع تعامل الوالد الحنون مع أولاده، والأخ الكبير تارة والصغير أُخرى مع إخوته، ونستعرض ذلك في موقفين:

احدهما: التواضع وخفض الجناح

لقد كان تواضع السيد السبزواري قدس سره مضرب المثل ومثار العجب؛ إذ لم يك متكلفاً أو مصطنعاً، بل جسّد مفهوم التواضع في أسمى معانيه وأعلى مراتبه وبدون أدنى تكلف وتصنُّع مع جميع أبناء المجتمع ومختلف طبقاته.

ومن أبرز ملامح تواضعه قدس سره أنه كان يقوم للصغير والكبير إذا ما دخل عليه أحد، ويفتح الباب بنفسه مع بشارة الوجه وعذوبة الأُسلوب.

ومن تواضعه قدس سره أنه كان يحرص على أن يكون أول الداخلين إلى مجلس الدرس كي لا يقف له أحد من طلابه، ويقوم بكنس المسجد بنفسه...»[(٢)].

ثانيهما: عطفه ورافته

كان السيد السبزواري قدس سره ودوداً عطوفاً، يتعامل مع الناس بكل عطف

---

(١) صفحات مشرقة من حياة السيد السبزواري: ٤٠.

(٢) المصدر السابق: ٤٢.

وحنان، فمن أبرز مظاهر عنايته ورعايته للطلبة وغيرهم ما نقله المرجع الديني السيد علي الحسيني السيستاني دام ظله قائلاً: «كان كثير الاعتناء بالطلبة والمشتغلين خصوصاً من كان منهم حديث عهد في النجف الأشرف ... وقد كان هناك مجلسان في النجف الأشرف استفدت منهما كثيراً، مجلس السيد السبزواري قدس سره، ومجلس السيد جعفر المرعشي قدس سره»[(١)].

القناة الرابعة: نصائحه ووصاياه

آلى السيد السبزواري قدس سره على نفسه ألاّ يُضمر إلاّ إضمار حبّ الخير، والعشق لأفعال النبيّين وحياة الأوصياء المعصومين عليهم السلام،لذا انبرى لتربية نفسه وأهل بيته ومن ثمّ مقلديه ومحبيه بما يدلي عليهم من نفحات عرفانية وشذرات أخلاقية، ومناسك عبادية، فكان ممّا فاض من قلبه الطاهر وفمه المفعم بذكر الله - جلّ شأنه- من وصايا ونصائح ما يصلح اعتماده كمنهج تربوي من ذلك:

١ـ الصلاة في أول الوقت فيها التوفيق الكبير.

٢ـ تلاوة القرآن ولو بمقدار صفحة واحدة في اليوم.

٣ـ المداومة على النوافل، تمنح الصبر على الطاعة وترفع الدرجة.

٤ـ المداومة على نيّة الخير، فإنّ الله تعالى مطلّع على القلوب[(٢)].

---

(١) صفحات مشرقة من حياة السيد السبزواري: ٤٢.

(٢) جمال السالكين: ٥٧.

وكان - طيّب الله رمسه- ينصح أهل العلم بمداومة المطالعة والتفقه في الدين، وأن يصرفوا همّهم في كسب المكارم والإعراض عن الدنيا حتّى تؤثّر أقوالهم وأفعالهم في القلوب، ويكونوا في مأمن من السخط الإلهي في الدنيا والآخرة[١].

فمن نصائحه إلى طلبة العلم قوله: « وعلى مرشدي الأُمَّة وطلاب العلم - لا سيما علوم الدين- أن يزكّوا أنفسهم أولاً، ويتخلقوا بمكارم الأخلاق، وأن يكونوا داعين إلى الله تعالى علماً وعملاً، بل يكونوا داعين إلى الله بعملهم أكثر من دعوتهم بعلمهم، ولا يخرجوا من زيّ العبودية أبداً»[٢].

ج. مكانته من الناحية العرفانية

لعل نبوغ السيد السبزواري قدس سره في العرفان والأخلاق أشهر من أن يعرّف، حتى عُدَّ من رواد المدرسة العرفانية، مع الالتفات إلى أنّ العرفان علم جليل الشأن ليس له مثيل بين سائر العلوم في الشمولية والسعة والآثار[٣].

والحديث في الجانب العرفاني عند السيد السبزواري رحمه الله سيكون على مستويين:

المستوى العملي: هذا الجانب يمكن أن نلحظه من خلال أفعاله السلوكية التي تجلّت في علاقته الفريدة بالله تعالى، وسيره وسلوكه الجاد إلى الحق جلّ وعلا، فلقد كان حريصاً على التأدب بآداب الشرع في أفعاله

---

(١) المصدر السابق: ٦٠.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٦: ١٠٤.

(٣) انظر: صفحات مشرقة من حياة السيد السبزواري: ٤٦، وجمال السالكين: ٦٩.

وأقواله، فلم تتجاوز تلك الآداب في حال من الأحوال، وكان متعبّداً يقضي اللّيالي في العبادة، قليل الأكل، قليل النوم، لا ينام سوى بضع ساعات في مجموع الليل والنهار، كثير التأمل والفكر، شغوفاً بتحصيل الكمال، وكان زاهداً في الدنيا فخرج منها وهو منزّه عن حطامها لم يملك منها شيئاً[(١)].

المستوى النظري: يمكننا أن نلحظ أُصول عرفانه النظري تتجلى في بحوثه القيّمة المبثوثة بين طيّات تفسيره المبارك، وسوف نتطرق بشيء من التفصيل لبيان المنهج العرفاني(الإشاري) لدى السيد السبزواري لاحقاً إن شاء الله.

د. مرجعيته:

كان السيد السبزواري قُدِّسَ سِرُّه مجتهداً منذ سنة ١٣٨٠هـ أي بعد وفاة المرجع الكبير السيد البروجردي قُدِّسَ سِرُّه،فرجع إليه في التقليد جماعة من المؤمنين في العراق وإيران ولا سيما مدينته سبزوار، وطبعت رسالته العملية باللّغة الفارسية بعد عام من وفاة السيد البروجردي، ثم اتّسعت دائرة تقليده وازداد المقلّدون له بعد وفاة السيد الحكيم قُدِّسَ سِرُّه سنة ١٣٩٠هـ، وطبعت رسالته العملية باللغة العربية الموسومة بـ(منهاج الصالحين) بعد طلب مقلديه منه، ثم ازداد المقلّدون كثيراً فطلب منه أن يؤلف رسالة وجيزة في الأحكام الشرعية، فطبعت رسالته (جامع الأحكام الشرعية)[(٢)].

---

(١) انظر: ألطاف الباري: ٧١ـ٧٢.

(٢) انظر: المصدر السابق: ١٣٧.

وبعد وفاة الإمام الخوئي قُدِّسَ سِرُّهُ سنة ١٤١٣هـ.ق، رجع إليه الناس في كثير من الأقطار مثل العراق وإيران ودول الخليج و باكستان والهند والشيعة القاطنون في الدول العربية فأصبحت مرجعيته عامة[١].

ومن مميزاته في أمر المرجعية أنّه استعان بولديه السيد محمد رَحِمَهُ اللهُ، والسيد علي دام ظلّه، ولم يجعل مرجعيته تستقي من قنوات الحواشي وغيرهم، فحمّلهما مسؤولية كبيرة، وهذا مما تفرد به السيد السبزواري (رضوان الله عليه).

وكان يأمر ولديه العلَمين بإعانة الفقراء ومساعدة طلاب العلوم الدينية الذين امتازوا بالعلم والتقوى من دون أن يخبروهم أنه منه، فلقد كان قُدِّسَ سِرُّهُ آية في الكرم والسخاء في الموضع الذي يتعيّن أن يكون المرء متّصفاً بهما[٢].

النقطة الرابعة: تقييم العلماء لمفسّرنا السيد السبزواري

يُعتبر السيّد السبزواري قُدِّسَ سِرُّهُ من كبار مراجع التقليد ومن خيرة فقهاء الإمامية، فضيلته واضحة في دنيا الإسلام، وهو عَلم من أعلام الهداية والرشاد، مجتهد من الرعيل الأوّل ومن الطبقة الأُولى من محققي الفقهاء.

علمه وورعه وأخلاقه شهود على ذلك، مؤلفاته تدل على غزارة علمه وعلو قدره ونبوغه في شتّى الفنون والمعارف، كلّ من عرفه من العلماء

(١) جمال السالكين: ٢١.

(٢) ألطاف الباري: ١٤١.

والمراجع العظام يقرون لـه بعلو المكانة العلمية والفقهية[١].

يحتلّ السيد السبزواري المنزلة المرموقة بين جهابذة علماء الإمامية نأتي على بعضهم باختصار:

يقول عنه آية الله السيد علي البهشتي حفظه الله، بأنه:«البدر العظيم القدر لطالبي الهداية، صاحب الطبائع الملائكيّة، الآية الكبرى، والحجّة العظمى الحاج السيد عبد الأعلى السبزواري (خُلّدَ ذكُره السويّ) وهو مصدر تعليم الفقاهة، والجوهرة الساطعة للنباهة، صاحب مبادئ التحقيق، وناخب دورة الفقه الكاملة على نحو دقيق»[٢].

وأطراه العلاّمة الشيخ باقر شريف القرشي قائلاً:«كان عطاء متواصلا للفكر الإسلامي، ومنبعاً أصيلاً للحياة العلمية في دنيا الإسلام. كما كان قاعدة مشرقة لهدى الإسلام وروحانيّته، فقد تجسّدت في سلوكه جميع القيم الأصيلة، والمثل العليا التي يسمو بها هذا الكائن الحيّ من بني الإنسان»[٣].

وذكره السيد عبد السّتار الحسني: «صفوة الفقهاء والمجتهدين، وإمام أهل العرفان الواصلين، وقرم الجهابذة، وعَلَم الأُصوليّين»[٤].

(١) انظر: لمحة موجزة من حياة المرجع الديني السيد السبزواري: ٩، ألطاف الباري: ٥.

(٢) جمال السالكين: ٨

(٣) المصدر السابق : ٨ ـ ٩.

(٤) المصدر السابق: ٩.

النقطة الخامسة: التحاقه بالرفيق الأعلى

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾[1].

في صبيحة يوم السبت الموافق للسادس والعشرين من شهر صفر الجريح سنة ١٤١٤هـ، انطفأ ذلك القنديل المتوهج، وخبت تلك الشعلة المشرقة، وصكّ خبر الفاجعة مسامع الطائفة الشيعية، فأحدث في جسد الأُمة الإسلامية جرحاً عميقاً لن يلتئم، وثلم الإسلام ثلمة لا يسدها شيء، وأنّى للجرح الالتئام وللثلمة الالتحام! وقد قضى السيد السبزواري رحمه الله نحبه مسموماً شهيداً، ورفض نظام الظلم والجور - نظام حزب البعث- أن يشيّع ذلك النعش المضيء، فنقل إلى الحرم العلوي، وهناك رفع على أكفّ الزائرين وصلّى عليه سماحة آية الله العظمى السيد علي البهشتي، ودفن في المقبرة المعدة له في شارع الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بجوار مسجده ومصلاّه عصر يوم الاثنين»[2]. وقد أرخ وفاته العلاّمة الشيخ عبد الغفار الأنصاري بقوله:

العابدُ الأعلى الّذي في خَطبِه ... ليلُ الرّزايا في البلادِ مُخيِّمُ
عَرَجَت إلى أعلى الجنان بروحه ... نفحاتُ قُدسٍ سرُّها لا يُعلَمُ
عَظُمَ المُصابُ بِهِ فَقُلتُ مُؤَرِّخاً ... بِمُصابِهِ أجرُ الجَميعِ يُعَظَّمُ[3]

(١) سورة الفجر، ٢٧ـ٢٩.

(٢) جمال السالكين: ١٥.

(٣) صفحات مشرقة من حياة السيد السبزواري: ١٣٦.

المبحث الثاني

عرض حول مناهج التفسير وتاريخ نشوئها

الأمر الأول: معنى التفسير والتأويل والفرق بينهما

أ. التفسير لغةً:

التفسير هو الإيضاح والتبيين، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾[1]، أي بياناً وتفصيلاً، وهو مأخوذ من الفسر وهو الإبانة والكشف، قال الفيروزآبادي: «الفسر الإبانة وكشف المغطّى كالتفسير، والفعل كضرب ونصر...»[2].

ب. التفسير اصطلاحاً:

المتتبع لأقوال المفسرين في تفسير القرآن الكريم، يجد أنّهم قد عرّفوا علم التفسير بتعاريف كثيرة، قد اختلفت فيها عباراتهم. ولكن يمكن

---

(١) سورة الفرقان: ٣٣.

(٢) القاموس المحيط ٢: ١١٠، وانظر: لسان العرب ١٠: ٣٦١، البحر المحيط ١: ١٣.

إرجاع هذه التعاريف إلى واحد منها، وهي وإن كانت مختلفة من جهة اللفظ إلاّ أنّها متحدة من جهة المعنى وما تهدف إليه.

فالتفسير: هو الكشف عن الإبهام في الجُمل والكلمات القرآنية، وتوضيح مقاصدها وأهدافها.

وبعبارة أُخرى: إن المقصود من التفسير هو تبيين المُراد الاستعمالي لآيات القرآن، وتوضيح المُراد الجّدي على أساس قواعد اللُّغة العربية والأُصول العقلائية للمحاورة[1].

ج. التأويل لغةً:

التأويل: مأخوذ من الأوْل وهو الرجوع، قال الفيروزآبادي: «آل إليه أوْلاً ومآلا: رجع، وعنه ارتد... ثمّ قال: وأوّل الكلامَ تأويلا وتأوّله دبّره وقدّره وفسّره»[2].

والناظر في القرآن الكريم يجد أن لفظ التأويل قد ورد في كثير من آياته على معان مختلفة، ذكرها محمد هادي معرفة عند بحثه لمعاني التأويل[3]، فمن ذلك: قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا

---

(١) انظر: الميزان في تفسير القرآن ١: ٣، الإتقان في علوم القرآن ٢: ١٩٢، مجمع البيان في تفسير القرآن ١: ١٣.

(٢) القاموس المحيط ٣: ٣٣١، وانظر: لسان العرب ١: ٢٦٤، أساس البلاغة ١: ١٥.

(٣) انظر: التمهيد في علوم القرآن ٩: ٢٢-٢٣.

تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّـهُ...﴾[1]، فهو في هذه الآية بمعنى « تأويل المتشابه » .

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾[2]، فهو في هذه الآية بمعنى «مآل الأمر وعاقبته » وغيرها من الآيات الكريمة .

د. التأويل اصطلاحاً:

تطلق لفظة (التأويل) ويراد منها عدة معانٍ منها:

1- يطلق على التفسير، وهو الإيضاح والتبيين، فيكون التفسير والتأويل بمعنى واحد، وهذا ما جرى عليه ابن جرير الطبري في تفسيره، بقوله: «القول في تأويل قوله تعالى كذا وكذا» وبقوله: «اختلف أهل التأويل في هذه الآية»[3].

2- ويطلق على حقيقة الشيء ذاته، ونفس المراد بالكلام، فإذا قيل: طلعت الشمس، فتأويل هذا هو نفس طلوعها وهذا ـ في نظر ابن تيمية ـ هو لغة القرآن التي نزل بها»[4].

3- ويطلق على صرف اللفظ عن ظاهره الراجح إلى معنى آخر

---

(1) سورة آل عمران: 7.

(2) سورة النساء: 59.

(3) انظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة: 243.

(4) التفسير والمفسرون 1: 20.

مرجوح، وهو بهذا الإطلاق نوعان: (صحيح وفاسد)، وهذا هو التأويل الذي يتكلمون عليه في أصول الفقه ومسائل الخلاف»[١].

هـ. الفرق بين التفسير والتأويل:

يرى بعض العلماء أن التأويل مرادف للتفسير، بينما يرى آخرون أن هناك فرقاً بينهما، ولكّن هؤلاء اختلفوا في هذا الفرق:

فمنهم من يقول: إنّ التفسير يخالف التأويل بالعموم والخصوص، فالتفسير أعم من التأويل، وكأنّه يريد من التفسير بيان مدلول اللفظ مطلقاً، سواء أكان بالتبادر، أم بغير التبادر، ويريد من التأويل بيان مدلول اللّفظ بغير المتبادر منه بدليل.

ومنهم من يرى أنّ الاختلاف بينهما إنّما هو (بالتباين)، فكل منهما مباين للآخر، ولكن إلى أي شيء يرجع هذا التباين؟ هنا تختلف عبارات العلماء[٢].

يقول هادي معرفة:« كان التأويل في استعمال السلف مترادفاً مع التفسير، لكنّه في مصطلح المتأخّرين جاء متغايراً مع التفسير وربّما أخصّ منه، فالتفسير: رفع الإبهام عن اللفظ المشكل، فمورده: إبهام المعنى بسبب تعقيد حاصل في اللفظ.

(١) انظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة: ٢٤٣.

(٢) انظر: التيسير في علم التفسير ١: ٥٤، والبرهان ٢: ٢٨٦، الإتقان في علوم القرآن ٢: ١٧٣، مناهل العرفان ١: ٤٢٥.

وأمّا التأويل: فهو دفع الشبهة عن المتشابه من الأقوال والأفعال، فمورده حصول شبهةٍ في قول أو عمل، أوجبت خفاء الحقيقة (الهدف الأقصى أو المعنى المراد) فالتأويل إزاحة هذا الخفاء.

فالتأويل ـ مضافاً إلى أنّه رفع إبهام ـ فهو دفع شبهة أيضاً، فحيث كان تشابهٌ في اللفظ كان إبهام في وجه المعنى أيضاً، فهو دفع ورفع معاً»[١].

وقريب من ذلك ما ذكره الطبرسي في تفسيره بقوله:«التفسير: كشف المراد عن اللفظ المشكل، والتأويل: ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظاهر»[٢].

الأمر الثاني: مناهج واتّجاهات تفسير القرآن

اولاً: أهمية البحث حول منهج التفسير:

يتم التعرف إلى علم التفسير عبر تناول ثلاثة أشياء، شأنه في ذلك شأن العلوم الأُخرى:

١ـ موضوع علم التفسير وهو القرآن الكريم.

٢ـ هدف علم التفسير وهو فهم وتوضيح مفاهيم ومقاصد القرآن الكريم.

٣ـ منهج علم التفسير وهو كيفيّة كشف معاني ومقاصد آيات القرآن الكريم[٣].

ولقد حظي استخدام المنهج في كلّ علم بأهمية خاصة، حيث إن المنهج

---

(١) انظر: التمهيد في علوم القرآن ٩: ٢١ـ٢٢.

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن ١: ٣٩.

(٣) انظر: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: ٩.

الصحيح والاستفادة منه يوصل الإنسان إلى هدف العلم، في حين يُفضي عدم الاستفادة من المنهج الصحيح أو الخطأ فيه إلى الابتعاد عن هذا الهدف.

إنّ استخدام (منهج التفسير) بالنسبة إلى القرآن بلغ من الأهمية حدّاً بحيث عُدَّ استخدام بعض المناهج ممنوعاً وحراماً شرعاً، وقد أكّدت الأحاديث على أهمية هذا الأمر، بحيث إذا قام شخص بتفسير القرآن بطريقة خاطئة (كالتفسير بالرأي) فإنه يعتبر مخطئاً، وإن حصل على نتائج صحيحة.

إذن، فتعيين المنهج التفسيري الصحيح لـهُ موضوعية في هذه المسألة، وإنّ معرفة المناهج والاتجاهات التفسيرية يعتبر لازماً لكل مُفسّر.

ثانياً: توضيح المنهج التفسيري:

إذا تناولنا مصطلح «مناهج المفسرين» نجد أنه مركب إضافي مكون من جزأين:

الجزء الأوّل: كلمة (مناهج) وهي جمع (منهج)، والمنهج هو الطريق الواضح سواء كان حسّياً أم معنوياً،، بل إنّه في الأصل كان يطلق على الطريق الحسّي، ثمّ استعمل بعد ذلك في الطريق المعنوي، ثمّ غلب عليه بعد ذلك حتّى أضحى الآن لا يكاد يستعمل إلّا في الطريق المعنوي.

الجزء الثاني: كلمة (المفسرين) وهي جمع (مفسِّر) وإن كان يطلق على كلّ مَن يفسر ويوضح أي شيء، ولكن المراد به الآن عند الإطلاق: هو المشتغل بتفسير كلام خاصٍ، وهو القرآن الكريم، وبناء عليه:

المنهج التفسيري: هو المسلك الذي يتّبعه المفسّر في بيان المعاني واستنباطها من الألفاظ، وربط بعضها ببعض، وذكر ما ورد فيه من آثار، وإبراز ما تحمله من دلالات وأحكام ومعطيات دينية وأدبية وغيرها، تبعاً لاتّجاه المفسر الفكري والمذهبي، ووفق ثقافته وشخصيته[(١)].

الاتجاه: هو موقف المفسّر ونظره ومذهبه ووجهته التي يوليها من العقائد الدارجة عن السُّنة والشيعة والأشاعرة والمعتزلة، سواء كانت وجهته عند تفسير كتاب الله من تقليد أو تجديد، وكذلك من اعتماد على المنقول أو المعقول، أو الجمع بينهما في إطار معيّن[(٢)].

ومن أهم الاختلافات بين المنهج والاتجاه هي:

١ـ يعتمد بحث المناهج على أساس كيفية كشف المعنى ومقصود الآية.

٢ـ يتشكّل بحث المناهج على أساس المصادر والأدوات التفسيرية «مثل استخدام العقل والروايات».

٣ـ أكثر ما يطرح في بحث «الاتجاهات» هو شخص المُفسِّر؛ أي اعتقادات وأذواق واتجاهات شخص المُفسِّر والتّي تعطي التفسير وجهة محدَّدة، وتطبعهُ بطابع خاص.

٤ـ تُطرح في بحث «الاتجاهات» مسألة متن التفسير، وبأيٍّ أُسلوب كُتب؟ وما هي أكثر المطالب التّي يتضمَّنها من مسائل كلاميّة، أو أدبية أو غيرها؟[(٣)].

(١) الطبري ومنهجه في التفسير: ٢٩.

(٢) انظر: الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير: ٣٥٣.

(٣) انظر: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: ٢١.

ثالثاً: تاريخ المناهج والاتجاهات:

أ ـ النشوء والتطور

بدأ علم التفسير منذ صدر الإسلام، وكان مصدره الوحي الإلهي الذي عرف الرسولﷺ كمفسّر للقرآن[1]، والذي يعتمد على القرآن نفسه في التفسير، ومنه نشأت طريقة تفسير القرآن بالقرآن.

ولقد تصدى أهل البيت عليهم السلام والصحابة لتفسير القرآن على ضوء المنهج السابق بالاستفادة من المنهج الروائي، أي الاستناد إلى الروايات الصادرة عن الرسول ﷺ، وما تلقوه من الموروث الإلهي في فهم النص القرآني في تفسير آيات القرآن الكريم.

وهناك مجموعة أُخرى تورّطت بتفسير وتأويل القرآن طبقاً لميولها، وبدون رعاية الضوابط والقرائن العلمية، فنشأ عن ذلك (التفسير بالرأي).

وقد تصدّت الأحاديث الصادرة عن الرسول ﷺ وأهل البيت عليهم السلام لهذا النوع من التفسير ومنعته بشدّة، ثمّ ظهرت مناهج وأساليب أُخرى بين المسلمين - بشكل تدريجي - في القرن الثاني الهجري فما بعده نتيجة ترجمة آثار كتب اليونان والفرس ونفوذ أفكارهم وعلومهم[2].

وقد تكوّنت الاتجاهات التفسيريّة الكلامية بسبب ظهور المباحث

(١) المصدر السابق: ٢١ـ٢٢.

(٢) دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: ٢٢.

الكلاميـة والفلـسفية، فكانـت كـلّ فرقـة مـن فـرق المـسلمين كالأشـاعرة والمعتزلة تفسّر القرآن الكريم طبقاً لآرائها وعقائدها.

وفي نفس الاتجـاه كانـت الاختلافـات الدينيـة قـد بـدأت فـي القـرن الأوّل الهجري مصحوبة بالاختلافات الفقهية التي تركت تأثيرها على تفسير الآيات في القرآن الكريم.

وفي القرن الثالث فما بعده بدأت تظهر أسـاليب جديـدة فـي التفـسير علـى يد العرفاء والمتصوفة، ممّا أدى إلى تطوّر (المنهج الإشاري) في التفسير[١].

أمّا محدّثو السّنة والشيعة فقد اكتفـوا بنقـل الروايـات ليؤسّـسوا بـذلك (المنهج والاتجاه الروائي) في التفسير.

كما ظهرت وتطورت في القرن الأخير أسـاليب ومنـاهج جديـدة فـي التفسير مثل طريقة التفسير العلمي والاتجاه الاجتماعي وغيرها[٢].

ب. الكتابة في مجال المناهج والاتجاهات:

يعتبر كتاب (طبقات المفسرين) لجـلال الـدين الـسيوطي(ت:٩١١هـ) من أقدم الكتب فـي هـذا المجـال حيـث تنـاول فيـه المؤلـف ترجمـة حيـاة المفسرين وآثارهم.

ومـن الكتـب الأُخـرى المدَّونـة فـي هـذا المجـال كتـاب (التفـسير

(١) المصدر السابق: ٢٣.

(٢) انظر: المصدر السابق: ٢٤.

والمفسرون في ثوبه القشيب) لآية الله هادي معرفة قُدِّسَ سِرُّه، والذي هو صياغة جديدة لكتاب التفسير والمفسرين للدكتور الذهبي، لكن برؤية شيعية ومنطلقات تفسيريّة قائمة دعامتها على فهم النص ونقده على أساس التفسير الجامع لجميع منعطفات التفسير الموضوعي الصحيح ، حيث أورد فيه مطالب متنوعة في مجال الاتجاهات الأدبية والاجتماعية والعلمية و...، وذلك تحت عنوان (الألوان التفسيريّة).

وهناك كُتبٌ أُخرى في المناهج التفسيريّة منها:

١ـ مذاهب التفسير الإسلامي لجولد زيهر ترجمة عبد الحليم النجّار.

٢ـ أصول التفسير وقواعده للشيخ خالد عبد الرحمن العك.

٣ـ مناهج التفسير للدكتور مصطفى الصاوي الجويني المصري.

٤ـ اتجاهات التفسير في مصر في العصر الحديث للدكتور محمد عفّة الشرقاوي.

وكل منها وضع أُسساً عملية في نهضته التفسيرية، وأسدى خدمات كبيرة إلى فهم النص القرآني ـ مع ما فيها من الإشكاليات ـ والتعرض لها يخرجنا عن البحث.

المبحث الثالث
تقييم موجز لتفسير المواهب
وموقعه في المكتبة القرآنية

يعتبر تفسير «مواهب الرحمن» موسوعة تفسيريّة كبرى، ودراسة موضوعية شاملة لكتاب الله العزيز، عرض فيه جميع ما يتعلق بالقرآن الكريم من بحوث دلالية وفلسفية وروائية وفقهية وأخلاقية وأدبية وعرفانية وغير ذلك الشيء الكثير.

كلّ ذلك بأسلوب رائع رصين خالٍ عن الغموض والتعقيد، وقد دلّل على تضلّعه وبراعته في علوم كثيرة، وأنه لم يكن متمرّساً في الفقه والأُصول فحسب، بل طرح أروع البحوث الفلسفية وأدق الالتفاتات الروائية والمنازلات الفقهية والإشكالات التفسيرية، مضمناً موسوعته البحوث الأخلاقية والسلوكية والعرفانية، كل ذلك بأُسلوب أدبي رفيع أبرز فيه الصورة الأدبية للقرآن الكريم، ورفعة الأُسلوب البلاغي فيه، بحيث تجلّت البلاغة القرآنية بأجلى صورها الدقيقة.

وقد ذكر السيد السبزواري سبب تسمية تفسيره بـ(مواهب الرحمن)، وعزا ذلك إلى أنّهقُدِّسَ سِرُّهُقبل عدة سنوات رأى رسول اللهصَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في عالم الرؤيا، وقد أعطاه نسخة من المصحف الشريف قائلاً له: «خذ مواهب الرحمن».

وبناء على تلك الرؤيا المباركة سمّى تفسيره الجليل بهذا الاسم المعطاء، ونعم القول في ذلك، ما قاله الدكتور محمّد حسين الصغير:

إنّ المواهِبَ في الحياةِ كثيرةٌ وَخِيارُهُنَّ مَواهِبُ الرّحمنِ[1]

وقد ابتدأ السيد السبزواريقُدِّسَ سِرُّهُرحلته التفسيرية بعقد جلسات خاصة في علوم القرآن لعائلته وأهل بيته في كلّ ليلة، عقب صلاة العشاء، فضلاً عن دروسه العامة في التفسير يومي الخميس والجمعة[2].

ويعدُّ السيد السبزواري من الّذين أدخلوا تغييراً كبيراً في علم التفسير من خلال هذا الكتاب بإدخال مباحث جديدة لم يكن معمولاً به لدى المفسّرين بهذه السعة، وهو البحث الدلالي الذي يبتني على استخراج دلالة الألفاظ المتعددة والرموز الخاصة بها. وشاء القدر أن يكون البحث الدلالي من المواضيع المهمة التي يبحث عنها علم اللُّغة عند الغربيين، وقد عقدوا له بحثاً مستقلاً في كتبهم، ووضعوا فيه دراسات واهتموا به اهتماماً كبيراً.

---

(١) مضمون حديث جرى في لقاء خاص مع آية الله العظمى السيد محمد مفتي الشيعة الموسوي في مدينة قم المقدسة.

(٢) صفحات مشرقة: ١٢١.

ويمكن أن نجمل ما امتاز به السبزواري في هذا المبحث بما يلي:

١ـ ما ذكره في تفسير الآيات القرآنية التي تشتمل على أكثر من دلالة واحدة غير الدلالة الوضعية التي كان القدماء يعتمدون عليها ويهتمون بها غاية الاهتمام.

٢ـ تفرد أيضاً في استخراج المعنى الأصلي من المعاني المتعددة التي يذكرونها للفظ واحد، ويرجع بقية المعاني إلى ذلك المعنى الأصلي، واعتبرها من الدواعي لا من الخلاصة وأصل الوضع(١).

وهناك ميزة كبرى حازها كتاب مواهب الرحمن وهي الاستنتاجات النابعة عن اجتهاد ودقة نظر، فإنّ السيد السبزواري كان من أعاظم فقهاء الإمامية وجهابذة علماء الأُصول، وهذان العلمان أضفيا خصّيصة كبرى على هذا التفسير، فترى جميع المنازلات التفسيرية نابعة عن اجتهاد وإعمال قياسات وبراهين منطقية، وهذا ما يضفي قيمة علمية على هذا التفسير مضافاً إلى خصائصه الأُخرى، من قبيل تسلطه على البحوث العرفانية والسلوكية وغيرها، التي كونت منظومة متكاملة معرفية في هذا التفسير المبارك.

وخلاصة القول هي: إنّ تفسير مواهب الرحمن يعدّ من التفاسير التي أضفت على المكتبة القرآنية الشيء الجديد، والذي من خلاله استفاد الناس كثيراً، ذلك لأنه يعرض فيه الموضوع وبيانه وإيصاله إلى الإفهام بأُسلوب

---

(١) ألطاف الباري: ٩٦.

خاص بديع متميّز يفيض منه العرفان الشهودي والذوق العرفاني الذي عالج المواضيع العلمية به، ولذا كان هذا التفسير موضع اهتمام العلماء وغيرهم، وله التأثير البالغ في النفوس، وقد وصفه بعض الأجلاّء بأنّه شعلة عرفانية تقدح في النفوس نار الوجد والمحبة لله تعالى.

ويعدُّ تفسير (مواهب الرحمن في تفسير القرآن) الموسوعة الفريدة من نوعها حسب المقاييس العلمية والميزان السليم، وذلك لوضوح منهجه التفسيري لأصحاب الخبرة.

إنّ خوض غمار الحديث في قيمة هذا التفسير المبارك وأثره في إثراء المكتبة الإسلامية، وخدمة هذا الكتاب الخالد والسفر المخلّد، لا يتسنى لنا أن نلج فيه إلا على سبيل الاسترشاد بكلمات العلماء والاستضاءة بتقويمات الفضلاء.

وإذ يقصر فهمنا وإدراكنا عن تقييم هكذا تفسير متميز، أقتصر في نقل من أجاد في وصف وتقييم تفسير المواهب من العلماء الأجلاّء: من ذلك ما قاله آية الله الشيخ محمّد صادق السعيدي عندما سُئل عن مكانة تفسير (المواهب) بين سلسلة التفاسير الإسلامية، فأجاب بما محصّله: «إنّ تفسير «مواهب الرحمن» هو أفضل التفاسير الموجودة في المكتبة الإسلامية»[(١)].

كما وصفه السيد علي أيازي في كتابه (المفسرون حياتهم ومنهجهم)، بقوله: «يعدُّ تفسيراً شاملاً لجميع آيات القرآن جامعاً للأبحاث الأدبية واللُّغوية

(١) انظر: صفحات مشرقة: ١٢٤.

والبلاغية والفقهية والكلامية بعبارات سهلة صافية، وكلمات رائعة شيّقة، جمع فيه المؤلّف بين المأنوس وما اتّفق عليه الجميع في التفسير»[(١)].

كما قيّمه الشيخ محمّد حسن الأنصاري بقوله :«هو كتاب في تفسير القرآن العظيم، قد بيّن فيه زوايا كثيرة أظهر خفايا عجيبة، قد تفوح منه نسائم العرفان وتطغى! مع ما فيه من الجوانب الفلسفية القيمة، والنواحي الأخلاقية القويمة والحوادث التاريخية والأُمور الأدبية والروائية، زيادة على ذلك، فإنّه يظهر فيه العمق الدلالي والبحث العلمي»[(٢)].

وفيه أيضاً، ما قاله الدكتور الشيخ أحمد الوائلي قدس سره في كلمة له: «عرف في بواكير عمره بتدريس الحكمة الإلهية وكان بارعاً فيها، وانعكست في مؤلفه الثمين (مواهب الرحمن)، وفي تفسيره لفتات في غاية الروعة، وفي تفسيره عطاء غاية في الثراء»[(٣)].

ونختم تقييم هذا التفسير المبارك، بما قاله السيد (حسين الصدر) حفظه الله: «ولم يقتصر تأليفه على الفقه، فألّف موسوعة أخرى في التفسير حيث أنهى اثني عشر جزءاً، وهو لمّا يزل في سورة المائدة، فهذا التفسير بحق يعد عملاً علمياً رائداً يستحق من كلّ باحث منصف أن يعترف بهذه الريادة، وبهذا الجهد العلمي المتميّز»[(٤)].

(١) المفسرون حياتهم ومنهجهم: ٦٩٢.

(٢) انظر: جمال السالكين: ٣١.

(٣) صفحات مشرقة: ١٢٥.

(٤) المصدر السابق: ١٢٥.

الفصل الثاني

أسلوب السيد السبزواري
وطريقته في تفسير مواهب الرحمن

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: نظرة عامة حول التفسير وطريقة المفسر فيه
- المبحث الثاني: علوم القرآن في التفسير
- المبحث الثالث: الخطوات التفصيلية لطريقة السبزواري في التفسير
- المبحث الرابع: خصائص أسلوبه اللغوي
- المبحث الخامس: خصائص أسلوبه البياني

المبحث الأول
نظرة عامة حول التفسير
وطريقة المفسر فيه

لقد قدّم السيد السبزواري قدس سره - قبل الابتداء في تفسير القرآن الكريم[1] - مقدمة موجزة، بعد أن ابتدأها بخطبة قصيرة، بيّن فيها طريقته ومواقفه في التفسير حيث قال: «وكان منهجنا[2] في التفسير:

أولاً: التعرض في تفسير الآية لمضمونها، وبيان مفرداتها، ثم ما يتعلق بها من المباحث. وقد ذكرت فيها المبحث الدلالي وأردت منه المعنى العام مما تشير إليه الآية المباركة من الدلالات الظاهرة أو الدقائق العلمية أو غيرها.

ثانياً: لم أتعرض لبيان النظم بين الآيات، وذلك لأن الجامع القريب في

(١) الشيء الذي يجدرُ ذكره في تفسير مواهب الرحمن هو عدم إتمام طباعته بصورة كاملة؛ إذ لم يكشف النقاب إلاّ عن أربعة عشر جزءاً في أربعة عشر مجلدا، وهو في هذا الكم من المجلدات لم يتجاوز تبيين وتفسير سورة الأنعام، وقد طُبع الكتاب مرتين، أمّا الطبعة الأولى، فكانت في أحد عشر جزءاً، وقد طُبعت في النجف الأشرف، مطبعة الآداب، ١٤٠٤هـق؛أمّا الطبعة الثانية فكانت في أربعة عشر جزءا، وقد طُبعت في قم المقدسة، انتشارات دار التفسير ، مطبعة شريعت،٢٠٠٧م.

(٢) ذكر السيد السبزواري هنا كلمة(منهجنا)، والمقصود بها طريقته في التفسير.

جميعها موجود، وهو تكميل النفس أو الهداية، ومع وجوده لا وجه لذكر النظم بين الآيات، لأن الغرض القريب بنفسه هو الجامع والرابط بين الآيات...

كما إني لم أهتّم بذكر شأن النزول غالباً؛ لأن الآيات المباركة كلّيات تنطبق على مصاديقها في جميع الأزمنة، فلا وجه لتخصيصها بزمان النزول أو بفرد دون آخر، وكذلك الروايات الواردة عن الأئمة الهداة عليهم السلام في بيان بعض المصاديق لها، فهو ليس من التخصيص، بل من باب تطبيق الكلّي على الفرد.

ثالثاً: احترزت عن ذكر العبارات المغلقة والألفاظ أو التفصيل الزائد عن الحد، وحاولت أن أُبيِّن المعنى بأسهل الألفاظ والكلمات حتى يعمّ النفع للجميع »[1].

كذلك نجده قدس سره ربما يتعرض لما ورد في شأن الآية التي يتناولها في التفاسير وكتب مجاميع الحديث الشريف في البحث الروائي، ولا يعتمد على ما ورد في كتب الطائفة فحسب، بل يستدل على ما ورد في كتب الفريقين، ويعرض آراء المفسرين، ويعارض بعضها ببعض، ثم يقرّر ما يراه مناسباً، ويذكر اسم السورة، وبيان المكي والمدني منها وعدد آياتها.

ولقد قسّم التفسير إلى عدّة فقرات، مع اهتمامه بالمنهج البياني واللون الأدبي بذكر ما تشتمل عليه الآيات من الصرف والنحو والبلاغة، وكذلك بيان القراءات.

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٥.

وهناك عدة ملاحظات على تفسير مواهب الرحمن:

١ـ لم يشر إلى المصادر والمراجع التي اعتمد عليها في تفسيره، باستثناء ما ذكره من الروايات،حيث نقل عن التفسير المنسوب لعلي بن إبراهيم القمي رحمه الله، والتفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام، وتفسير العياشي رحمه الله.

٢ـ لم يُصرّح بأسماء المفسرين إلا نادرا، غير أنّه كان يذكر الوجوه والاحتمالات وكذلك الأقوال، ولكن من دون ذكر لقائلها أو مصدرها[١].

٣ـ استعان بموضوعات علوم القرآن في التفسير، ولكنّه لم يكن قد ذكرها بشكل مستقل في مقدمة تفسيره قدس سره بل بثها في ثناياه.

وعلى كل حال فإنّ تفسير «مواهب الرحمن» بصورة عامة يمكن تقسيمه إلى قسمين:

الأول: هو التناول الرئيسي للنص، والذي أدرجه قدس سره ضمن عنوان (التفسير)، وتضمّن (بيان المضمون، بيان المفردات، وعرض البحث الدلالي).

الثاني: يتضمن حقولاً ثانوية، وهو عرض البحوث العلمية المختلفة التي ترتبط بالآية، وتتوزع تلك الأبحاث على مجالات متنوعة فمنها: (البحث الأخلاقي، الكلامي، الفلسفي، الاجتماعي، الروائي، الأدبي، إلى غير ذلك من الأبحاث).

فكان يتعرض في تفسيره للأحكام الفقهية فيما إذا تعلقت الآية بحكم من

(١) المفسرون حياتهم ومنهجهم: ٣١.

الأحكام الشرعية، مبيناً ذلك تحت عنوان (البحث الفقهي)، مع الاستدلال عليها بالآيات الأُخرى، أو بما روي عن أهل البيت عليهم السلام معتمدا في بيانه على فقه الشيعة الإمامية ومناحي اجتهاداتهم المطلقة للنص الفقهي والروائي.

وكذلك تعرض للآراء الكلامية والفلسفية بالبيان والتأكيد، أو الرد والنقد، معتمداً في ذلك على عقيدته الإمامية، ومن تلك البحوث (الجبر والاختيار، وعصمة الأنبياء، والإمامة، والرؤية لله)، وغيرها من المباحث المختلف فيها بين الشيعة والسنّة والتي وقعت مثاراً للجدل والاختلاف.

كما وتعرض للمباحث العرفانية بالبيان الإشاري، مع عدم غفلته عن التفسير الظاهري والعناية بالمسائل اللغوية والأدبية، كما في تفسير قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[1]

قال قدس سره:«يمكن أن يكون تظليل الغمام إشارة إلى مقام تجلّي صفاته المقدسة لخلّص عباده، وقوله ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، إشارة إلى قول الرسول صلى الله عليه وآله: (لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها ولا تعرضوا عنها). وكذلك قوله: ﴿وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ إشارة إلى المقامات الحاصلة لهم من التخلّي عن الرذائل والتحلّي بالفضائل»[2] .

(١) سورة البقرة: ٥٧.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٣٥٤، سورة البقرة: ٥٧، وانظر: بحار الأنوار ٦١: ٢٢١.

المبحث الثاني
علوم القرآن في التفسير

١ـ تعريف علوم القرآن

عُرّفت علوم القرآن بأنها: جميع المعلومات والبحوث التي تتعلق بالقرآن الكريم، وتختلف هذه العلوم في الناحية التي تتناولها من الكتاب الكريم[1].

فالقرآن الكريم له اعتبارات متعددة،وهو بكل واحدة من تلك الاعتبارات موضوع لبحث خاص: وأهم تلك الاعتبارات، القرآن بوصفه كلاماً دالاً على معنى، وهو بهذا الوصف موضوع لعلم التفسير، فعلم التفسير يشتمل على دراسة القرآن باعتباره كلاماً ذا معنى، فيشرح معانيه ويفصّل القول في مدلولاته ومقاصده، ولأجل ذلك كان علم التفسير من أهم علوم القرآن وأساسها جميعاً.

---

(١) انظر: علوم القرآن: ١٩ـ٢٠.

وقد يعتبر القرآن بوصفه مصدراً من مصادر التشريع، وبهذا الاعتبار يكون موضوعاً لعلم آيات الأحكام، وهو علم يختص بآيات الأحكام من القرآن، ويدرس نوع الأحكام التي يمكن استخراجها بعد المقارنة بين جميع الأدلة الشرعية الأُخرى من سنّة وإجماع وعقل.

وقد يؤخذ القرآن بوصفه دليلاً لنبوة النبي محمّد ﷺ فيكون موضوعاً لعلم إعجاز القرآن، وهو علم يُبيّن أنّ الكتاب الكريم وحي إلهي، ويستدل على ذلك بالصفات والخصائص التي تُميّزه عن الكلام البشري.

وقد يؤخذ القرآن باعتباره نصاً عربياً جارياً وفق اللُّغة العربية، فيكون موضوعاً لعلم إعراب القرآن وعلم البلاغة القرآنية، وهما علمان يشرحان مجيء النص القرآني وفق قواعد اللغة العربية في النحو والبلاغة.

وقد يؤخذ القرآن بوصفه مرتبطاً بوقائع معينه في عهد النبيﷺ فيكون موضوعاً لعلم أسباب النزول.

وقد يؤخذ القرآن باعتبار لفظه المكتوب، فيكون موضوعاً لعلم رسم القرآن، وهو علم يبحث في رسم القرآن وطريقة كتابته.

وقد يعتبر بما هو كلام مقروء، فيكون موضوعاً لعلم القراءة وهو علم يبحث في ضبط حروف الكلمات القرآنية وحركاتها وطريقة قراءتها إلى غير ذلك من البحوث التي تتعلق بالقرآن.

وعلوم القرآن جميعاً تشترك في اتّخاذها القرآن موضوعاً لدراستها، وتختلف في الناحية الملحوظة من القرآن الكريم[1].

٢ـ علوم القرآن في تفسير المواهب

إنّ دراسة علوم القرآن لدى أيّ مفسر تسهم في الكشف عن أُسلوبه وطريقته في التفسير، وإظهار جوانبه المتعددة، وفي الواقع إن تنوع علوم هذا الفن وتعدد موارده يجعل من الصعب الإحاطة بها جميعاً في منهج تفسيري[2].

وحيث إنّ السيِّد السبزواري لم يكن له مؤلَّف خاص في علوم القرآن نستطيع من خلاله معرفة آرائه المختلفة في علوم القرآن الكريم، لذا اتّخذنا طريقة استقصاء البحوث المتعلقة بالقرآن الكريم ضمن عناوين علوم القران، وبذلك نستطيع فهم آراء السيد السبزواري في مختلف الموضوعات القرآنية، كإعجاز القرآن، والمحكم والمتشابه، والتأويل، والناسخ والمنسوخ، وغيرها:

١. التأويل والمحكم والمتشابه في القرآن

من المباحث المهمة التي تطرق إليها مفسّرنا السبزواري خلال تفسيره هي مسألة التأويل في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ

(١) انظر: المصدر السابق: ٢٠ـ٢١.

(٢) ذُكر أنّ الشافعي عدّ ثلاثة وسبعين نوعاً من أنواع علوم القرآن، انظر: الإتقان في علوم القرآن ١: ١٧.

عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾[١] حيث أشار إلى معنى التأويل، والفرق بينه وبين التنزيل، كذلك ذكر مورد التأويل في الآيات القرآنية، والفرق بين التأويل ومطلق استعمال اللفظ، ودوران الأمر بين التأويل والتفسير[٢].

كما تناول خلال هذه الآية مفهوم المحكم والمتشابه، وأنّهما من الأُمور النسبيّة، وذكر ما هو المدار في المحكم والمتشابه، وأسباب التشابه، ونسبة التشابه، وواقعية المحكم والمتشابه، وموضوع المحكم والمتشابه، والحكمة في اشتمال القرآن والسنَّة على المتشابه، إلى غير ذلك من مواضيع علوم القرآن المتعلقة بالمحكم والمتشابه[٣].

وعلى سبيل المثال تعريفه للمتشابه، حيث قال: « ما لا يعرف المراد منه إلّا بالقرينة، مثل قوله تعالى:﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، لا يعرف فحوى المراد منه إلاّ بالرجوع إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فيعرف أنّ المراد من القوة والإحاطة والقدرة بالملازمة، وكذا قوله تعالى: ﴿وَجَاء رَبُّكَ

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٥: ٨٣ـ٨٧.

(٣) انظر: المصدر السابق ٥: ٧٧ـ٨٣.

﴿وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾، يعرف المراد بالرجوع إلى ما تقدم من الآية المباركة من انه الرحمة والغفران بالملازمة »[١].

وكذلك في تعريفه للمحكم قال: «من أنّه ما يعرف المراد منه بلا استعانة قرينه، مثل قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ...﴾، إلى غير ذلك من الآيات المباركة»[٢].

٢. النسخ في القرآن الكريم:

أشار السيد السبزواري إلى معنى النسخ لغةً واصطلاحاً، فقال :«النسخ في اللُّغة هو الإزالة ويلازمها النَّقلُ والإبطال بالوجوه والاعتبار، وبهذا المعنى كان معروفا في عصر النبي ﷺ وما بعده، فكانوا يطلقونه على التخصيص والتقييد، بل على كلّ قرينة دلّت على الخلاف.

وأمّا بحسب اصطلاح العلماء فالمشهور بينهم أنّه بيان انتهاء أمد لحكم ثابت سابقا »[٣].

وعلى سبيل المثال انظر: تفسير قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٤]، حيث تطرق السيد السبزواري لقضية النسخ في القرآن الكريم، فبيّن معناه ،وأشار إلى حقيقته

---

(١) انظر: المصدر السابق ٥: ٧٧، وترتيب الآيات: الفتح:١٠، الشورى: ١، الفجر: ٢٢.

(٢) انظر: المصدر السابق ٥: ٧٧، وترتيب الآيات: الفاتحة:٤، النور: ٥٦ .

(٣) انظر: المصدر السابق ١: ٥٢٧.

(٤) سورة البقرة: ١٠٦.

والحكمة فيه، كما بحث في وقوع النسخ وشرائطه وأقسامه، وتكلَّم عن نسخ الشرائع، إلى غير ذلك[١].

٣. إعجاز القرآن

يقول السبزواري قدس سره في هذا المجال: «وجوه إعجاز القرآن كثيرة ومتعددة، بل هو من جميع الجهات؛ لأنّ قوله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[٢]، خطاب عام لجميع أفراد الإنس والجن بما فيهم من العلماء وأرباب علوم شتى وفنون كثيرة، فلا بد وأن يعمّ الجميع بما هم كاملون ومخترعون فيه»[٣].

فهو لم يكن بعيداً عن مسألة الإعجاز القرآني بالمرّة، بل كان على إحاطة تامة به كما نشاهده خلال تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾[٤] فقد تطرق إلى مواضيع عدة: كحقيقة الإعجاز، وإعجاز القرآن في المعارف الإلهية، وإعجاز القرآن في

(١) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن١: ٥٢٧ـ٥٤٠.

(٢) سورة الإسراء: ٨٨.

(٣) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن١: ١٦٣

(٤) سورة البقرة: ٢٣.

تشريع الأحكام،وإعجاز القرآن في العلوم، وإعجاز القرآن في العلم بالغيب، وإعجاز القرآن ببلاغته وفصاحته، وإعجاز القرآن بعدم الاختلاف فيه[١].

٤. المناسبة بين السور القرآنية

اهتمّ السيد السبزواري ببيان ترتيب السور، حيث تعرض لبيان الترابط والمناسبة بين ختام السورة ومفتتح السورة التي تليها.

واعتنى كثيراً بالترابط والمناسبة بين الآيات، حيث كان يستفرغ وسعه في إيجاد وجه للمناسبة بين الآيات، ولا شك أنه لا تتم وحدة السياق بين الآيات ما لم يكن ترابط ومناسبة بينها تكشف عن ظروفها وملابساتها وتبيّن عن حالة المتكلّم[٢]. وسوف نُشير لهذا الموضوع بشيء من التفصيل عندما نتطرق لبيان خطوته التفسيرية الأُولى«المقطع القرآني».

٥. آيات الأحكام

تعرّض السيد السبزواري لآيات الأحكام في أبحاثه الفقهية التي أوردها في تفسيره تحت عنوان«بحث فقهي»، تناول خلالها مواضيع الأحكام الشرعية التي حدّدها القرآن الكريم، غير أنّه قُدِّسَ سِرُّهُ يعرض للجوانب الفقهية عابراً، عدا سياقات خاصة يحيل القارئ فيها إلى مؤلفاته الفقهية

(١) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن١: ١٦٠-١٧٣.

(٢) انظر: المصدر السابق ١: ١٤٧و٢٧٩، و٤: ١٧٨و٥٠٤، وغير ذلك...

والأُصولية، بل نجده أحياناً لا يُبدي وجهة نظره الفقهية حيال الظاهرة، بل يكتفي بالإشارة إلى أقوال الفقهاء[١].

٦. النزول والتنزيل للقرآن

تعرّض السيد السبزواري للنزول والتنزيل، وتعدُّد النزول، والغاية من تعدُّد النزول، ومحل النزول وزمانه، وعروج القرآن، وما ورد من أنّ القرآن أُنزل على سبعة أحرف[٢].

٧. القراءات

مسألة القراءات في نظر السيد السبزواري لم تكن من الأهمية التي تفرض عليه أن يعطيها حيّزاً أكبر في بحوثه التفسيرية، غير أنّ سكوته عن التعرُّض للقراءات قد يكشف اطمئنانه للقراءة الصحيحة المعتمدة في المصحف الشريف.

كما في قراءته لكلمة (عِدَّةٌ) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[٣]، حيث قال قُدّس سرّه: «وقُرِئَ بالنصب، بمعنى فليصم عِدَّةَ أيّام أُخر، وهذا على سبيل الرخصة. ولكنّه موهون، بأنّ القراءة المتداولة والموجود في المصاحف الشريفة الرفع»[٤].

---

(١) انظر: المصدر السابق ١٣: ٥٠٠، و١٢: ٢٢٥.

(٢) انظر: المصدر السابق ٥: ٨ـ١١، ٣: ٣٦ـ٣٩و٤٢ـ٤٤، و٥: ٧٢ـ٧٣.

(٣) سورة البقرة: ١٨٤.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٣: ١٢.

والظاهر أنّ السيد السبزواري كان يعتمد على ما هو المشهور من القراءات كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ﴾[1]، حيث قال قدس سره: «عَسَيْتُم - بفتح السين - وهي القراءة المشهورة»[2].

٨- المكّي والمدني

يُقسّم القرآن في عرف علماء التفسير إلى مكي ومدني، فبعض آياته مكّية وبعض آياته مدنيّة، وتوجد في التفسير اتجاهات عديدة لتفسير هذا المصطلح[3]:

والمشهور هو أنّ المكي ما نزل قبل الهجرة وإن كان بالمدينة، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان بمكّة[4]. وهذا ما اعتمده السيد السبزواري عند تطُّرقه لبيان السور والآيات فذكر المدنيّ والمكّي منها.

ففي بيان نزول سورة الأنعام، نقل السيد السبزواري قدس سره عن ابن عباس أنه قال: نزلت سورة الأنعام بمكّة ليلاً جملة،حولها سبعون ملك يجأرون بالتسبيح. وعلق عليها بقوله :«الروايات في نزولها بمكّة جملة واحدة متضافرة ومروية في كتب الفريقين، وفي روايات أُخرى أنّها نزلت بمكّة باستثناء آيات نزلت بالمدينة هي ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ﴾ إلى آخر الآيات

(١) سورة البقرة، ٢٤٦.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ١٣٧.

(٣) انظر:علوم القرآن: ٧٣.

(٤) انظر: البرهان ١: ١٨٧.

الثلاث ١٥١، ١٥٣، وآية ﴿لَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلاَئِكَةَ﴾ ولابد من حملها على تعدّد النزول»[1].

وفي بيانه لنزول سورة المائدة قال قُدِّسَ سِرُّهُ:«هذه السورة المباركة نزلت في حجّة الوداع فيما بين مكّة والمدينة وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ على ناقته، فبركت من ثقلها كما في بعض الأخبار، وعن بعض المفسّرين أنّها مدنيّة إلّا آية ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾، فإنها نزلت بعرفة عام حجّة الوداع»[2].

أمّا سورة النساء فقال عنها قُدِّسَ سِرُّهُ:«وأُسلوب هذه السورة ومضامينها تشهدان أنّها مدنيّة، نزلت نجوماً حسب مقتضيات الظروف والحاجة »[3].

---

(١) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٣: ٣٠،سورة الأنعام: ١١١.

(٢) المصدر السابق ١٠: ٢٧٩.

(٣) المصدر السابق ٧: ٢٢٦.

المبحث الثالث
الخطوات التفصيلية
لطريقة السبزواري في التفسير

الخطوة التفسيرية الأولى (المقطع القرآني):

وهي انتقاؤه لمقطع قرآني قد يكون مجموعة آيات أو آية واحدة حسب الفكرة الجزئية التي تنطوي الآيات أو الآية عليها، فمثلا في استهلاله لسورة البقرة ينتخب مقطعاً يتألف من خمس آيات، نظراً لانطوائها على فكرة جزئية واحدة هي (سمات المتقين)[1]، بينما نجده في تناوله آخر السورة – مثلاً- ينتخب مقطعاً ينحصر في آية واحدة هي (آية المداينة)[2]، لانطوائها على فكرة جزئية متكاملة هي (المداينة) وما يتبعها من الكتابة والشهادة ونحوها.

وممّا تجدر الإشارة إليه: أن الحجم لا يتدخل في تحديد المقطع المنتخب بقدر ما تشكل الفكرة اللّبنة الأساس في تحديد ذلك، كانتخاب

(١) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٧٦، سورة البقرة: ١-٥ .

(٢) سورة البقرة: ٢٨٢.

(آية الإنفاق)[1]، التي لا يتعدى حجمها السطر أو الاثنين.

إن تناول النصّ القرآني الشريف من خلال (المقاطع) وليس من خلال الآيات (المستقلة) هو أكثر الطرق نجاحاً في عملية التفسير، ذلك لأن النصّ القرآني ليس مجرد آيات ينتظمها نسق معيّن أو نظم خاص، بقدر ما ترتبط كل آية بسابقتها ولاحقتها لتشكل فكرة جزئية مستقلة لا تصورها نفس الآيات إذا ما أُفردت وفسِّرت على انفراد.

فأُسلوب (المقطع القرآني) الذي اتّبعه السيد السبزواري قدس سره هو الأُسلوب الأقوم في دراسة النص، حيث إنّ السورة القرآنية إمّا أنها سوف تتضمّن فكرة جزئية واحدة، وهذا كما لو نظرت للسور القصار في الغالب، أو أنها سوف تكون متضمنة لمجموعة من هذه الأفكار الجزئية كما هي سمة السور الكبار في القرآن.

إذن، مفسِّرنا صاحب مواهب الرحمن قدس سره تناول (النص القرآني) من زاوية فكرته الجزئية متمثلة في (المقطع)، فالمقطع هو المظهر المعبّر عن الفكرة الجزئية.

وكذلك توحي هذه الطريقة من التفسير ـ بمستوى من مستوياتها ـ بالجمع بين صنفي التفسير (التجزيئي والموضوعي)، ويعدُّ الأخير أكثر تطبيقاً للمفاهيم القرآنية على ساحة الواقع؛ إذ (كانت عملية التفسير

(١) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٢٠٦، سورة البقرة:٢٥٤.

الموضوعي عملية حوار مُستوحاة من القرآن الكريم واستنطاق نصوصه في سبيل الكشف عن حقيقة من حقائق الحياة الكبرى)[١].

والدراسة التفسيرية تزداد قيمتها أكثر فيما لو كان التناول للنص القرآني يتم من خلال (البناء العام للسورة)، وذلك من خلال ملاحظة المقاطع من حيث ارتباط بعضها مع البعض الآخر، وإخضاعها لعملية فكرية عامّة تجمع بينها.

يقول الأُستاذ الدكتور عبد الرؤوف في هذا الصدد: «إنّ النصّ القرآني ليس مجرّد مقاطع أو آيات ينفصل بعضها عن الآخر، بل إنّ النصّ ينتظم في هيكل هندسي خاص نعبّر عنه بالسورة القرآنية»[٢].

وهذا إنّما يدل على أن لكل سورة قرآنية موضوعاتها الخاصّة بها، هذا من جانب، ومن جانب آخر لها بناؤها الهندسي الذي ينتظم أجزاءها، فضلا عن التناسب بين عناصرها اللفظيّة والصوريّة مع موضوعاتها من جانب ثالث.

إنّ المتتبع لموقف السيد السبزواري قُدِّسَ سِرُّه والذي قدم لنا وجهة نظر عن الأسباب التي دعته إلى عدم الارتكاز إلى (النظم بين الآيات)[٣]، يجده - في الغالب- عندما يتناول (مقطعاً) جديداً من السورة، فهولا يتردد في

(١) المدرسة القرآنية: ٢١-٢٣، بتصرف.

(٢) منهج السبزواري في التفسير: ١٤.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٧.

ربطه بما سبقه أو يلحقه من المقاطع، مع ملاحظة أنّ هذا الربط ينحصر في الإشارة إلى الموضوعات السابقة، والشروع في موضوعات جديدة، كما لا يغفل عن التلميح في بعض الأحيان إلى الأسباب الفنية لمثل هكذا ربط.

يبدأ السيد السبزواريقُدِّسَ سِرُّهُ ذلك عادةً بتبيين موضوعاته المرتبطة بما سبقها، ثم إردافه بعرض الخطوط العامة له، ومن الواضح أن انتخاب المقطع قد يكون استهلالاً للقسم الجديد من السورة، أو امتداداً لمقاطعه ذاتها.

ففي سورة البقرة مثلاً عندما ينتقل من قسمها الأول - وهو الخاص بذكر (المؤمنين والكافرين والمنافقين)- إلى قسمها الثاني المتضمن مطالبته تعالى بعبادة الناس إيّاه، وتذكيرهم بمعطياته الإبداعية، حيث يستهله بقوله: «بعد أن ذكر سبحانه في ما تقدّم أصناف خلقه، وهم المؤمنون المهتدون الفائزون، والكافرون الذين اختاروا الكفر، فطبع بذلك على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، والمنافقون الذين هم الأخسرون أعمالاً... دعا سبحانه وتعالى في هذه الآيات الناس إلى التوحيد والعبادة حتى تستعدّ نفوسهم إلى التقوى، ثم جلائل نعمه في السماء والأرض»[1]، وهي عملية ربط بين قسمي السورة وذلك من حيث تسلسل موضوعاتها.

غير أن السيد السبزواريرَحِمَهُ اللهُ عندما انتقل إلى القسم الثالث من سورة

(١) المصدر السابق ١: ١٤٧.

البقرة، نعني بذلك(قصة آدمعليه السلام) لم يتعرض لصلة هذه القصة بالقسم الذي سبقها، حيث استهل ذلك بالقول: «شروع في بيان قصة خلق آدم، والغاية من خلقه، وعصيانه، وهبوطه إلى الأرض»[١].

لكنه عندما انتقل للحديث عن (بني إسرائيل)، وهو يمثل القسم الرابع من هذه السورة الشريفة، رجع لعملية الربط بينه وبين القسم السابق عليه، حيث قالرحمه الله:« بعد أن ذكر سبحانه خلق الإنسان وحالاته وأطواره، خاطب طائفة خاصّة، وهم اليهود، وبدأ بذكرهم لأنهم أقدم الطوائف التي أرسل فيهم الأنبياء والرسل، وأنزل فيهم الكتب، وهم أوّل طائفة من الأُمم هبطوا من ذروة المقام الإنساني إلى درك حضيض البهيمية »[٢].

كما أنّ عملية الربط قد تأخذ أشكالا متنوعة من الخطوط التي تنتظمها، ومن جملتها، أن يختم المقطع السابق بفكرة تشكل بطبيعتها تمهيداً لمقطع لاحقٍ يستهدفه النصّ، ومثال ذلك انتقال النصّ القرآني من الحديث عن قصة (طالوت)[٣]، والتي ختمت بحادثة عسكرية قادها نبي الله داودعليه السلام،وقد عقب النصّ بأنهعليه السلامممّن آتاه الله تعالى الملك والحكمة، وختمها بمخاطبته للنبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٤].

(١) المصدر السابق ١: ٢٠٥.

(٢) المصدر السابق ١: ٢٧٩.

(٣) انظر: سورة البقرة: ٢٤٦-٢٥١.

(٤) سورة البقرة: ٢٥٢.

والذي أردنا أن نشير إليه هو أن الاختتام بظاهرة (المرسلين)، قد جعله النصّ القرآني بمثابة استهلال لمقطع جديد تحدّث عن مطلق الرسل، ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا﴾[١].

حيث تحدث عنه صاحب تفسير مواهب الرحمن قائلاً: « بعد ما ذكر سبحانه وتعالى في الآيات السابقة وجوب الإنفاق والجهاد في سبيل الله وإقامة الحق، وقد ضرب الله عزّ وجلّ لذلك مثلاً من الأُمم الماضية ليعتبر به المؤمنون، وختم الكلام بالمرسلين الذين هم واسطة الفيض، ذكر في الآية الشريفة أنّ تلك الرسل ميّزهم الله تعالى في الفضل والدرجات بعد ما أيّدهم بالبيّنات »[٢]، وبذلك لاحظنا أنّ مفسرنا السيد السبزواري قدس سره، قد انتبه لعمليه الربط من خلال خاتمة وبداية المقطعين.

إن سورة البقرة مثلاً وعبر تضمُّنها لمواضيع مختلفة تضل منطوية على محاور رئيسية يتكرر بعضها عشرات المرّات مثل(سمة التقوى)، وبعضها يتكرر مرّات متعددة مثل(ظاهرة الإماتة والإحياء)، بعضها يرد في هيكل قصصي، وبعضها يرد في التعقيب على قصة أو موقف، وهذا النمط من التكرار والذي يشكل أحد محاور السورة تتمثل وظيفته في كونه أحد الشبكات الرئيسية التي تلتقي عندها الروافد الصغيرة وتصب فيها.

(١) سورة البقرة: ٢٥٣.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ١٧٨.

بيد أنّ السيد السبزواري قدس سره لم يكن قد صب جانباً من اهتماماته التفسيرية الضخمة على مثل هكذا محاور، إلاّ أنه - وكما ذكر في مقدمة تفسيره- اقتنع بأنّ المهم هو تحقيق الهداية وتكميل النفس من النصّ، فيما لا ضرورة إلى رصد العمليات الرابطة بين أجزائه[1]؛ لذا نجده عند تناوله للمقطع المتضمن لظاهرة الإماتة والإحياء مثل(قصة البقرة) و(قصة نمرود) و(تقطيع الطيور) و(إماتة أحدهم مائة سنة وإحيائه) و(الأُلوف الذين قال لهم الله موتوا ثم أحياهم).

حيث عقب رحمه الله على ذلك بقوله: «الآية الشريفة في أُسلوبها الرائع وبلاغتها الخلابة تبيّن آية من الآيات الإلهية التي وقعت في الأُمم السابقة وقد ذكرها سبحانه وتعالى في ختام آيات الأحكام، لتثبيت ما ورد فيها من الأحكام التي لوحظ فيها مصلحة الفرد والنوع، وتوطئة لما يأتي من الآيات التي تدعو إلى بذل النفس والإنفاق وتبين أنّ جميع التدبيرات الأرضية تحت إرادة السماء وهي التي تحفظ الإنسان من جميع الشرور والأخطار، فيجب شكره، ولكنّ أكثر الناس لا يشكرون »[2].

لقد استخلص السيد السبزواري رحمه الله، دلالات النص من هذا المقطع بمهارة فائقة، والتي كشفت عن ذوقه الفني في تناول هكذا مواضيع، سواء

(١) المصدر السابق ١: ٧، بتصرف.

(٢) المصدر السابق ٤: ١١٢.

أكان ذلك من حيث ربطه للنص بما سبقه وبما يلحقه، أي قوله:(وتوطئه لما يأتي من الآيات التي تدعو إلى بذل النفس والإنفاق)، أو استكشافه لدلالة أن الأمر رهن إرادته تعالى.

ولعلّ النموذج الذي ختم به السيد السبزواري قُدِّسَ سِرُّهُ ممارسته لسورة البقرة، ونعني بذلك (الآيتين اللّتين ختمت السورة بهما)[1]. يجسّد طريقته بوضوح في خطوته التفسيرية الأُولى (انتخاب مقطع وربطه بالمقاطع الأُخرى)، وذلك من خلال استهلال الحديث عنه بتبيين صلته بما سبقه أو يلحقه من المقاطع والتعريف المجمل بمضمون المقطع.

حيث يقول رَحِمَهُ الله:«الآيتان الشريفتان من جلائل آيات القرآن الكريم تشتملان على مضامين عالية جمعت فيها مجامع الكمال، وفيها أدب العبودية ونهاية الخضوع والتذلل لله تعالى في أُسلوب بليغ جذّاب.

وفيها خلاصة هذه السورة الشريفة التي كان الغرض المتحصل منها: الإيمان بالله تعالى والعبودية له عز وجل، والإيمان برسله وما نزل عليهم، والطاعة له عز وجل بالائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه، والاتّقاء عمّا يوجب سخطه وعذابه، والإقرار بالبعث والنشور، وفيها قصص أهل الكتاب للعبرة، واللجوء إليه سبحانه وتعالى عما أصابهم بسبب تمردهم وطغيانهم، ومن بديع أُسلوب هذه السورة أنّها بدأت بالهداية للمتّقين وختمت باللجوء

(١) انظر: سورة البقرة: ٢٨٥ـ٢٨٦.

إلى الله تعالى لطلب الهداية والغفران والإذعان بالطاعة الذي هو أمل المتقين، وفي الآيتين فضائل وآثار مهمة نبّهت إليها السنة الشريفة »[1].

ومن خلال طريقة التلخيص التي عرضها مفسرنا السبزواري لمضمون هذا المقطع، يمكن ملاحظة عدة أُمور منها:

١ـ إنها تعدّ تعريفاً مجملاً بمضمونها.

٢ـ وفي الوقت نفسه حثّاً على الإفادة منها في تعديل السلوك البشري.

٣ـ وتقويماً للأفكار المطروحة فيها.

وهنا نرى أن السيد السبزواري قُدّسَ سِرّهُ،قد حقق من خلال هذا الأُسلوب الفني أكثر من وظيفة عبادية، فهو يحمل القارئ:

أولاً: أن يعي دلالة المقطع.

ثانياً: التفاعل مع الأفكار المطروحة فيه.

حيث يعتبر تحصيل مثل هكذا أُمور من الأهداف الفكرية المهمة التي يمكن أن نلتمسها عند مفسِّرنا من خلال ممارسته العلمية.

وأخيراً يمكن القول: إنّ عملية الربط التي قام بها صاحب تفسير مواهب الرحمن للمقطع بالهيكل العام للسورة القرآنية يعدّ من أبرز ملامح خطوته التفسيرية الأُولى.

---

(١) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٥٠٤، منهج السبزواري في التفسير: ٢٩ـ٣١.

الخطوة التفسيرية الثانية (التفسير):

الخطوة التفسيرية الثانية التي يتّبعها السيد السبزواري قدس سره هي صياغة عنوان عام هو (التفسير)؛ إذ يدرج ضمنه الممارسة التفصيلية في عملية التفسير، وطريقته في هذه الخطوة: هي(تفكيك المقطع إلى جمل أو فقرات)، فهو يتناول كل واحدة على حدة، ثم يوصِلُ بينهما ويختمها بعنوان يجمع به شتات التفصيل تحت مصطلح(والمعنى)؛ إذ يلّخص به مضمون الجملة أو الفقرة، وهذا يعني بدوره أنّ خطوطاً ثلاثة تلتقي فتشكل هذه الخطوة هي:

أـ عملية التفكيك

ب ـ التفسير

ج ـ المعنى

ومن خلال هذه الخطوة التفسيرية، سوف يتعرف القارئ على عدة أُمور:

١ـ التعرف على جزئيات المقطع.

٢ـ ما يقدّمه المفسّر من المعنى العام للجزئية.

٣ـ التعرف على دلالتها العامة بوضوح.

وقد اعتبرت هذه الخطوة التفسيرية هي الأكثر ملاصقة لعملية التفسير، باعتبار أنّ الخطوة السابقة عليها لم تكن إلا تمهيدا لها، أما الخطوة الثالثة فسوف تكون بمثابة تذييل له[1].

---

(١) انظر: منهج السبزواري في التفسير: ٣١.

أ. التفكيك:

إنّ الجملة أو الفقرة التي يستهل المفسّر حديثة عنها يتناولها أولاً من خلال بعدها اللُّغوي، أي التعريف بمفرداتها لغوياً، وهذا من نحو: ﴿الطَّلاَقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[1]؛ إذ يقول قدس سره: «المرّة من المرور- بمعنى الاجتياز والمُضيّ، وله استعمالات كثيرة في القرآن الكريم مفردة وتثنية وجمعا، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ﴾، ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ﴾، والمراد بها في المقام، التكرار والوقوع مرّة بعد أُخرى.

ومادة (مسك) تأتي بمعنى: التعلق والحفظ والاعتصام، قال تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾، ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾.

والمَسكُ - بالفتح- الإهاب لأنه يمسك البدن، والمَسَكُ - بفتحتين- الأسوار لاستمساكها باليد، والمسك - بالكسر- دم الغزال، وهو عطر مخصوص سمّي به لمساك عطره مدّة كثيرة. وفي الحديث: (لَخُلوفُ فمِ الصائمِ أطيبُ عِندي من ريحِ المِسكِ).

ومادة (سَرَحَ) تأتي بمعنى الإطلاق والإرسال ﴿وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحاً جَمِيلاً﴾»[2].

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٩.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ١٠، وترتيب الآيات: يونس: ١٢، التوبة: ١٠١،

وواضح من الأُنموذج المتقدم، أن السيد السبزواريقُدِّسَ سِرُّهُ يُعنى بالمفردة لُغوياً كل العناية؛ إذ يتناول جميع المفردات في النص، فيعرض إلى أصلها أوّلاً، وإلى صيغها ودلالتها ثانياً، وإلى معناها المعجمي ثالثاً، ويلتمس لها استخداما قرآنيا رابعاً وغير ذلك.

ب ـ الدلالة النصّية:

وهي شرح الدلالات الفكرية التي يتضمنها المقطع وبيانها.

ابتداءً وقبل أن نتناول الطريقة التفسيرية لمفسرنا الجليل في هذه الفقرة،لابد من تعريف الدلالة فنقول:

الدلالة مفهوماً: هي معنى (مصدري) يحتاج إلى فاعل وهو (الدال) وإلى مفعول وهو (المدلول)[١].

وكان ابن فارس الأقرب من الدلاليّن في الإطار والتحديد لمعاني الدلالة ومرجعها، فقد قال: (ومرجعها إلى ثلاثة: وهي المعنى والتفسير والتأويل، وهي وان اختلفت، فإنّ المقاصد بها متقاربة)[٢].

وبلحاظ التحليل الذي توخّاه من جعل الدلالة فيصلاً بين الأُطر المعنوية والجوانب التفسيرية التي هي جزء منها أو نتيجة لها، جاءت

الفرقان: ٧٢، الحج: ٦٥، زخرف: ٤، الأحزاب: ٤٩.

(١) انظر: المفردات في غريب القرآن: ١٧١.

(٢) الصاحبي في فقه اللغة: ١٩٢.

تقسيماته مستمدة من ذائقته البيانية وعقليته الاستدلالية، فالمعنى: لا يحصل بدون دلالة في جميعها من حيث القصد والإرادة والإظهار والكشف، أو الإفادة وعدمه، وكذلك التفسير: فالآية دالة مفسّرةٌ وإلا لما سمِّي تفسيرا. وكذلك الحال في التأويل: من انه تفسير للمعاني واستيعاب لما تشير إليه في الواقع[(١)].

الدلالة اصطلاحاً: عرّفها المنطقيون والفلاسفة بقولهم: (هي كون الشيء بحالة يلزم به العلم بشيء أخر، فالشيء الأول هو الدال والثاني هو المدلول)[(٢)].

وهذا ما ذهب إليه أيضا الأُستاذ فاخوري[(٣)]: لأنّ الدلالة عنده هي(المعنى) لا (الألفاظ)، أي يلزم من العلم بشيء العلم بالشيء الآخر.

وقد بيّن قطب الدين الرازي في المحاكمات على شرح الإشارات والتنبيهات للطوسي هذه العلاقة بقوله: «وبين اللفظ والمعنى علاقة غير طبيعية، لكّنها لكثرة تداولها صارت راسخة، حتى أنّ تعقل المعاني قلّما ينفك عن تخيُّل الألفاظ، بل يكاد الإنسان في فكره يناجي ذهنه بألفاظ متخيلة، فلهذا تختلف أحوال المعاني بحسب اختلاف الألفاظ»[(٤)].

وهذا ما نلحظه ـ مثلاًـ من خلال ممارسة السيد السبزواري في تفسيره

(١) المصدر السابق: ١٩٢ـ١٩٣.

(٢) انظر: حاشية السيالوتي ١: ١٧٤.

(٣) علم الدلالة عند العرب: ١٠.

(٤) شرح الإشارات والتنبيهات ١: ٢١.

لجزئية ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾[١]، إذ يقول قُدِّسَ سِرُّهُ، بعد عرض المرحلة اللُّغوية: « المحافظة على الصلوات هي المواظبة عليها بإقامتها في أوقاتها بحدودها وشرائطها، والإقبال عليها بالإخلاص والخشوع والخضوع، فالمحافظة أخص من مطلق الإتيان، لأنّ الحفظ عبارة عن التفقد والتعهد والرعاية. وإنّما عبّر ـ سبحانه وتعالى ـ بهذا اللفظ المشعر بفصل الآيتين لبيان أن كل من حافظ على الصلاة وأدّاها على ما هي عليه في الواقع، هي أيضا تحافظ على رعايته، فهي تردعه عن الفحشاء والمنكر، كما قال تعالى:﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ﴾، والصّلوات في الإسلام من أهم العبادات التي أمر الناس بها، فهي عمود الدين إن قبلت قُبِلَ ما سواها، وإن ردّت رُدَّ ما سواها »[٢].

إنّ مفسّرنا السيد السبزواري قُدِّسَ سِرُّهُ عندما يتناول هذه الجزئية أو تلك فهو يتناولها بنحوٍ تفصيلي يتجاوز به دلالتها النصيّة إلى ما يرتبط بها من ظواهر عبادية أو اجتماعية أو نفسية.

وقد لاحظنا من الأنموذج السابق تحليلاً للظاهرة العبادية، ومن أمثلة تحليله للظواهر النفسية هو تعقيبه على الآية الشريفة:﴿عَلِمَ اللّهُ أَنَّكُمْ

(١) سورة البقرة: ٢٣٨.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٩٠، سورة العنكبوت: ٤٥.

سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾[1]،حيث قال: «أي: أنّ ذكركم لهنّ أمر غريزي قهري، والله تعالى أصلح هذا الأمر الفطري بما هو صلاح لكم، فإنّ الشرائع الإلهية تراعي الميول الفطرية ولا تحطّمها، وإنّما تضبطها وتهذّبها حتى تستقيم معها الحياة السعيدة الصالحة للبشرية، فرخّص لكم التعريض بهنّ وإخفاء الرغبة في نكاحهنّ، دون ذكرهنّ باللسان حفظاً للآداب وصونا لجرح المشاعر »[2]، فهذه الفقرة قد انطوت على ملاحظة نفسية من خلال تحديدها للبعد الغريزي.

كما أنّ اكتشاف الدلالة قد يتم[3]:

- من خلال البنية اللفظية ذاتها.
- أو من خلال موقعها من النص وذلك:

أوّلاً: من حيث تقديم اللفظة أو العبارة وتأخيرها.

ثانياً: من حيث ذكرها وحذفها.

ثالثاً: من حيث تعريفها وتنكيرها.

فالألفاظ رموز لا تراد لذاتها، وإنّما بما تدل أو تشير إلى مدلولاتها، فهي تنتمي إلى نظام علائق تجري وفق قوانين اللغة لإبلاغ الفكرة القرآنية المطلوبة.

---

(١) سورة البقرة: ٢٣٥.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٧٢.

(٣) انظر: البحث الدلالي في تفسير الميزان(دراسة في تحليل النص): ٧٢.

ومن نماذج الوقوف على البنية اللفظية نواجه ما استشفه صاحب مواهب الرحمن من عبارتي (ربي) و(الله) عند ذكر النبي إبراهيم عليه السلام في محاججته مع نمرود، ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ﴾[١].

حيث علّق عليها قدس سره بقوله: «إنّما قال إبراهيم عليه السلام (ربي) لاعتراف الجميع بأن رب إبراهيم هو الله، وإنّما عدل عليه السلام عن الرّب لأن الرُبوبيّة قد صارت واضحة بإقامة الحجّة عليها في المرة الأُولى، فالتفت الخليل عليه السلام إلى أنه تعالى معبود الكل كما أنه ربّ الكل »[٢].

وأمّا بالنسبة لظاهرة (الذكر والحذف)، فإنّ صاحب تفسير مواهب الرحمن غالباً ما يركز على (الذكر)، وأمّا (الحذف) فلا يشير إلى أسبابه، بل كان يشير إلى مضمونه بعبارة يكرّرها هي: (ويستفاد من الآية الشريفة).

ومثال ذلك ما حذفه النص في (قصة طالوت)[٣] من تفصيلات كثيرة تتصل بالمعركة وملابساتها، ومنها:موافقة الإسرائيليين على مقترحات نبيهم بعد الاعتراض، والتوجه إلى ساحة المعركة، حيث عقب السيد السبزواري

(١) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٣١٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٤٦ـ ٢٥٢.

قائلا: «ويستفاد من الآية الشريفة: أنّ بني إسرائيل بعد أخذ المواثيق من نبيّهم وفوا بما قاله لهم، واتخذوا طالوت ملكاً عليهم، فنظّم الجنود ورتّبهم حسب درجاتهم ومراتبهم »[١].

وأمّا (الذكر) فقد ركز قدس سره عليه من خلال عملية تفسيره للنصوص القرآنية، ومن أمثلة ذلك تعقيبه على قصة نبي الله إبراهيم عليه السلام وتقطيعه للطيور الأربعة عبر سؤاله: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾[٢]، قائلاً:«يستفاد أنّ الغرض المقصود من السؤال هو مشاهدة كيفية إحياء الأموات المدلول عليها بقوله تعالى: ﴿تُحْيِي الْمَوْتَى﴾،حيث تدلّ العبارة على إحياء الجمع الكثير من الأموات بعد تلاشي أجزائها، واستمالتها وتبديلها إلى صورة أُخرى، فإنّ إحياء هذا الجمع أمر يستبعده الذهن بادئ الأمر، ولذلك كان الجواب مشتملا على قيود خاصة دخيلة في استيفاء الغرض المقصود»[٣].

ج. المعنى:

تتمثل في تلخيصه لما بيّنه من مفردات لغوية وشرح دلالي، وهذه المرحلة أقصر الحقول التفسيرية حجماً، إلا أن فيها كبير فائدة وعظيم نفع، ذلك لأنها تقدم حصيلة نهائية لمضمون المقطع، وهو المطلب الرئيس لدى

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ١٤٨.

(٢) سورة البقرة: ٢٦٠.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٣٣٧.

القارئ، لأنه من الطبيعي ستتوزع اهتمامات القارئ بين ما هو لغة، وما هو استشفاف أو احتمال.

وإذا بالمفسّر يقتاده بعد هذه الرحلة في حقوله اليانعة إلى المحطة الأخيرة التي يجني من خلالها ثمرة قراءته.

ويمكن ملاحظة هذه المرحلة بعد كل مقطع في التفسير، من ذلك ـ على سبيل التمثيل لا الحصر ـ تعقيبه على المقطع ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ﴾[1]، حيث يختم السيد السبزواري ذلك بقوله: «والمعنى: أن المطلقات ينتظرن ويمسكن بأنفسهن عن قبول الزوج حتى يرين ثلاثة أطهار»[2].

وفي تعقيبه على المقطع الذي يليه والمتمثل بقوله تعالى: ﴿وَلاَ يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ﴾[3] إذ يقول قُدِّسَ سِرُّهُ: «والمعنى: لا يحل للنساء أن يكتمن ما خلق الله تعالى في أرحامهن من الحيض أو الحمل استعجالاً للخروج من العدة، وإضراراً بالزوج في رجوعه، أو تطويلها لأجل أخذ النفقة»[4].

الخطوة التفسيرية الثالثة (بحوث المقام):

وهي الخطوة التي يمكن وصفها بأنها (ملحق) لخطوته التفسيريّة

---

(١) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٧.

(٣) سورة البقرة: ٢٢٨.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٦.

الثانية، كما كانت الخطوة الأُولى بمثابة (تعريف) أو (تمهيد) للخطوة الثانية، وتتميز الخطوة الأخيرة بوصفها (إضاءات)تحقّق مزيدا من الفائدة المعرفية فيما يخص القارئ الخاص المعنيّ بتفصيلات أكثر من النص.

وتتضمن هذه الخطوة حقولاً يجمعها عنوان موحَّد، وهو (بحوث المقام)، وهي متنوعة ومتكثرة، فمنها: (دلالي، أدبي، روائي، فلسفي، كلامي، عرفاني، اجتماعي، تاريخي، علمي، أخلاقي، قرآني، فقهي) هذه الحقول تعقب كل مقطع يتناوله المفسر ـ وليس كل جزئية ـ إلا أنها لا تطَّرد في المقاطع كلها بحيث لا تتخلف أو تختلف.

إنّ كلاً من هذه البحوث يتناول جانباً محدّداً من المقطع، ويلقي الإنارة على جوانبها تفصيلاً أو عابراً بنحو يشكّل إمّا توضيحاً لما ذكره في الخطوة التفسيرية الثانية، أو إضافة جديدة، أو تكراراً من خلال الإشارة المجردة إليه.

البحث الدلالي:

يأتي البحث الدلالي مباشرة بعد الخطوة التفسيرية الثانية غالباً، لأن هذا البحث هو امتداد للخطوة المذكورة، لأن البحث الدلالي تفسير لمضمون النص بطريقة الاستدلال.

يمكن ملاحظة ذلك في مباحثه الدلالية المبثوثة في أثناء التفسير، متمثلة في استخلاصه الدلالات الثانوية بالقياس إلى ما استخلصه سابقاً في

خطوتيه التفسيريتين، فمثلاً ذكر في خطوته التفسيرية الأولى إن النص أردف آية الكرسي التي تحدثت عن إخراج المؤمنين من الظلمات إلى النور وهدايته للمؤمنين: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّوُرِ وَالَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[1]، بان:«هناك هداية تحصل بالحجّة والبرهان كالتي مع إبراهيم عليه السلام وهداية للمشاهدة والعيان كالتي حصلت مع ذلك المؤمن الكريم الذي مر على القرية»[2].

فهناك قابل بين موقفين لحقيقة واحدة، لكن أحدهما موقف استدلالي عقلي، والآخر حسي تجريبي.

أمّا الموقف الاستدلالي العقلي فقد تمثل في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِـي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِـي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾[3]، وإنما خص الشمس بالذكر لأجل أنّها كانت من جملة المعبودات عنده[4].

وأمّا الموقف الحسي التجريبي فقد تمثل في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي

(١) سورة البقرة: ٢٥٧.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٣١٠.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٨.

(٤) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٣٢٦.

مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾[١]، حيث قالقُدِّسَ سِرُّهُ: «إنّ المارّ على هذه القرية قد أبدى إعجابه عن كمال قدرته جلّت عظمته ونهاية اقتداره فيكون اعترافاً بالحيرة وعدم الإحاطة بالخصوصيّات والجهات إلّا لله تعالى فقط، ويدلّ على ما ذكرناه في ذيل الآية الشريفة: ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، وإنّما أبهم سبحانه وتعالى اسم القرية واسم النبيّ الذي مرّ عليها، بل وزمان القصّة، لأنّ المراد إظهار القدرة التامة وأنّها غير مختصّة بوقت دون آخر، أو بمكان دون آخر، والأُسلوب البلاغي يقتضي عدم ذكر جهات القصة غير الدخيلة بالمقام، استعظاماً له واستضعافاً لغيره »[٢].

وأمّا في خطوته التفسيرية الثانية، فلم يشر إلى هذا الجانب، بينما أضاف في خطوته التفسيرية الثالثة استخلاصاً آخر هو: المقابلة بين شخصيتين يجسّد إحداهما الإخراج من الظلمات إلى النور، والأُخرى بالعكس، حيث قالقُدِّسَ سِرُّهُ: «إنّما ذكر الله تعالى قصة خليله بعد آية الكرسي للإشارة إلى أن مثل الخليل هو العروة الوثقى التي لا انفصام لها، وبواسطة مثله يخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور، وأنّ نمروداً وأمثاله من الطواغيت هم الذين يخرجون الناس من النور إلى الظلمات »[٣].

كما أبرز السيد السبزواري من خلال المبحث الدلالي جوانب فنية

(١) سورة البقرة: ٢٥٩.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٣٢٧ـ٣٢٨، سورة البقرة: ٢٥٩.

(٣) المصدر السابق ٤: ٣٢٥.

مثل استخلاصه لتكرار كلمة (انظر) ثلاث مرات، ودلالة كل واحدة منها على جانب خاص، حيث قالقدس سره: «إنّ الوجه في تكرار كلمة (انظر) في الآية الشريفة: ﴿وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾،أنّ في كلّ واحد من الموارد الثلاثة غرضاً خاصّاً وبرهاناً معيّناً لا يكون في غيره، فالأول لبيان ما يتوهم من قصر المدّة، بينما الثاني فهو لبيان طول المدة، وأمّا الثالث فكان لبيان كيفية البعث »[1].

وممّا تجدر الإشارة إليه أن البحث الدلالي لا يتمخض لمضمون أو دلالة العبارة لدى المفسّر، بل يتداخل مع البحوث الأُخرى كالبحث الأدبي أو الفني كما لاحظنا ذلك في الفقرة السابقة، ويتداخل مع بحوث أُخرى كالبحث الفقهي وغيره.

فمثلا طرحقدس سرهبحثا فقهيا في البحث الدلالي عقّب فيه على فقرة ﴿حَتَّىَ تَنكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ ﴾[2] على صحّة خطوته التفسيرية الرئيسية (أي الثانية)، بينما نجده في خطوته التفسيرية الثالثة يضيف استخلاصاً جديداً، هو تجسيد القصة الأُولى لعملية الاستمساك بالعروة الوثقى من خلال شخصية إبراهيمعليه السلام،حيث يقولرحمه الله: « استقلالها في النكاح من دون مراجعة الوليّ، وهذا صحيح بالنسبة إلى البالغة الرشيدة الكاملة.

(١) المصدر السابق ٤: ٣٢٨ـ٣٢٩، سورة البقرة: ٢٥٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٣٠.

وأمّا بالنسبة إلى غيرها فالدليل لا يشملها، وإنّ التمسّك بالآية المباركة فيها،من التمسّك بالدليل في الموضوع المشكوك، وهو باطل عند الجميع، وقد فصّلنا البحث في الفقه، ومَن شاء فليراجع النكاح من كتابنا (مهذّب الأحكام))»[١].

وواضح أنّ هذه الملاحظة فقهية، ويناسبها حقل (بحث فقهي) لا (بحث دلالي)، ولعل كون الجزئية التي تناولها في البحث حكماً شرعياً، هي التي سوغت لهقُدِّسَ سِرُّهُأن يداخل بين البحثين(الدلالي والفقهي).

البحث الأدبي:

يشمل هذا الحقل كلا الاتجاهين (اللُّغوي والبلاغي)، ويطرح السيد السبزواريقُدِّسَ سِرُّهُفي هذا الحقل - غالباً- مسائل لغوية خالصة، ويشفعها بمسائل بلاغية حيناً آخر، من ذلك - مثلاً- بحثه الأدبي في قوله تعالى:﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوَءٍ﴾[٢].

حيث استهلّه بالقول: « قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ﴾ جملة خبرية في مقام الإنشاء، وهو أبلغ من الإنشاء في الطلب والإيجاب، وفي كلمة (بِأَنفُسِهِنَّ) من البلاغة والإبداع ما لا يخفى، فإنها بإيجازها تشتمل على معان دقيقة بالإشارة والتلويح، فإنّ فيها ترك التصريح إلى ما تشّوق النساء إليه، والاكتفاء بالكناية عما يرغبن فيه وعدم ايئاسهن، مع

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٣٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٢٨.

اجتناب إخجالهن وتوقّي تنفيرهن أو التنفير منهن، فإنّ الكلام في المطلقات وهنّ معرَّضات للزواج وخلوهنّ عن الأزواج، ولا بد من ضبط النفس ومنعها أن تقع في غمرة الشهوة المحرمة »[١].

البحث الفقهي:

من الواضح أن البحث الفقهي ينحصر في آيات الأحكام المباشرة أو غير المباشرة، ومما هو جدير بالذكر، أن السيد السبزواري قدس سره يعرض للجوانب الفقهية عابراً إلا في سياقات خاصة، فيما يحيل القارئ إلى المؤلفات الفقهية والأُصولية أو لغيره.

من ذلك ـ مثلاً ـ جزئية: ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ﴾[٢]، إذ عقّب قدس سره قائلا: « قد استدلّ بالآية الشريفة «كلوا واشربوا» على إباحة الأشياء وحلّيتها، وجعلوها أصلاً عبّروا عنه بأصالة الإباحة العقلية والنقلية، وقد حرّرنا البحث عنه في كتابنا "تهذيب الأُصول" فلا حاجة للتعرّض هنا بعد ذلك...

ولكن يرد عليه: أنّ من شرط ظهور اللفظ في شيء، إحراز كون المتكلّم في مقام بيان ذلك الشيء، وإقامة الحجّة عليه، وهو غير محرز في المقام، ويكفي في عدم صحّة التمسّك بالإطلاق، الشكّ في ذلك على ما هو المتعارف في المحاورات، وقد حررنا ذلك في أُصول الفقه »[٣].

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ١٥، سورة البقرة: ٢٢٨.

(٢) سورة البقرة: ٦٠.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٣٧١.

البحث الروائي:

يشكل البحث الروائي واحداً من الأبواب الثابتة في حقول التفسير عند السيد السبزواري؛ إذ يرد – غالباً - لكل مقطع تفسيري، ويقدم فيه الروايات الواردة عن النبي وأهل بيته المعصومين عليهم السلام - أي التي تخصُّ تفسير المقام- كما أنّه يقدم الروايات التي تشير إلى فضل الآية أو السورة مثلاً، دون أن يعتمد في عرضه الروائي على الروايات الخاصة بالطائفة، من ذلك مثلاً تقديمه في الحقل الروائي عن «آيات الربا »[1]، ما يوضح هذا الجانب،حيث قال : «ونحن نتعرّض في هذا البحث إلى بعض الروايات التي وردت في حرمة الربا، وبعض ما ورد في موضوع الربا، والإشارة التي وردت في الأخبار، كما ننقل الروايات التي وردت في تفسير مفردات الآية المباركة)[2].

يقول الدكتور عبد الرؤوف: « الغالب على مفسرنا السبزواري قدس سره تعقيبه على الروايات بحسب ما يتطلبه السياق، فقد يكتفي بالإشارة إلى أنه تقدم في حقل التفسير أو الدلالة، بما يدل على مضمون الرواية، أو يحيل القارئ إلى أبحاث لاحقة، ولكنّه في أغلب ممارساته (يعقب) أو يشرح أو يناقش »[3].

أمّا تعليقاته فتنصبُّ على جملة ملاحظاته، فمن نماذج تعليقه على فقرة

(١) سورة البقرة: ٢٧٥ـ ٢٨١.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٤٥٩ .

(٣) منهج السيد عبد الأعلى السبزواري في التفسير: ٧٣.

﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا﴾[١]، قولهقدس سره:«عن الصادقعليه السلامفي قول الله عزّ وجلّ(وعلّم)، قال: الأرضين والجبال والشعاب والأودية. وعن داود بن سرحان، قال: (كنت عند أبي عبد اللهعليه السلام فقلت: جُعلتُ فداك، قوله تعالى(وعلّم)، الطشت والدستشان منه؟ فقالعليه السلام: الفجاج والأودية، وأهوى بيده كذا وكذا). أقول: الأمثلة التي ذكرهاعليه السلام من باب المثال لما كان موجوداً في زمان آدمعليه السلام لا الحصر »[٢].

إنّ النماذج المتقدمة تشكل خطوطاً عامّة لطريقة السيّد السبزواري في ممارسته الروائية،ولعل أوضح خطوطه ما أشار إليها الأُستاذ عبد الرؤوف بقوله: « أوضح خطوطه هو: الملاحظة أو التعقيب السريع أو المختصر للرواية، خلا ما يتطلبه الموقف حيناً من الإطالة، وهو أمر ينسحب على كل ممارساته، أي: إن القاعدة هي الاختصار، والاستثناء هو الإطالة »[٣].

لكن بما أنّ خط السيد السبزواري في تفسيره هو الاستدلال المختصر جداً على نحو ما لحظنا ذلك في بحوثه السابقة، حينئذ فإنّ تعامله مع الرواية يكتسب نفس الطابع، سواء أكان ذلك في ميدان تأكيده على أدوات الممارسة (الأداة الأُصولية وسواها...) أو مناقشته للآخرين.

(١) سورة البقرة: ٣١.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٢٢٨.

(٣) المصدر ا لسابق: ٧٦.

البحث الكلامي والفلسفي:

يحتل البحث الكلامي والفلسفي لدى السيد السبزواري مساحة واسعة من حقوله التفسيرية، مما يكشف عن تخصُّصه في هذا الميدان.

وهذا ما وافقنا عليه الأُستاذ عبد الرؤوف عبد الغفور بقوله: « وإذا كانت الحقول السابقة (بحث دلالي، أدبي، روائي، فقهي) تتّسم بالاختصار في الغالب، فإنّ البحث الكلامي والفلسفي يتسم بالطول والإسهاب والتفصيل»[١].

حتى إننا لنجد أن آية واحدة يرد فيها لفظ ((الشفاعة)) وهي ﴿لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ﴾[٢]، يعقب عليها السيد السبزواري قدس سره في حقل (بحث كلامي) بما يقارب (ستة وثلاثين) صفحة، يتحدث فيها عن (مفهوم الشفاعة)، (الشفاعة في الإسلام)، (الشفاعة في القرآن)، (ثبوت الشفاعة)، (الشفاعة في السنّة)، (الشفاعة والإجماع)، (الشفاعة والعقل)، (الشفاعة وشروطها)، (زمان الشفاعة) الخ[٣].

بيد أنّ هذا الحقل وما تبعه من الحقول الأُخرى، تظل أبحاثاً ثانوية الصلة مع عملية التفسير، بالقياس إلى البحوث ذات العلاقة الوثيقة مع النص(كالبحث الروائي والفقهي والدلالي).

فمن النماذج التي يرد فيها التناول عابراً ما طرحه قدس سره تحت عنوان

---

(١) منهج السيد عبد الأعلى السبزواري في التفسير: ٧٩.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٤.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٢١٤ـ٢٤٩.

«بحث كلامي» تعقيبا على قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾[١]، حيث أشار السيد السبزواري إلى أنّ ثمة نزاعاً بين المتكلمين، بقولهقُدِّسَ سِرُّهُ:« لكن في الإيمان نزاع آخر قديم بينهم، وهو أنّ العمل على طبق الوظيفة الشرعيّة جزءٌ مقوّم لحقيقة الإيمان، بحيث إنّ مَن لم يعمل بالوظيفة الشرعيّة، لا إيمان له، وإن كان له التصديق القلبي الجازم بأُصول الدِّين، أو أنّ العمل بالوظيفة الشرعية شيءٌ خارج عن أصل التصديق القلبي، فيكون مَن كان معتقداً بأُصول الدِّين، ولا يعمل بالوظيفة، مؤمناً ولكنّه فاسق »[٢].

ويجيبقُدِّسَ سِرُّهُعلى ذلك: «إنّ للإيمان كمالاً ونقصاً، وشدّة وضعفاً، والكفر له مراتب كمراتب الإيمان، من حيث الشدّة والضعف، ومن حيث الكمال والنقص »[٣].

وينتهي من ذلك إلى القول: «فإذا اجتمع الإيمان بالله تعالى قلباً، والإقرار باللسان، والعمل بما أمر الله، وترك ما نهى عنه، يكون مؤمناً، وإذا لم يتحقّق قلباً، وتحقّق لساناً وعملاً، يكون منافقاً، وإذا تحقّق قلباً ولساناً، ولم يتحقّق عملاً يكون فاسقاً »[٤].

والأمر كذلك حينما يتناول في حقل (بحث فلسفي) نفس الظاهرة،

---

(١) سورة البقرة: ٣.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ١٠٤.

(٣) المصدر السابق ١: ١٠٤.

(٤) المصدر السابق ١: ١٠٤ـ ١٠٥.

فيشير أولاً إلى أنَّ الإنسان مركب من الروح والمادة، وإن الروح نزلت من مقام شامخ إلى حضيض المادة، والبدن مستعد إلى العروج من مرتبة الحضيض إلى أوج الروح،فصار الإنسان جامعاً للكمالين،فهو بفطرته لا يمكنه إنكار ما وراء المادة فالإيمان بالغيب الذي حث الله تعالى عليه هو إرجاع الإنسان إلى فطرته[١].

وهكذا نجد أن السيد السبزواري يربط بين ظاهرة (الإيمان بالغيب وفطرة التوحيد)، من خلال إشارته السريعة إلى تركيبة الإنسان، بلغة واضحة مختصرة بسيطة، وقد يطرح ذلك من خلال لغة تتوكأ على المصطلح الفلسفي أو الكلامي اللذين يفقههما المتخصص فحسب.

إلا أن القارئ بنحو عام يمكنه أن يقف على الحصيلة إجمالاً كما في بحثه الفلسفي عن صفات الله تعالى الواردة في آية الكرسي[٢]، أو بحثه الفلسفي عن صفة(تكليمه)[٣] تعالى في قوله: ﴿مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللّهُ﴾[٤]، أو بحثه الكلامي عن النسخ[٥]، أو الجبر والتفويض والأمر بين الأمرين، مع ملاحظة أن أدواته الكلامية والفلسفية تتكئ على الموروث غالبا مع تطعيمهما بالأداة الحديثة.

---

(١) المصدر السابق ١: ١٠٢ـ١٠٣، بتصرف.

(٢) انظر: المصدر السابق ٤: ٢٤١ـ٢٤٣

(٣) انظر: المصدر السابق ٤: ١٦٦.

(٤) سورة البقرة: ٢٥٣.

(٥) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٥٢٧ـ٥٤٠.

البحث العرفاني والأخلاقي:

يظل البحث العرفاني والأخلاقي لدى السيد السبزواري قدس سره متناسقاً مع بحوثه الأُخرى من حيث الطرح والطريقة، وممّا لا شك فيه أن القارئ يتحسس أن تناول السيد السبزواري لهذا الجانب يقترن بتفاعله مع المادة المطروحة، أي تشعر بعرفانية وأخلاقية السيد السبزواري قدس سره، كما مر في ميدانه العرفاني والأخلاقي[1].

ما تقدم من البحوث، يمثل بحوثاً متكثرة العدد، وهناك بحوث أقل منها وهي:

البحث القرآني:

والملاحظ فيه أن النصّ يحصر حديثه في نطاق الآيات القرآنية كبحثه القرآني في الربا[2].فيما نعتقد إن إدراجه في حقول أُخرى لا يترك أثراً سلبياً على طريقته التفسيريّة، ما دام المفسر يوزع اهتماماته حسب ما يتطلبه التخصص في هذا الحقل أو ذاك.

البحث العلمي:

يتناول المفسر فيه مختلف ضروب المعرفة الإنسانية والعلمية منها مثلاً: تناول السيد السبزواري قدس سره ظاهرة السحر في قوله تعالى:﴿يُعَلِّمُونَ

(١) انظر: المبحث الأول من الفصل الأول.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٤٧١-٤٧٣.

النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ﴾[١]،حيث قدم في هذا الحقل بحثاً علمياً عن السحر عرّفه بالقول: « وأمّا السحر بالمعنى العلمي فهو ضرب من التأثير النفسي المشوب بالفتنة، وإظهار ما ليس بواقع بصورة الواقع المعبر عنه في القرآن الكريم بالتخيل والخداع، قال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ﴾»[٢].

بعد ذلك قسم العلوم إلى مادية وروحية ومزيج منهما كالسحر، حيث عقب على ذلك بقوله قدس سره:«من شدة اعتماده على الأثر النفسي يمكن لنا أن نقول انه في جوهره عمل نفسي له آثار مادية، ومن الواضح إن الأثر النفسي لا يمكن أن يتحقق إلا في محل قابل ومستعد لقبول ما يصدر عن الساحر، ولذلك كان تأثيره في الإنسان محدودا بالفرد الناقص من حيث المعرفة والكمال، ثم إنّ إنفاذ السحر وتأثيره في النفوس الضعيفة يتوقف على قوة الساحر، وأكاذيب يستعين بها على التأثير في وعي المسحور»[٣].

والحصيلة كما يقول الدكتور عبد الرؤوف: « إنّ حقل (البحث العلمي)يظل في واقعه امتداداً لحقول متنوعة حيناً، وتتمخض حيناً آخر إلى مسائل تتصل بضرب معيَّن من المعرفة »[٤]، كما لحظنا ذلك بالنسبة إلى موضوع السحر.

---

(١) سورة البقرة: ١٠٢.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن١: ٤٩٩، سورة طه: ٦٦

(٣) المصدر السابق ١: ٥٠٠.

(٤) منهج السيد عبد الأعلى السبزواري في التفسير: ٩.

البحث التاريخي:

يلقي فيه السيد السبزواري قدس سره إضاءات تاريخية على الحادثة أو الموقف أو البيئة التي رسمها المقطع القرآني، من ذلك مثلا بحثه التاريخي في قصة طالوت وقصة الألوف الذين ماتوا فأحياهم الله، وقصص الإسرائيليين وغيرهم، ممّا أجملتها النصوص القرآنية لأسباب فنية وسردها التاريخ(١).

البحث الاجتماعي:

يتضمن جانباً من التحليل أو التقويم للظواهر الاجتماعية التي يفرزها المقطع القرآني الكريم ـ من ذلك مثلاً ـ بحثه الاجتماعي في قصة طالوت حينما انتخب ملكا لتنفيذ الحملة العسكرية(٢).

وفي هذه الفقرة يقول الدكتور عبد الرؤوف: استثمر الباحث هذا الجانب ليطرح مفهوم المؤسسة السياسية أو الدولة، ويعرض وجهات النظر الأرضية حيال المؤسسة المذكورة وسبب نشوئها، فأشار إلى أربعة نظريات:

١ـ نظرية الانتخاب الإلهي.

٢ـ نظرية الانتخاب الطبيعي.

٣ـ نظرية التعاقد الاجتماعي.

٤ـ نظرية القوة(٣).

---

(١) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ١٦٦ـ١٦٩، سورة البقرة: ٢٤٦ـ٢٥٢، و٤: ١٢٠ـ١٢٣، سورة البقرة،٢٤٣، و١: ٤٠٧ـ٤٠٨، سورة البقرة: ٦٣ـ٧٤.

(٢) المصدر السابق ٤: ١٦٤ـ١٦٦.

(٣) منهج السيد عبد الأعلى السبزواري في التفسير: ٩٢.

ومن الطبيعي أن يرفض المؤلف أية نظرية أحادية الجانب، أي النظرية التي ترجع السبب إلى عامل واحد، حيث عقّب السيد السبزواري قُدِّسَ سِرُّه قائلا: «إنّ أصحاب كل نظرية من تلك النظريات إن أرادوا منها العلية التامة المنحصرة بحيث يمتنع تخلف المعلول عن العلّة، فالفرض بعيد في غالب ما ذكروه، وإن أرادوا بيان مجرد الاقتضاء فإنّ الجميع صادق؛ إذ يمكن أن يكون لشيء واحد مقتضيات كثيرة، وحيث إن العالم الذي نعيش فيه عالم الأسباب، وقد أبى الله تعالى أن يُجري الأُمور إلا بأسبابها فلا بد من انتهاء الجميع إلى مشيئته وإرادته بنحو القضاء والقدر، والأديان الإلهية والكتب السماوية تحكم بأنّ السبب هو الله تعالى، قال عزّ وجل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ﴾ ولكنّ ذلك لا ينافي أن يتحقق ما أراده الله تعالى بسبب من الأسباب الظاهرية، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ حيث إن مجرد كونه فرداً من الأفراد لم يكن مستحقا للملك الظاهري، بل اجتمع فيه بعض الصفات التي أوجبت استحقاق هذا المنصب.

ومما ذكرنا نعرف أنّ أكثر تلك النظريات ترجع إلى أمر واحد وهو أن الزعيم أو الملك إنما يكون كذلك إذا اجتمعت فيه الشروط المطلوبة. هذا بالنسبة إلى الحكومة الظاهرية.

وأمّا الحكومة الواقعية فلها شان آخر لا يعلم خصوصياتها إلا الله

تعالى، قال عز وجل: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾»[1].

إنّ هذا التحليل أو التفسير لظاهرة (لدولة) أو المؤسسة السياسية مع كونه يتناول - في فقراته الأخيرة- خصائص الحاكم وليس أسباب نشوء الدولة، إلا أنّه بشكل عام يفصح عن وجهة نظر خاصة تربط بين نشوء الدولة من جانب، وبين علاقة ذلك بالله تعالى والأسباب الطبيعية من جانب آخر.

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ١٦٥ـ١٦٦، وترتيب الآيات: آل عمران: ٢٦، البقرة: ٢٤٧، الأنعام: ١٢٤.

المبحث الرابع
خصائص أسلوبه اللغوي

من المعلوم أنّ اللغة عند كل مفسر هي لبنة التفسير وأداة التيسير، حيث ينطلق منها ليكشف عن الدلالات والمعاني، ومن هنا كان لزاماً على من أراد التفسير أن تكون هذه اللبنة واضحة المعالم والأُسس عنده؛ لضمان سلامتها في غايتها ونتيجتها[1].

وعليه فاختلاف الدلالة في مادة لغوية معينة يعني (اختلاف مدلول الآية عند المُفسِّر)، وبما أنّ الآيات القرآنية لا تخضع للدلالة المعجمية فقط - لأنّ هذه الدلالة تمنحها الجانب الذاتي التي تكوّن هذه الدلالات المفردة وتستمد منها- فالمفردة تتّسق في الأبحاث التي عرضت لها؛ لأنّ دلالة التركيب ما هي إلا دلالة مفرداته مع القرائن، فإذا وجدت القرائن فسوف تصرف المعنى، ولكن إذا لم تكن هناك قرينة فتحمل على معانيها، وعليه تكون دراسة دلالة التركيب هي دراسة لدلالة المفردة ضمنا[2].

(١) انظر: البحث الدلالي في تفسير الميزان(دراسة في تحليل النص): ٧٠ـ ٧١.

(٢) المصدر السابق: ٧١.

وقد صور (فنسك) حالة المفسر في تعامله مع التفسير بقوله: (إذا ما فرغ من البحث في معنى اللفظة اللُغوي، انتقل بعده إلى معناها الاستعمالي في القرآن، يتتبع ورودها فيه كلّه، لينظر في ذلك فيخرج منه برأي استعمالي. وبذا يهتدي بمعناها أو معانيها اللغويّة إلى معناها أو معانيها الاستعمالية في القرآن)[١].

وتتميز لغة مفسِّرنا السيد السبزواري قُدِّسَ سِرُّهُ بالإلفة والإحكام، خلافاً لما نلحظه من الركاكة أو العتمة أو الإلتواءات التعبيرية لدى بعض المفسرين الآخرين. وهذا أمر يثير الدهشة، خاصّة إذا عرفنا أنّه قُدِّسَ سِرُّهُ يكتب بلغته الثانوية.

ولعل من أبرز سمات طريقة السيد السبزواري قُدِّسَ سِرُّهُ في هذا الميدان:

أولاً: توجيه الحركة الإعرابية، أو المعنى النحوي حسبما يستقيه من وحي الآية المباركة ودلالتها، إذ يجعل الآية الكريمة منطلقه الأول بغية الوصول إلى توافق يراه مناسباً وموافقاً للقواعد والأُصول اللّغوية.

فهو قُدِّسَ سِرُّهُ لا ينصاع من أول وهلة للقواعد النحوية، ويتكلف ما لا طاقة له به لمطابقة آراء النحويين، إذا ما خالفت مقتضى الفهم القرآني؛ لأنها على غير ما قرّروه وأصّلوه من القواعد، إذ نراه ـ مثلاً ـ يجوّز الرفع والنصب في الفعل المضارع المسبوق بـ(حتى) في سورة البقرة: ﴿حَتَّى يَقُولَ

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٥: ٣٧٢.

﴿الرَّسُولُ﴾[١]، فيقول قدس سره: «ثم أنّ قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَقُولَ﴾ يجوز النصب والرفع... ولكن على الأول يكون غاية لما سبق، وعلى الثاني يكون ما سبق من الدواعي لصدور هذا القول من الرسول صلى الله عليه وآله، وكلاهما صحيح، لما ذكرناه من أنّ الرسول صلى الله عليه وآله يستمد العون منه عزّ وجل دائما في جميع الأحوال، حالاً ومقالاً»[٢].

ثانياً: اعتماده القرائن لفهم المراد من الآية، وعدم توقفه على المعنى اللُّغوي أو غيره، فنراه مثلاً يتخذ من السياق ودلالته مندوحة لفهم النص، إذ يقول في الآية الكريمة ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[٣]: «إنّ لفظ الخطاب (إيّاك) استعمل هنا في مقام الحصر، ويستفاد الحصر في المقام من سياق الآية المباركة؛ لأنّ من كان ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾، ﴿الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ﴾، ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، لا وجه لعبادة غيره، فإنّ غيره مطلقاً مملوكٌ له تعالى ومحتاج إليه »[٤].

ثالثاً: لا يتعمق أو يتكلف ويثقل طيّات بحثه الأدبي بذكر الاختلافات بين النحويين، أو حجج كل فريق في الآية التي تحتمل أكثر من وجه أعرابي أو توجيه لغوي، بل يعمد إلى إحالة القارئ إلى أُمَّهات كتب النحو

(١) سورة البقرة: ٢١٤.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٣: ٣٠٨.

(٣) سورة الفاتحة: ٥.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٤٣.

والإعراب دونما تخصيص أو تفضيل، ثم يقرّر ويختار ما يراه مناسباً لفهم الآية الشريفة، كما في بحثه الأدبي في قوله تعالى:﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لا أَمْلِكُ إِلاَّ نَفْسِي وَأَخِي﴾[١].

قال السيد السبزواري :« ويجوز في (أخي) وجوه من الإعراب،منها: إنّه منصوب بالعطف على اسم« إنّ » ،أو أنّه مرفوع بالعطف على فاعل (أملك) للفصل،أو أنّه مبتدأ خبره محذوف،أو أنّه مجرور بالعطف على الضمير المجرور على رأي بعض النحويّين.وأشكل على بعض الوجوه بأمور مذكورة في محلّها،فراجع »[٢].

رابعاً: لم يفت السيد السبزواريقدس سره الإشارة إلى النكت البلاغية، وجمالية التعبير، وجعلها منطلقاً لفهم النص، لما يراه موافقاً لنظم القرآن الكريم ومبادئ الأنبياء والنبي والأئمةعليهم السلام،ويدلّنا على ذلك قولهقدس سره في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ﴾[٣]؛ إذ يقول: « الظرف في قوله تعالى «من أنصاري» متعلّق بأنصاري، بتضمين النُصرة معنى السلوك والسير والذهاب، كما في قوله تعالى حكاية عن إبراهيمعليه السلام:﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[٤]، والتضمين من المحسّنات البلاغيّة »[١].

(١) سورة المائدة: ٢٥.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١١: ١٥٩.

(٣) سورة آل عمران: ٥٢.

(٤) سورة الصافات: ٩٩.

خامساً: قد يلّوح السيد السبزواري قدس سره إلى بعض التصويبات اللُّغوية، أو التعديلات الاستعمالية في أصل اللّغة[٢].

سادساً: خالف السيّد السبزواري رحمه الله في جملة من مباحثه الأدبية آراء علماء العربية، وأخص بالذكر النحويين منهم.

حيث كان ذو وجهة نظر خاصّة به، تدل على تبحُّره في علوم العربية ومطالبها، واطّلاعه بدقة متناهية على خفيّات أسرارها البلاغية والتي تمثل الركيزة الأساسية، واللّبنة الرئيسة لفهم النص القرآني الشريف وإفهامه، وكذلك تعدّ من أهم مرتكزات المفسِّر ومقومات علمه.

والسيد السبزواري قدس سره كثيراً ما يصرح ويدعو لنقض مبدأ النحاة في تقريرهم القاعدة النحوية، ثمّ عرض القرآن الكريم عليها.

لهذا فإنّه رحمه الله يرى من الواجب أنْ نجعل القرآن الكريم أصلاً ومنهلاً، ومنه نستقي العلوم والمعارف والقواعد.

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٥: ٣٩٩.

(٢) انظر: المصدر السابق ٢: ١١٩و١٦٨ـ١٧٢

المبحث الخامس
خصائص أسلوبه البياني

من الواضح أنّ عملية التفسير للقران الكريم لو كانت تتناول المضمون العام للنص فهي تتطلب أداتين رئيسيتين:

الأولى: الثقافة الشرعية

تتمثل في الاتّكاء على النصوص التفسيرية الواردة عن النبي وأهل بيته عليهم السلام، وما يواكبها من عملية الاستدلال في استكشاف هذه الدلالة أو تلك.

الثانية: الثقافة الفنية

تتمثل في الاتّكاء على الحاسة الجمالية لدى المستكشف بما في ذلك إلمامه بأهمّ الأُصول النظرية للفن[1].

ومن الطبيعي - إذن- أنْ يكون ثمة تفاوت بين باحث وآخر فيما يخص الثقافة الفنية التي يمتلكها من حيث كونها موروثة، أو جديدة، أو غير ذلك، حيث أنّ الركون إلى الثقافة الحديثة تهب النص أبعاداً أكثر تغلغلاً وأعمق دلالة.

---

(١) انظر: منهج السيد عبد الأعلى السبزواري في التفسير: ٩.

إنّ شخصيات من أمثال الشيخ الطوسي قدس سره والشيخ الطبرسي قدس سره ، وسواهما من عصر الموروث قد توافروا على دراسة النص القرآني الشريف، كما أن العلاّمة الطباطبائي رحمه الله وغيره في الأزمنة المعاصرة، قد اتجه إلى الحقل المذكور أيضا.

فيما تتميز هذه الشخصيات بتناولها الدلالة العامة من النص، وبالتوافر على دراسته كاملاً ـ أي جميع السور القرآنية ـ وأنّها على نحو التفصيل، زيادة على العمق والشمولية، غير أنّها تتفاوت في مستوى العرض والاستكشاف لتلك الدلالات النصية.

وإذا كان الشيخ الطوسي، والطبرسي «رضوان الله عليهما» من الموروثين يتماثلان من جانب في منهجهما التفسيري ويفترقان من جانب آخر، ويفيد المتأخر من المتقدم من جانب ثالث، فإنّ الطباطبائي والسبزواري «قدس سرهما» تطبعهما السمات المذكورة، أي التماثل والاستقلال والتأثر والجدة.. الخ[1].

وممّا لا تردُّد فيه أنّ شخصية السيد السبزواري قدس سره تشرق بنورها الوضّاء لتعاصر النص وآلياته ومفاهيمه، ولتعطي صورة دقيقة لمنعطفات الوحي المُنْزل، وتكوّن مادة كبيرة وشاملة تجابه كل إشكاليات ومفاهيم التفسير القرآني في كتابة التفسير.

---

(١) انظر: المصدر السابق: ١٠.

والـذي يهمنـا ونحـن فـي هـذه الدراسـة الخاصـة بتفـسير «مواهب الرحمن» للسيد السبزواري قدس سره، أنْ نركّز على الاتجاه الشمولي في بيان مضامين سور القرآن الكريم، إذ يمثّل تفسير «مواهب الرحمن» معلماً بارزاً، ومصداقاً واضحاً لمدرسة إمتازت برؤيتها الشمولية التي ترى أنّ الفكر التفسيري يجب أنْ لا يتأطّر بإطار معين، ولا يخضع لاتّجاه محدد، بل يجب أنْ يتحول إلى دائرة معارف قرآنية شاملة.

ولعل من أبرز سماته في هذا الميدان ما يلي:

١ . الشمولية والموسوعية

القارئ في تفسير مواهب الرحمن كالمتجوّل في الحقول والبساتين يقطف من كلّ حقل زهرة، ومن كلّ شجرة ثمرة، فهو قدس سره يُمّهد لك المضمون والمحتوى، ثمّ يسير بك إلى الأعماق؛ لتعيش مع النص القرآني في كلّ أبعاده وشؤونه.

٢ . الجمال الصياغي

تَميّز تفسير مواهب الرحمن بكونه: جميل الصياغة، سهل العبارة، متحرزاً عن الإيجاز والإطناب الممل، «أبعد ما يكون عن العبارات المغلقة والألفاظ الصعبة حتّى يعمّ النفع للجميع، وتتمّ الحجّة به عليهم»[(١)].

٣. النفس العرفاني

يلمس القارئ لهذا التفسير الروح العرفانية العالية في آراء السيد

---

(١) المفسرون حياتهم ومنهجهم: ٣٣.

السبزواري قدس سره التي يفوح أريجها من زهرة تفسيره الميمون (مع ما فيه من العمق الدلالي، والدقائق العلمية، ويسلك به إلى السير والسلوك العرفاني)[١].

٤. التوثيق والتتبُّع العلمي

إنّ تفسير مواهب الرحمن يتميّز بالبحث الروائي، وإبداعه في الجمع بين النصوص المتعارضة مع سلامة الذوق في فهم النص ودلالته[٢].

وجاءت هذه الموهبة الدقيقة في الجمع بين النصوص؛ نتيجة الممارسة الاجتهادية طول هذه السنين المتطاولة في ذوق رحيق الاجتهاد، والرؤية الواضحة لتعارض الأدلة الاجتهادية، فأعطته سلامة الذوق في فهم النص والدلالة.

ولذلك كان من المحتّم على المُفَسِّر أنْ يكون مجتهداً في النص الديني، أقصد بذلك الاجتهاد الدقيق الذي يعرف عملية فهم النصوص الدينية.

٥. نظرة تجديدية

يرى السيد السبزواري قدس سره أنّ للقرآن الكريم نظرية خاصة في الوسط تغاير النظريات الأخرى التي قامت على إفراط وتفريط في النظرية الأخلاقية، ولكن القرآن الكريم اتّبع نظرية الوسط التي حافظت على عدم

(١) صفحات مشرقة: ١٢٤.

(٢) المصدر السابق: ١٢٥.

إفراطها وتفريطها في المنطق الرسالي هذه النظرية الإعتدالية شملت مساحات كبيرة وعامة في النص الديني.

يقول قدس سره بهذا الصدد: «إنّ للقرآن نظرية خاصة في الوسط تغاير النظريات الأخرى، فقد اعتمد القرآن على (التقوى) التي ورد ذكرها فيه أكثر من (مئتين وخمسين مرة)، كقوله تعالى:﴿فألهمها فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾[1]، وعدّها محور الكمالات الإنسانية، ومعيار الفضائل، وميزان الأخلاق، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾[2].

والمراد من التقوى في نظر القرآن هي: الجهد المحمود الحاصل من الفرد المتواصل في خدمة التكليف في جميع نشاطاته وعلاقاته مع نفسه ومع ربّه والناس أجمعين»[3].

وبهذا يتبين لنا ـ كما هو واضح ـ أنّ السيّد السبزواري قدس سره يعدّ التقوى الأساس الذي تبنى عليه الأخلاق في القرآن الكريم فهي الطريق إلى التخلّق بالأخلاق الفاضلة واكتساب الفضائل، وإزالة الرذائل، وبالتقوى يصير الإنسان باراً، ويصبح من الصديقين، وبها يتهيأ لقبول الكمالات

(١) سورة الشمس: ٨.

(٢) سورة البقرة: ١٩٨.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢: ٤٠٧ ـ ٤٠٨، بتصرف.

الفاضلة، ويحدد سلوكه الأخلاقي وبها يصير الإنسان عادلاً موفقاً بين رغباته وأحاسيسه وعواطفه، من دون أنْ يقع في متاهات النظرية الوسطية القديمة، وأخيراً هي القاعدة العامة التي يمكن التوفيق بينها وبين سائر التكاليف، وبها صارت هذه الأمة وسطاً في جميع الشؤون[١].

(١) المصدر السابق ٢: ٤٠٨-٤٠٩، بتصرف.

الفصل الثالث

الخطوط التفصيلية للمنهج التفسيري عند السبزواري

وفيه خمسة مباحث:

- المبحث الأول: تفسير القرآن بالقرآن
- المبحث الثاني: موقع الروايات والأخبار في التفسير
- المبحث الثالث: مدى تعرضه لأقوال المفسرين واحتجاجه بها
- المبحث الرابع: مدى أخذه بالسياق
- المبحث الخامس: المنهج الإشاري (العرفاني) في التفسير

المبحث الأول
تفسير القرآن بالقرآن

وفيه ثلاثة محاور:

المحور الأول: بيان المراد من تفسير القرآن بالقرآن

تفسير القرآن بالقرآن هو توضيح آيات القرآن الكريم وبيان مقصودها بواسطة آيات أخرى، وبعبارة أخرى تكون آيات القرآن بمثابة المصدر لتفسير آيات أخرى[1].

أو أنّه: «مقابلة الآية بالآية وجعلها شاهداً لبعضها على الآخر؛ ليستدل على هذه بهذه لمعرفة مراد الله تعالى من القرآن الكريم»[2].

والقرآن الكريم هو عماد الأدلة النقليّة جميعها، وقد فزع النحاة جميعاً إلى الاعتماد عليه في الاستدلال على قواعدهم وأصولهم، ومنهم من توسع في الاعتماد عليه كابن هشام، وابن مالك الذي قيل عنه: إنّه كان يعول على اللفظة الواحدة تأتي في القرآن ظاهرها جواز ما يمنعه النحاة فيعول عليها، ويخالف الأئمّة[3].

---

(١) دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: ٥٨.

(٢) انظر: المصدر السابق: ٥٨.

(٣) انظر: في أدلة النحو: ٢٧.

وتعتبر هذه الطريقة من أقدم الطرق في تفسير القرآن، وهي أحد أقسام المنهج النقلي؛ إذ أنّ الأخير ينقسم إلى قسمين: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالرواية.

يقول الزمخشري(ت ٥٣٨هـ)في هذا المعنى: «أسدّ المعاني ما دل عليه القرآن»[١].

ويقول ابن تيمية: «أصح الطرق في ذلك - يعني في التفسير- أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أُجمل في مكان فقد فُسّرَ في موضع أخر، وما أُختصر في مكان فقد بُسط في موضع أخر »[٢].

ويقول أيضاً: «لم يكن هذا اللون من التفسير غريباً على المفسرين القدامى منهم والمحدثين، بل عدّهُ العلماء أول الطرق في تفسير القرآن الكريم؛ لتصريحهم بأن من أراد تفسير الكتاب العزيز، طلبه أولاً من القرآن فإنْ أعياه ذلك، طلبه من السنّة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له»[٣].

ورائد هذه الطريقة في التفسير هو الرسولﷺ نفسه، إذْ كان يستعين ببعض الآيات في تفسير بعضها الآخر، ففي معنى قوله تعالى: ﴿وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾[٤]، أخرج أحمد والترمذي عن أبي

---

(١) الكشاف ٢: ١٩٣.

(٢) مقدمة في أصول التفسير ١: ٤١ .

(٣) المصدر السابق ٢: ١٧٥-١٨١.

(٤) سورة إبراهيم: ١٦-١٧.

أمامة عن النبي ﷺ: « يُقرّب إلى فيه فيكرهه فإذا أُدني منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه، فإذا شربه قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره ، يقول الله تعالى: ﴿وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ ﴾، ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً ﴾»[(١)].

وكذلك فَسّر رسول الله ﷺ (الظلم) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[(٢)] بالشرك، واستدل بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[(٣)].

ولم يقف هذا اللون من التفسير على عصر النزول فحسب وإنما تعداه إلى عصر الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ،يقول الذهبي: «وهو - يعني تفسير القرآن الكريم بالقرآن- ما كان يرجع إليه الصحابة في تعريف بعض معاني القرآن»[(٤)].

فالصحابة كانوا يستعينون بالقرآن في تفسير القرآن، ففي قوله تعالى: ﴿وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ﴾، استنبط الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام أنّ أقل مدة

---

(١) مسند أحمد ٥: ٢٦٥، وانظر: الإتقان في علوم القرآن ٤: ٢٦٥، وترتيب الآيات: محمد: ١٥، الكهف: ٢٩.

(٢) سورة الأنعام: ٨٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم ٤: ٤٤٤، سورة لقمان: ١٣.

(٤) التفسير والمفسرون ١: ٤١.

للحمل ستة أشهر؛ لقوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً﴾[١]. ويصف الإمام عليه السلام القرآن بقوله: « ينطق بعضه ببعض، ويشهد بعضه على بعض »[٢].

وتابع الصحابة -على ذلك التابعون- في تفسيرهم لبعض الآيات، فقد ذكر الطبرسي في بيان معنى(الغاشية) في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾[٣]: «عن محمد بن كعب القرظي وسعيد بن جبير أنّ الغاشية هي النار تغشى وجوه الكفار، وهو قوله تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ النَّارُ﴾»[٤].

المحور الثاني: بيان منهجية السبزواري في تفسير القرآن بالقرآن

يمكننا أن نُبيّن منهجيته في تفسير القرآن بالقرآن بالأمور التالية:

١ . توضيح الآيات المجملة بواسطة الآيات المفصّلة

وردت بعض الآيات في القرآن الكريم بصورة مختصرة، فيما جاء بيان هذا الموضوع بصورة مفصّلة في آياتٍ أُخر، فالمجموعة الثانية من الآيات تُفسّر الأُولى.

وبعبارة أُخرى: قد لا يُفهم المعنى المراد من الآيات المُجملة دون الرجوع إلى الآيات المبيّنة.

(١) تفسير القرآن العظيم ٣: ٤٤٥، ١٣٧٣ ، وترتيب الآيات: لقمان: ١٤، الأحقاف: ١٥.

(٢) شرح نهج البلاغة ٨: ٢٨٧.

(٣) سورة الغاشية: ١.

(٤) مجمع البيان ١٠: ٤٧٨ ،إبراهيم: ٥٠.

مثال ذلك: أشار القرآن الكريم إلى مسألة أكل لحوم الحيوانات بقوله: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾[1]، وقال في (آية أُخرى): ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾[2]، ففي الآية الأولى جاء تحريم لحوم بعض الحيوانات بصورة مجملة، وأنّه سوف يأتي تحريم بعض أنواع اللحوم في المستقبل، وقد بُينت هذه الموارد في الآية الأُخرى؛ لذا تكون الآية الثانية مُفسّرة للآية الأُولى، وهذا ما أشار إليه السيد السبزواري حيث قال :« قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ﴾، إنّما هو حكم امتناني إلهي يبيّن ضروريات الإنسان في معاشه، وهو من العهود التي أمر الله تعالى بالوفاء بها، وفيه التفصيل بعد إجمال، فقد ذكر (عزّ وجلّ) القاعدة العامّة في ما يحلّ أكله من الطعام، ثمّ استثنى ما يكون محرماً، فذكر بعض الحالات التي يحرم فيها الصيد وأكله في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾، فكانت بيان لقوله (عزّ وجلّ): ﴿إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ﴾، حيث ذكر تعالى في هذه الآية الشريفة الأمور التي استثناها آنفاً من الحكم العامّ ممّا وعد بتلاوتها في القرآن الكريم، وهي عشرة أشياء، وأحلّها في حال الاضطرار والمخمصة»[3].

---

(١) سورة المائدة: ١.

(٢) سورة المائدة: ٣.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٠: ٢٨٥ـ٢٨٦ـ٢٣٠ـ٢٣١، بتصرف.

وفي تفسير قوله تعالى:﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾[1]، أراد أن يبيّن معنى(لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ) لما فيها من غموض، ولاحتمالها عدّة معان تحتاج إلى نظر وتدبر،فاستعان بالآية نفسها وبآيات أُخرى، فقالقدس سره:« الآية الشريفة ترشد إلى أمر مهمّ في الحياة مطلقاً- ولا سيما المعنوية- يحتاج في سيره وسلوكه في المكارم والصفات الحسنة والأعمال الصالحة إلى أساس قويم، يمكن أن يعتمد عليه لإقامة الحقّ والدين وتهذيب نفسه، كما تتوقّف الأُمور الجليلة على الصبر وقوّة العزيمة، والجهاد على الثبات وتحمّل الأذى والعبوديّة على التقوى والورع عن محارم الله،... وقد أشار إلى هذا المعنى القرآن الكريم في مواضع مختلفة منها قوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً﴾، وغير ذلك من الآيات التي تبيّن أنّ الشرائع الإلهيّة ودين الله (عزّ وجلّ) لا يمكن إقامتها بمجرّد هوى نفسانّي، أو اتباع لفظيّ من غير دليل عملّي، فيرجع معنى الآية إلى بيان أنّهم فاقدوا العماد الذي يجب أن يعتمدوا عليه في إقامة دين الله...

وهذا المعنى بعينه يجري في الأمور المعنويّة -كما عرفت- فصارت

(١) سورة المائدة: ٦٨.

من الحقائق الواقعيّة التي خاطب الله (عزّ وجلّ) بها الأنبياء الكرام والأُمم، فقال (عزّ من قائل) مخاطباً نبيّه موسى عليه السلام في أمر التوراة: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُواْ بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾، وقال تعالى مخاطباً يحيى عليه السلام: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيّاً﴾، وقال خطاباً لبني إسرائيل: ﴿خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾»[1].

وقد تأتي الآية مُفصّلة لما ذكره الحق تعالى في آية سابقة مُجملة، فيقوم بالربط بين الآيتين ببيان التفصيل الوارد للآية المجملة، فبعد بيانه للآية التي ذكرت جزاء الكفر بالميثاق – الذي أخذه منهم – وهو الضلال، يتطرق لآية أُخرى تكون تفصيلاً لما يوجب الضلال، كما في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِم بَآيَاتِ اللّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقًّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[2]، علق عليها بقوله: « تفصيل بعد إجمال، فإنّه تعالى بعد ذكره جزاء الكفر بالميثاق – الذي أخذه منهم – وهو الضلال، في قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ وَمَن يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ﴾، ففي هذه الآية الشريفة يبيّن تفصيلاً لما يوجب الضلال، كتحريف الكلم عن

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٢: ٤٩ـ٥١، وترتيب الآيات: الحشر٢١، الأحزاب٧٢، الأعراف١٤٥، مريم: ١٢، البقرة: ٦٣.

(٢) سورة النساء: ١٥٥.

مواضعه، أو نسيان الحظّ الذي أُتوه، ونقض المواثيق، وأنواع النقم، كاللعن وقساوة القلوب وغيرها »[١].

٢ . تعيين معنى الآية بالآيات الأخرى

استفاد السيد السبزواري في تعيين معاني بعض الآيات الشريفة بما ذكره من آيات أُخرى، واستفاد بعض الأحيان المعنى من نفس تلك الآية، فكانت ممارسته التفسيرية من خلال هذه العملية على أنحاء منها:

أ. تعيين احد احتمالات معنى الآية بالآيات الأخرى

قد توجد هناك احتمالات متعددة في معنى الآية فنقوي أحد الاحتمالات من خلال مراجعة آيات أخرى، أيّ أنّ هذه الآيات تبين وتفسر آيات أُخرى.

وبعبارة أُخرى: قد يذهب المفسر أحياناً إلى معنى واحد من المعاني المطروحة في الآية، معززاً إياه بقرائن مستفادة من الآية نفسها، أو من آيات أُخرى، أو تعيين مصداق الآية بواسطة الآيات الأخرى.

كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[٢]، اختار السيد السبزواري أن تكون الخلافة لآدم عليه السلام من حيث نبوته، وكونه حجة الله، خلافة شخصية، ومن حيث كونه آدم أبا البشر، نوعية.

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١١: ٧٠، سورة البقرة: ١٠٨.

(٢) سورة البقرة: ٣٠.

يقول :« وللعلماء في جعل الخليفة في الأرض قولان:

الأول: إنّ جعل آدم خليفة عن نوع آخر كان في الأرض، ذهب الله تعالى بهم بعد أنْ أفسدوا وسفكوا الدماء، واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾، ومن سؤال الملائكة قياساً على معنى آخر،﴿ قَالُواْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾.

الثاني: إنّ الله جعل آدم خليفة في الأرض كما يشهد له قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ﴾...

والحق - والكلام للسيد السبزواري - أنْ يقال: إنّ المُستَخلَف عنه في المقام الأعمّ ممّا ذكروه، فإنّ الإنسان فيه جهتان: جهة البدن والجسم، وجهة الروح وهو مزيجٌ منهما، فقد تعلّق جعله تعالى بآدم من جهتين:

الجهة الأولى: (الجسمانية)، حيث باشر تعالى بنفسه في خلقه ونفخ فيه من روحه، فيكون من هذه الجهة خليفة عن غيره تكويناً.

وأما الجهة الثانية: (المعنوية)، فقد تعلقت الإرادة الإلهية بجعله خليفة، كما تعلقت بجعل داود خليفة في الأرض، ويشهد لذلك ما استفاض عن الأئمة الهداة عليهم السلام:« إنّ أول مخلوق على وجه الأرض هو الحجّة، وآخر مَن يموت هو الحجّة »، فتكون الخلافة لآدم عليه السلام من حيث نبوته وكونه حجة الله، خلافة شخصية، ومن حيث كونه آدم أبا البشر

نوعية، كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ﴾ الآية، إذ لكل طبقة لاحقة خلافة تكوينية بالنسبة إلى الطبقة السابقة في دار الكون والفساد، فتكون الخلافتان متلازمتان »[(١)].

وقد يستدل السيد السبزواري على المعنى المراد من نفس الآية،ففي تفسيره لآية: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾[(٢)]، استدل من خلال نفس الآية على نفي إلوهية عيسى عليه السلام، وأنهّ ليس إلاّ عبداً كسائر العبيد، أنعم الله تعالى عليه حيث جعله آية، بأنّ خلقه من تراب كما خلق آدم عليه السلام...حيث قال :«قوله تعالى يتضمن على براهين متعدّدة، تدلّ على نفي إلوهية المسيح عيسى بن مريم، وهي:

الأول: كونه مولوداً ومتكوّناً في رحم امرأة ومنسوباً إليها، وينزّه الإله عن أنْ يكون كذلك، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، فإنّ المسيح مولود من امرأة ومنسوب إليها.

الثاني: إنّه مخلوق حادثْ وكان خلقه لأجل تعلّق الأمر به، يدلّ عليه قوله تعالى :﴿وَكَلِمَتُهُ﴾، والخلق والحدوث من صفات المخلوقين دون الإله العظيم القدير.

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٢٠٨ـ٢٠٩ ،وترتيب الآيات: يونس١٤، البقرة: ٣٠، ص: ٢٦.

(٢) سورة النساء: ١٧١.

الثالث: إنّه مركب من بدن مثالي خارجي تكوّن في الرحم، وروح قدسيّة أفاضها الله تعالى عليه في غاية النزاهة والطهارة، وهي مخلوقة من أمر الله تعالى، والتركيب من صفات المخلوق الحادث، وينزّه الإله العظيم عنه، ويدلّ عليه قوله تعالى:﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾»[١].

ب. تاييد ما يرتئيه من معانٍ مستعيناً بآيات أُخرى:

قد يرتئي السيد السبزواري بعض المعاني في الآية الكريمة فيؤيده مستعيناً ومتمسكاً بآيات أُخرى، كما هو الحال في تفسير قوله تعالى: ﴿ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾[٢]، فقد ذهب إلى أنّ المراد بالنور هنا هو الأعم من النور الظاهري أو النور المعنوي، مستعيناً بالآيات الدالة على أنْ مزاولة المنافق للأعمال الشريرة مثلاً توجب إطفاء نور الفطرة عنده،قال : « المراد به الأعم من النور الظاهري الذي كان من إيقاد النار، و النور المعنوي الذي هو الإسلام، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾، فإنّ المنافق لتماديه في الغي و الضلالة و مزاولته للأعمال الشريرة حصلت له طبيعة ثانية أوجبت إطفاء نور الفطرة والإعراض عن الإيمان فأوكله اللّه إلى نفسه و ذهب بنوره و يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٠: ٢٣٤، سورة النساء: ١٧١.

(٢) سورة البقرة: ١٧.

وَراءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُوراً فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بابٌ باطِنُهُ فيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذابُ﴾»[١].

وكذلك الحال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[٢]، أشار إلى أن الآية الكريمة سيقت لإثبات أمراً حقيقياً وهو عالم الآخرة، واستدل بآيات من الذكر الحكيم على ذلك،وقال: « والآية تثبت أمرا حقيقيا و هو عالم الآخرة التي تنقطع فيه الأسباب الظاهرية التي كانت تدور في عالم الدنيا فلا يفيد في ذلك العالم إلّا ما سعى الإنسان في هذا العالم. وتدل على ذلك جملة كثيرة من آيات الذكر الحكيم قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَميعاً فَيُنَبِّئُهُمْ بِما عَمِلُوا أَحْصاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ شَهيدٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ﴾، إلى غير ذلك من الآيات المباركة »[٣].

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٠: ١٠١ـ١٠٢ ،وترتيب الآيات: الزمر:٢٢، الحديد: ١٣.

(٢) سورة البقرة: ٢٥٤.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٢٠٨ـ٢٠٩، وترتيب الآيات: المجادلة: ٦، البقرة: ٢٨١.

٣. الجمع بين الآيات المطلقة والمقيّدة[(١)]:

وردت بعض الآيات بصورة مطلقة بدون قيد، في حين ذُكرت آيات أُخرى مقيدة ببعض القيود،فتفسير الآيات المطلقة بدون النظر إلى الآيات المقيّدة غير صحيح ولا يكشف عن المراد الجدّي للمتكلم. وبعبارة أخرى إنّ الآيات المقيّدة مُفَسِّرة للآيات المطلقة.

مثاله: الدم حرام مطلقاً،في حين ذكرت الحرمة بصورة مقيّدة في آية أُخرى،كما في تفسير قوله تعالى:﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ ...﴾[(٢)]، يقول السيد السبزواري:«مادة (ح ر م) تأتي بمعنى المنع، والدم معروف وبه يحيى الحيوان، أو المراد به هنا الدم المسفوح، لقوله تعالى ﴿أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً﴾»[(٣)]، وقال أيضاً في بحثه الفقهي:«إطلاق قوله تعالى(والدم) يشمل القليل والكثير، وحرمة جميع التقلّبات والتصرفات والانتفاعات منه،كما يشمل جميع أنواع الدماء »[(٤)]، وفي موضع آخر يقولقُدِّسَ سِرُّهُ:«جاء قوله تعالى:﴿إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَماً مَّسْفُوحاً ﴾،استثناء ممّا أحلّه الله (عزّ وجلّ) »[(٥)].

---

(١) في تفاصيل معاني المطلق والمقيّد والعام والخاص والأداة وشرائطها تراجع البحوث الأُصولية.

(٢) سورة البقرة: ١٧٣.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢: ٣٥٠ـ٣٥١، سورة الأنعام: ١٤٥.

(٤) المصدر السابق ٢: ٣٥٩ـ٣٦٠.

(٥) المصدر السابق ١٤: ٤٢٦.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[1]، ذكر أنّ الأمر بالسجود لآدم عليه السلام جاء معلقاً على ما بعد نفخ الروح فيه؛ وذلك بحمل ما جاء من إطلاق للسجود في هذه الآية على ما قُيّد في آية أُخرى، حيث قال قدس سره: «ثم أنّ الأمر بالسجود في هذه الآية المباركة مطلق، وفي آية أُخرى معلق على النسخ كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾، والمُستفاد من مجموع الآيات والروايات أنّه لابد من حمل المطلق على المقيد، كما هو الشأن في جميع المحاورات، فلا يكون هنا أمران أحدهم قبل النفخ والآخر بعده»[2].

٤ ـ الجمع بين العام والخاص

جاءت ألفاظ بعض الآيات على جهة العموم والشمول لأفراد كثيرين، في حين خصّصت آيات أخرى هذا العموم، وبما أنّ تفسير القرآن هو تعيين المراد الإلهي وتوضيح الآية بصورة كاملة فإنّ هذا لا يحصل إلا بوضع الخاص بجانب العام ، وبعبارة أخرى إنّ الآيات الخاصة تفسّر وتبين العموم في الآيات الأخرى.

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ

(١) سورة البقرة: ٣٤.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٢٣٧، سورة ص:٧٢.

عَلَى اللّه إلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾[١]، ذهب قدس سره إلى أنّ مجيء أداة الحصر (إنّما) في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، هو عبارة عن تخصيص لما جاء في الآية الشريفة من تعميم، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾، تخصيص بعد تعميم الخطاب لأهل الكتاب، تطبيقاً لما بيّنه (عزّ وجلّ) من نفي الغلو وعدم نسبة شيء إلى الله جلّ شأنه إلّا الحقّ، والخطاب موجّه للنصارى التي غلت في المسيح واعتقدت فيه الأباطيل »[٢].

ومن الآيات الشريفة التي جاء فيها الخطاب عام قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[٣]، وقال السيد السبزواري:«وتبيّن الآية الشريفة قيداً من قيود الحكم المزبور، فيكون تخصيصاً لعمومه، فتحرم بهيمة الأنعام الممتنع إذا كان اصطيادها في حال الإحرام، وتبقى الحلّية في سائر الأحوال، والمراد من (محلّي الصيد) أي: لا تجعلوه حلالاً باصطياده أو الأكل منه »[٤].

(١) سورة النساء: ١٧١.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٠: ١٨٨.

(٣) سورة المائدة: ١.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٠: ٢٥٧.

٥ . الجمع بين الآيات الناسخة والمنسوخة

وهناك آيات تبيّن بعض الأحكام، ثم نزلت آيات أُخرى (على أساس المصلحة والشرائط الجديدة) نسخت الآيات السابقة، وشرّعت أحكاماً جديدة، ومن المعلوم أنّه على المُفسِّر - حين يتصدى لتفسير القرآن - أن يأخذ بنظر الاعتبار الآيات الناسخة والمنسوخة، وإلّا فسوف يكون تفسيره تفسيراً ناقصاً.

فبعد أنْ بيّن السيد السبزواري النسخ في القرآن الكريم، وأنّه على أنواع ثلاثة[١]، تطرق إلى ذكر أحد هذه الأنواع وهو(نسخ الحكم فقط)، وأنّه لا إشكال في إمكان وقوعه، بل هو المشهور من النسخ، فذكر مثالاً لذلك بقوله :« مثل نسخ وجوب تقديم الصدقة على مناجاة الرسول صلى الله عليه وآله قال

(١) يقول صاحب المواهب قدس سره وتوضيح ذلك: إن كل حكم إذا لوحظ بالنسبة إلى حكم آخر يتصور على وجوه:

الأول: الخروج الموضوعي أي الاختلاف بين الحكمين من ناحية الموضوع كخروج السؤال والالتماس عن قوله تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ﴾، فإنهما ليسا من العقود في شيء أو اصطلح على هذا القسم بالتخصيص.

الثاني: الخروج الحكمي مع بقاء الموضوع، كخروج البيع الخياري عن عموم المتقدم، فانه بيع مع أنه لا يجب الوفاء به، واصطلح عليه بالتخصيص.

الثالث: بقاء الموضوع والحكم على حالها ولكن جعل الحكم كان محدودا بحد معين في عالم الإنشاء والتشريع وإنشاء الحكم بصورة الدوام والاستمرار لمصلحة ما، فإذا انتهت مدة الحكم أقيم حكما آخر مكانه وهذا هو النسخ، انظر: المصدر السابق ١: ٤٢٠.

تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ﴾»، والآية التي نسختها هي: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[١].

٦. إرجاع المتشابهات إلى المحكمات

تنقسم آيات القرآن إلى آيات محكمة ومتشابهة، كما هو واضح من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ...﴾[٢].

وتطرق السيد السبزواري لمفهوم المحكم والمتشابه في أثناء تفسيره، حيث يقول في تعريفه للمتشابه: «ما لا يُعرَف المراد منه إلّا بالقرينة»، مثل قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾، إذ لا يعرف فحوى المراد منه إلّا بالرجوع إلى قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، فيُعرف أنّ المراد منه القوة والإحاطة والقدرة بالملازمة. وكذا قوله تعالى: ﴿وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفّاً صَفّاً﴾، يعرف المراد بالرجوع إلى ما تقدم من الآية المباركة من انه الرحمة والغفران بالملازمة »[٣].

وكذلك في تعريفه للمحكم قال قُدِّسَ سِرُّه:«ما يعرف المراد منه بلا استعانة

(١) المصدر السابق ١: ٥٣٨، سورة المجادلة: ١٢-١٣.

(٢) سورة آل عمران: ٧.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٥: ٧٧، وترتيب الآيات: الفتح: ١٠، الشورى: ١١، الفجر: ٢٢.

قرينة ،مثل قوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾، إلى غير ذلك من الآيات المباركة)[١].

والآيات المحكمة هي الأساس والمرجع في تفسير الآيات القرآنية، ولابد من إرجاع الآيات المتشابهة إليها؛ لكي يتضح معناها، أو يتعيّن أحد احتمالاتها، وهذا بناءاً على أن بعض القرآن مُفسِّراً للبعض الآخر، وأنّ المفهوم الواحد يصار إلى تحديده في مجموعة من الآيات والمناسبات[٢].

المحور الثالث: الأخذ بظواهر القرآن الكريم

لا ريب أنّ حجية ظواهر القرآن الكريم التي تستند إلى استقلالية القرآن في دلالته على معانيه مسألة متفق عليها، وقد أجمع علماء الأُصول من الإمامية على حجية ظواهر القرآن، خلا بعض الإخباريين الذين عولوا على الأخبار والأحاديث تاركين ظواهر القرآن.

والمعروف من السيد السبزواري أنّه أخذ بظواهر القرآن الكريم، وعمل في تفسيره على ضوء ما استظهره من هذه الآيات، وإليك بعض نماذج أخذه بتلك الظواهر:

قال قدس سره: في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطاً مُّسْتَقِيماً﴾[٣]،

(١) المصدر السابق ٥: ٧٧ ، وترتيب الآيات: الحمد: ٤، النور: ٥٦.

(٢) انظر:الطباطبائي ومنهجه في تفسيره الميزان: ١٢٧.

(٣) سورة النساء: ٦٨.

«وظاهر الآية الشريفة أنها في مقام بيان الصراط المستقيم، الّذي ورد ذكره في الآية السابقة، أي أنّ الصراط المستقيم هو الصراط الّذي سار عليه النبيّون، والصديقون، والشهداء، والصالحون، وهم الّذين أنعم الله عليهم بالهداية »[١].

وفي قوله تعالى: ﴿فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[٢]، قال قدس سره:« وظاهر الآية المباركة أنّ الجواب فرض وإنْ كان أصل التحيّة تطوعاً ونفلاً »[٣].

كذلك قد يستدل السيد السبزواري من خلال الظهور في الآية الشريفة على إطلاق وشمول الحكم في الآية، كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[٤]، قال قدس سره:«وكيف ما كان، فالقول باختصاص الحكم في الآية الشريفة بالمحصنات العفيفات الحرائر من أهل الكتاب من غير شمول لملك اليمين خلاف ظاهرها »[٥].

كما كان يستدل بآيات من سور أخرى للمعاني المستفادة لمفردات الآية، ففي قصة زكريا عليه السلام وعدم تكلمه مع الناس في قوله تعالى: ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾[٦]، هل كان اضطرارياً أم اختياريا ؟ نقل رأي

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٩: ٦.

(٢) سورة النساء: ٨٦

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٩: ١٠٣.

(٤) سورة المائدة: ٥.

(٥) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٠: ٣٦٥.

(٦) سورة آل عمران: ٤١.

المشهور من المفسرين، حيث قال قُدِّسَ سِرُّهُ:«والمشهور بين المفسريّن أنّ عدم التكلّم كان اضطرارياً بالنسبة إليه، لأنّ الله (عزّ وجلّ) قد سلب قدرته على ذلك»[(١)].

ورد السيد السبزواري على قول المشهور بأنّ ظاهر الآية ينفي كون عدم الكلام كان اضطرارياً، حيث قال: « وأما قول المشهور، فظاهر الآية الشريفة ينفي ذلك أيضاً؛ لأن نسبة الفعل إلى الفاعل في قوله تعالى: ﴿أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ﴾، ونفيه عنه ظاهر في كونه اختياريّاً، فهي تدلّ على أن عدم التكلّم كان اختياريّاً له، فإنه بعد أن طلب من الله تعالى الآية التي تكون علامة لصدقه أمام الناس؛ ليتمكّن أن يدفع بها شبهة الملحدين، وإظهار كرامته عند الله تعالى ومنزلة المولود الجديد لديه (عزّ وجلّ) : لا معنى لكونها آية اضطراريّة له »[(٢)].

وفي الآية الشريفة: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾[(٣)]، قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: «وهذه الآية وما في سياقها ظاهرة في أمرين:

أحدهما: ما ذهب إليه أصحابنا، ودلت عليه النصوص من أنّ العمل الصالح جزاء الإيمان.

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٥: ٣١٠ـ٣١١.

(٢) المصدر السابق، ج٥: ٣١٢.

(٣) سورة البقرة: ٦٢.

ثانيهما: أنّ المناط كلّهُ في الإيمان - الذي تترتب عليه الآثار الدنيوية والأخروية - إنّما هو الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح، فإنّ من كان كذلك لم يتعد حدود الله، ولا تأخذه لومة لائم أو نزعة باطل»[1].

وفي تفسيره للآية: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾[2]، قال السيد السبزواري: « وظاهر الخطاب وإن كان موجهاً إلى أهل الكتاب، بدعوى ظهور لفظ (المشرق والمغرب) اللذين هما قبلة اليهود والنصارى، فيكون توبيخاً لهم في افتعالاتهم، وردعاً لذلك، ولكنه من باب المثال لكلّ من كان خارجاً عن الصراط المستقيم»[3].

وأخيراً أكتفي بهذا القدر من الأمثلة والتي بيّنت وبوضوح مدى اعتماد السيد السبزواري على حجية ظواهر الآيات في تفسيره للقرآن الكريم.

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٣٧٦ـ٣٧٧.

(٢) سورة البقرة: ١٧٧.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢: ٣٧٧.

المبحث الثاني

موقع الروايات والأخبار في التفسير

توطئة

يُعدُّ منهج التفسير « الروائي » من أقدم المناهج التفسيريَّة وأكثرها شيوعاً، وهو أحد أقسام «التفسير بالمأثور»[1]، وللتفسير الروائي مكانة خاصة بين المناهج التفسيريَّة، وكان دائماً محط اهتمام المُفسرين.

والمقصود من التفسير الروائي: هو استفادة المُفسِّر من سنَّة النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام والّتي تشمل «قولهم، وفعلهم، وتقريرهم» لتوضيح معاني آيات القرآن ومقاصدها.

ورغم أنّه يمكن الاستفادة من روايات الصحابة والتابعين في تفسير القرآن في موارد خاصة، وأنّ الكثير من أقوالهم في التفسير يُعتبر مفيداً ونافعاً ولكن هُناك اختلاف بين علماء المسلمين في حجيّة أقوالهم ومساحة اعتبار رواياتهم، فاللازم علينا البحث عن حجيّة السنّة، ومقدار اعتبارها.

---

(١) يشمل التفسير بالمأثور:تفسير القرآن بالقرآن، تفسير القرآن بالسنَّة، تفسير القرآن بأقوال الصحابة والتابعين،والمراد من التفسير الروائي عند الإطلاق هو القسم الثاني ، انظر: التمهيد في علوم القرآن ١٠: ٢٣ وما بعدّها .

المحور الأول: حجيّة السنّة في التفسير

يقع البحث عن حجيّة السنّة في ثلاثة أقسام:

١. حجيّة سنة النبي في تفسير القرآن

جاء أصل حجيّة سنّة النبي ﷺ في التفسير إنطلاقاً من تأييد القرآن الكريم لهذا الأصل، حيث قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]، ويتجلى من خلال هذه الآية أنّ القرآن نُزّل على النبي ﷺ وأنّ اللازم عليه أنْ يبيّنه للناس،وإذا لم يكن بيانه ﷺ مُفسِّراً فهو لغو، وعليه فإنّ كلام النبي ﷺ وبيانه وتفسيره حجّة بالنسبة إلى آيات القرآن، وهذا ما صرّح به كبار المفسّرين عند تناولهم الآية المذكورة[2].

وهذا المعنى أكّدَ عليه العلاّمة الطباطبائي رحمه الله قائلاً: « وفي بيان أنّ القرآن يثبت حجيّة أقوال النبي ﷺ وتفسيره بقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾، وقوله:﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا ﴾، يتضح من هذه الآيات ومن غيرها أنّ الله سبحانه أفضى بيان ما انزل من القرآن إلى الرسول ﷺ وهذا البيان حجّة لما تفيده مادة الأمر من الامتثال، وقد سدّد الله قول نبيّه وجعله وحياً بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾، من هذا يتضح

(١) سورة النحل: ٤٤.

(٢) انظر: التفسير والمفسرون ١: ٤٥.

أنّ ثبوت حجيّة قول النبي صلى الله عليه وآله تمّت بدليل من القرآن الكريم»(١).

أمّا مُفسّرُنا السيد السبزواري فقد كان سبّاقاً في أخذه واعتماده الحديث النبوي في تفسيره للقرآن الكريم، فلا يذكر مطلب في بحوثه التفسيرية إلاّ واستشهد بما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في تفسير هذه الآية، وسوف نستعرض خلال بحثنا هذا إلى بعضها.

٢ . حجيّة احاديث أهل البيت في التفسير

تعتبر روايات أهل البيت عليهم السلام حجّة في التفسير ومصدراً في توضيح آيات القرآن الكريم، كما هو الحال بالنسبة إلى الروايات التفسيرية الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله؛لأنّ بيانهم امتداد لبيان النبي صلى الله عليه وآله،كما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٢)، حيث دلّت على أنّه لابد من تبيانه للناس، فإذا كان النبي صلى الله عليه وآله فهو المبين وبعده تكون مسألة التبيين على عاتق أوصيائه عليهم السلام لاستمرارها في جميع العصور، ولحديث الثقلين أيضاً الدال على أنّ عترة النبي صلى الله عليه وآله عدل القرآن، ومن المعلوم أنّ عِدل القرآن لا يصدق إلاّ على مَن كان يوازيه في الأهمية، ومن يوازي القرآن بالأهمية عبارة أُخرى عن تساويه رتبةً، وهو معنى آخر عن تبيانية أحدهما عن الآخر في التمسك بهما، ولهذا فإنّ هذا الحديث

(١) انظر: القرآن في الإسلام: ٢٥، وترتيب الآيات: النحل: ٤٤، الحشر: ٧، النجم: ٣و٤.

(٢) سورة النحل: ٤٤.

جعل التمسك بهما شرطاً لعدم ضلال المسلمين، فإذا لـم يتمسّكوا بهمـا، أو تمسّكوا بأحدهما دون الآخر فمصيرهم الضلال.

ولهذا فإن أهل البيت عليهم السلام هم حجّة إلى جانب القرآن الكريم، وهـذه الحجيّة ليست إلاّ حجيّة سنّتهم (قـولهم، وفعلهـم، وتقريـرهـم)، كمـا كانـت للنبي صلى الله عليه وآله، ورواياتهم التفسيرية تعتبر جزءاً من سنّتهم، فهـي حجـة ومعتبـرة ولا بد من التمسك بها.

ولقد اعتمد السبزواري في تفسيره على ما روي عن أهـل البيـت عليهم السلام آخذاً بحجيّة ما نُقل عنهم، ومـن خـلال تفـسيره سـوف تُطالعنـا العديـد مـن الروايات المنقولة عنهم عليهم السلام الدالة على اعتبار أخبار أهل البيت عليهم السلام.

٣. أقوال الصحابة والتابعين

بالرغم من أن بعض الأشخاص اعتبر روايات الصحابة والتابعين جـزءاً من « التفسير الروائي»[١]، لكننا نرى الرأي القائل بالتفصيل بالنسبة إلى اعتبار الكلام المنقول عن طريقهم إلى النبـي صلى الله عليه وآله فـي خـصوص تفـسير القـرآن ، وقد كتـب العلاّمـة الطباطبـائي رحمه الله فـي هـذا الخـصوص عنـد تفـسير الآيـة: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُـزِّلَ إِلَـيْهِمْ وَلَعَلَّهُـمْ يَتَفَكَّـرُونَ﴾[٢] قـال: «وفي هذه الآيـة دلالـة علـى حجيّـة قـول النبـي صلى الله عليه وآله ويلحـق بـه بيـان أهـل

(١) أصول التفسير وقواعده: ١١١.

(٢) سورة النحل: ٤٤.

بيته عليهم السلام لحديث الثقلين المتواتر وغيره، وأما سائر الأمة من الصحابة والتابعين والعلماء، فلا حجيّة لبيانهم؛ لعدم شمول الآية، وعدم وجود نصّ معتمد عليه يعطي حجيّة بيانهم على الإطلاق »[١].

ولقد تعامل السيد السبزواري مع ما نُقل عن الصحابة أو التابعين، من باب رجوع سنده إلى النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام فإذا نقلوا شيئاً عن النبي صلى الله عليه وآله وآله عليهم السلام فيؤخذ به وإلّا فلا،أمّا ما رُوي عنهم مباشرة دون رجوع ما نقلوه من أحاديث إلى أهل بيت العصمة عليهم السلام،فلا يأخذ به مُفسِّرنا السبزواري إلّا على أساس مطابقته للقرآن الكريم، فما وافقه أخذ به، وإلّا يكون من باب الشاهد، أو القرينة لما يتبناه من آراء. وسوف يتبين من خلال البحث كيف تعامل السيد السبزواري قدس سره مع أمثال هذه الروايات.

المحور الثاني: مكانة خبر الواحد في التفسير

تعتبر الأحاديث المتواترة حجّة في التفسير؛ لأنها تفيد العلم،فإذا وصلتنا أحاديث متواترة عن النبي وأهل البيت عليهم السلام بخصوص تفسير آية، فلا بد من الأخذ بهذه الرواية والعمل بمضمونها كما هو واضح[٢].

(١) الميزان في تفسير القرآن ١٢: ٢٦٠.

(٢) الحديث المتواتر: هو الذي بلغت رواته في الكثرة مبلغاً أحالت العادة تواطؤهم على الكذب، واستمر ذلك الوصف في جميع الطبقات حيث تتعدد فيكون أوله كآخره، ووسطه كطرفيه، وهو يفيد العلم ويجب العمل به، انظر: الدراية في علم مصطلح الحديث: ١٢، والخلاصة في أصول الحديث: ٣٢.

ولقد اعتمد السيد السبزواري في تفسيره على ما نُقل متواتراً من أحاديث النبيﷺ وأهل بيته عليهم السلام،ففي بحثه الدلالي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[1]، قالقدس سره:« ويمكن أن يستأنس من هذه الآية المباركة وأمثالها بشارة إلهية وهي أنّ كل ما ورد في القرآن الكريم من الإيعاد على الظلم يراد به ترك الإيمان بالله تعالى- أي الكفر- باختياره بقرينة ما تواتر عن نبينا الأعظم ﷺعن الله تعالى: (كلمة لا اله إلّا الله حصني فمَن دخل حصني أمن عذابي)»[2].

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَّ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾[3]، يقولقدس سره:« وردت أخبار متواترة بين المسلمين في الشفاعة وأنها في المقام المحمود الذي وعد الله به نبينا الأعظم ﷺيوم القيامة، ففي صحيح مسلم ...، إلى غير ذلك من الروايات المتواترة بين المسلمين»[4].

أمّا أخبار الآحاد: فهي الأخبار التي لم تصل إلى حد التواتر، (أيّ الروايات المنقولة بطريق، أو بطريقين)[5].

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٤.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٢١١-٢١٢.

(٣) سورة البقرة: ٢٥٤.

(٤) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٢٢١-٢٢٣.

(٥) انظر: الدراية في علم مصطلح الحديث: ١٢، والخلاصة في أصول الحديث: ٣٢.

وثمّة خلاف بين علماء الشيعة بشأن حجيّة واعتبار خبر الواحد، فقد ادعى بعض العلماء مثل الشيخ الطوسي رحمه الله الإجماع على حجيّة خبر الواحد، واختاره كثير من المتأخرين، وفي قبالهم مَن ادعى الإجماع أيضاً- كالسيد المرتضى رحمه الله- على عدم حجيّة خبر الواحد، وتبعه في ذلك ابن إدريس[(١)].

أمّا في الوقت الحاضر فقد ذهب مشهور علماء الإمامية إلى حجيّة خبر الواحد والعمل به في الأحكام الشرعية، ودليلهم هو سيرة العقلاء[(٢)].

يقول الشهيد الثاني في اعتبار خبر الواحد في التفسير: «وأخبار الآحاد تعتبر حجة في تفسير آيات الأحكام، أما في غيرها مثل العقائد ،القصص، الإشارات العلمية في القرآن، وبعض المسائل مثل العرش والكرسي و... فليست بحجّة، وإن كان لا يوجد ما يمنع من الاستفادة من هذه الروايات في هذا المجال كاحتمال»[(٣)].

ويقول العلاّمة الطباطبائي رحمه الله: «إذا كان الخبر متواتراً أو محفوفاً بقرينة قطعية فلا ريب في حجيّته، ويرى حجيّة المقطوع من السنّة حتى وإن لم يؤيده ظاهر القرآن، إلاّ أنّه في الوقت نفسه يكشف ذلك الغموض، أو التوهم الظاهري بين الآية والرواية ويدفعهما، لأن ما نقل عن النبي صلى الله عليه وآله مما

(١) انظر: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن: ١٦٣.

(٢) انظر: أصول الفقه ٣ـ٤: ٨٤

(٣) انظر: البيان في تفسير القرآن: ٣٩٩ـ٤٠٠.

يمكن استفادته من الكتاب العزيز، وعليه فلا يمكن أن يقع بين أحكام القرآن والسنّة، تخالف أو تعارض»[١].

أمّا أخبار الآحاد الضعيفة: فقد ذهب السيد الخوئي رحمه الله إلى عدم حجيّة الأخبار الضعيفة[٢].

وعلى هذا الأساس سار السيد السبزواري في تفسيره ففي تعقيبه على الرواية الواردة في (مجمع البيان) قال:«وفي «المجمع» عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى:﴿ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ﴾،هو اشموئيل، وهو بالعربية إسماعيل،قال قدس سره:«الصحيح أنّ اشموئيل هو صموئيل، وليس إسماعيل، وقصور سند الحديث يغنينا عن البحث في متنه »[٣].

وفي قوله تعالى : ﴿فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً﴾[٤]، نقل جمهور أهل السنة أحاديث عن أمير المؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: «نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن نكاح المتعة »،كما روى البيهقي عن جعفر بن محمد عليه السلام أنّه سُئل عن المتعة فقال: «هي الزنا بعينه » ،يقول السيد السبزواري معلقاً على هذه الأخبار: «وهذه الروايات آحاد لا يمكن الاعتماد

(١) انظر: الميزان في تفسر القرآن ٣: ٨٥، وأصول الفقه: ٢٦٨.

(٢) البيان في تفسير القرآن: ٣٨٩.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ١٧٢، البقرة: ٢٤٦.

(٤) سورة النساء: ٢٤.

عليها؛ لمعارضتها لأحاديث متواترة عنهم تدلّ على الحليّة والإباحة »[١].

نعم ذهب إلى أنّ الأخبار الضعيفة يمكن الاستفادة منها كشاهد في التفسير، إذا كان هناك ما يدل على صدقها كموافقتها مع ظواهر القرآن مثلاً، أو مطابقتها للواقع، كتفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾[٢]، فقد نقل السيد السبزواري رواية عن الثعالبي، حيث قال :« وأخرج الثعالبي عن ابن عياش: إنّ عبد الله بن سلام... أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله إنّا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير، ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فقال رسول الله ﷺ:بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكلّ كتاب كان قبله، فقالوا : لا نفعل، فنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ آمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِيَ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾، قال: فآمنوا كلّهم»[٣].

وعلّق عليها قدس سره بقوله :«الرواية مطابقة للواقع؛ لأنّ الكتب السماويّة منزلة من الله (عزّ وجلّ)؛ وكلّ ما نزل منه تعالى لا بدّ من الإيمان به، إلّا إذا نالته يد التحريف فتسقط الكتب عن شأنها، فالاعتقاد بالتوراة

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٨: ٤٦.

(٢) سورة النساء: ١٣٦.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٠: ٢٤، سورة النساء١٣٦.

والإنجيل الواقعي كالاعتقاد بالقرآن، فلا فرق بينهما من جهة القداسة والإعجاز والحجيّة »[١].

المحور الثالث: المراسيل

ما يثير الانتباه في هذا المجال أنّ تعامل السيد السبزواري منفتح مع مراسيل الطبرسي، والعيّاشي والقمي، وحتى روايات الجمهور، كما هو واضح في حقله الروائي المزدحم بالعشرات منها دون أنْ يطرح أي تحفظ حيالها إلاّ في حالة معارضتها لما ينتهي إليه من وجهة نظره، بل أنّ الأمر ليصل إلى درجة إسقاط الرواية مقابل توثيقه لنص تاريخي أو اصطحابي مثل تشكيكه بما ورد في قصة طالوت بما يتصل ببعض أبطالها ومواقفها[٢].

ففي قوله تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ من وَرَقَة إلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّة في ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إلاَّ فَي كِتَاب مُّبِينٍ﴾[٣]، يقول السيد السبزواري: «وفي «تفسير العيّاشي»، عن أبي الربيع الشامي، قال:«سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ من وَرَقَة إلاَّ يَعْلَمُهَا...إلاَّ في كِتَاب مُّبِين﴾، قال عليه السلام: الورق السقط، والحبة الولد، وظلمات الأرض الأرحام، والرطب ما يحيي، واليابس ما يغيض، وكل ذلك في كتاب مبين» ، ثم علق عليها قدس سره: أقول:«رواه الكليني

(١) المصدر السابق ١٠: ٢٤.

(٢) المصدر السابق ٤: ١٤١ ، سورة البقرة: ٢٤٧.

(٣) سورة الأنعام: ٥٩.

والصدوق عنه، والقمّي مرسلاً، وقد عرفت في التفسير أنّ مضمونه لا ينافي تطبيق الآية الكريمة... وما ذكره بعض السادة المفسِّرين من أنّ الرواية لا تنطبق على ظاهر الآية غير سديد»[١].

المحور الرابع: الإسرائيليات[٢]

تعتبر أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام المصدر المهم في الحقل التفسيري، ولها مكانة خاصة في تفسير القرآن الكريم، وعلى امتداد التاريخ قام بعض الأشخاص بتزوير وجعل بعض الأحاديث والأخبار وإدخالها ضمن الروايات، ومنها الأخبار والروايات التي أخذت عن اليهود والنصارى ومن ثَمّ قام بنشرها باعتبارها من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام.

هذه الظاهرة الخطيرة الّتي أشار إليها مفسّرو ومحدثو السنّة والشيعة[٣]، أوجدت خطراً كبيراً على التفسير، وألزموا على المُفسِّر أن ينتبه إلى هذا الأمر بصورة كاملة، وأن يراجع الكتب المختصة بالموضوعات

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٣: ٤٣٧.

(٢) لفظ الإسرائيليات وإن كان يدل بظاهره على اللون اليهودي للتفسير، وما كان للثقافة اليهودية من أثر ظاهر فيه، إلّا إننا نريد ما هو أوسع من ذلك وأشمل، فنريد به ما يعم اللون اليهودي واللون النصراني للتفسير أيضاً، وما تأثر به التفسير من الثقافتين اليهودية والنصرانية،وإنما أطلق على جميع ذلك لفظ الإسرائيليات من باب التغليب أو باعتبار أنّ الفكر اليهودي وما حمله التلموذ من ثقافة واسعة دينية كان له ارتباط مباشر بالقرآن ، انظر: التفسير والمفسرون ١: ١٦٥.

(٣) انظر: التمهيد في علوم القرآن ١٠: ٩٤ وما بعدها.

والإسرائيليات، وأن يكون على معرفة بالأحاديث الموضوعة والإسرائيلية؛ لكي يحترز عنها ويتجنّبها في عمله التفسيري[1].

ولقد تجنب السيد السبزواري ذكر الأخبار الإسرائيلية الواردة في الروايات، وما ذكره من هذه الأخبار إنّما لأجل أنْ يقيم الحجّة على إبطال مثل هذه الأخبار، وكذلك لأجل تنزيه الأنبياء عليهم السلام من مثل هذه الخرافات، وهذا ما يستفاد من منهجه -العقلي- في تفسير القرآن، وهو المنهج العقلي الغالب في تفاسير الشيعة الإمامية[2]، الذي يُحَصِن التفسير من التلاعبات الكثيرة؛ لأنّ المنهج العقلي: هو الأسس الثابتة العقلية المُبتَنية على أساس معرفي دقيق يستطيع من خلاله المُفسِّر أنْ يصون تفسيره من كثير الاغتشاش والذي نشترك فيه من آراء المعتزلة مناحيهم الفكرية.

المحور الخامس: شروط ترجيح الرواية

قبل أن ندخل في بيان منهج السيد السبزواري في اعتماده على الروايات في تفسير القرآن، لابد من توضيح الشروط التي يجب توفرها في الرواية لكي نرى بأي مقدار استطاع السيد السبزواري في تفسيره الأخذ بهذه الأخبار .

١ . مطابقة الرواية لظواهر القرآن

قد ثبت عن طريق الجمهور في أحاديث نبوية، وعن طريق الإمامية

---

(١) انظر: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: ١٦٤.

(٢) انظر: المفسرون حياتهم ومنهجهم ٢٩: ٣١.

روايات متواترة عن النبيﷺ وأهل البيت عليهم السلام تؤكد على ضرورة عرض الأخبار على القرآن فما وافقه يؤخذ به وما خالفه فهو زخرف ومطروح، فقد روي عن النبيﷺ قوله: « إنّه ستفشو عني أحاديث فما آتاكم من حديثي فأقرأوا كتاب الله واعتبروه فما وافق كتاب الله فأنا قلته، وما لم يوافق كتاب الله فلم أقله »[1]، وقد تواتر هذا المعنى بطرق الإمامية عن النبيﷺ، فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلامقوله :« خطب النبيﷺ بمنى فقال: أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله »[2].

من هذه النظرة انطلق السيد السبزواري في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ اللّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لاَّ أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾[3]، فقد نقل عن (تفسير العيّاشي) قوله:« وفي «تفسير العيّاشي»:عن الفضل بن يسار،عن أبي الحسنعليه السلام،قال: «إنّ الخنازير من قوم عيسى سألوا نزول المائدة، فلم يؤمنوا بها، فمسخهم الله خنازير »، وعلق عليها قدس سره بقوله :«إنّ مسخهم خنازير هو الذي يدلّ عليه ظاهر الآية الكريمة: ﴿لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾، الدالّ على اختصاص العذاب بهم، إلّا أنّ يقال: بأنّ الوارد في بعض الروايات مسخ قومٍ من بني إسرائيل اعتدوا

(١) انظر: سنن الدار قطني ٤: ٢٠٨،ح١٧.

(٢) انظر: الكافي ١: ٦٩، والتبيان في تفسير القرآن ١: ٣ .

(٣) سورة المائدة: ١١٥.

في السبت قردة وخنازير، فتكون منافية حينئذ،لكن يمكن الجواب عنه:بأنّ الذين مسخوا خنازير غير الذين كانوا حين نزول المائدة التي سأل نزولها الحواريّون، ويدلّ عليه ما رواه العيّاشي عن عبد الصمد بن بندار، قال:(سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول:كانت الخنازير قوماً من القصارين كذّبوا بالمائدة، فمسخوا خنازير)، فإنّ ظاهره أنّهم غير الذين سألوا عيسى بن مريم نزول المائدة »[1].

وكذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ...وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾[2]، نقل السيد السبزواري رواية عن « الدّر المنثور»، وقال: «وفي «الدّر المنثور» أخرج ابن جرير عن محمّد بن كعب القرظي، قال: كلّم رسول الله صلى الله عليه وآله قريشاً، فقالوا: يا محمّد، تخبرنا أنّ موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر، وأنّ عيسى كان يحيي الموتى، وأنّ ثمود كان لهم ناقة، فاتنا من الآيات حتى نصدقك، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:أيّ شيء تحبّون أن آتيكم به؟ قالوا: تجعل لنا الصفا ذهباً، قال: فإنّ فعلت تصدّقوني؟ قالوا: نعم، والله لئن فعلت لنتّبعك أجمعين، فقام رسول الله صلى الله عليه وآله يدعو فجاء جبرائيل فقال له: إنْ شئت أصبح ذهباً فإن لم يصدّقوا عند ذلك لنعذبنّهم، وإن شئت فاتركهم حتّى يتوب تائبهم، فقال: بل يتوب تائبهم، فأنزل الله: ﴿وَأَقْسَمُواْ

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٢: ٤٢٦ـ٤٢٧.

(٢) سورة الأنعام: ١٠٩ـ١١١.

بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ..إلى قوله.. يَجْهَلُونَ﴾. ثم علق عليها قُدِّسَ سِرُّهُ بقوله: الرواية لا تنطبق على مفاد الآية الكريمة، وإن ذكرها المفسِّرون سبباً لنزول الآية التي تدلّ على عدم إيمانهم وإن جاءت الآيات المتتالية، إلاّ أنْ يشاء الله إيمانهم، وهو (عزّ وجلّ) لم يشأ ذلك فلا يتطابق المفادان »[1].

كما نقل عن (تفسير القمي) عن الإمام الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2]، قال :« أوّل ما فرض الله تعالى الصوم، لم يفرضه في شهر رمضان على الأنبياء، ولم يفرضه على الأُمم، فلمّا بعث الله نبيّه صلى الله عليه وآله خصّه بفضل شهر رمضان هو وأُمّته، وكان الصوم قبل أنْ ينزل شهر رمضان يصوم الناس أيّاماً » ، وعلق عليه قُدِّسَ سِرُّهُ:« أقول: قريب منه في «الفقيه» عن حفص بن غياث النخعي، والحديثان بظاهرهما مخالفان للآية الشريفة، ومخالفان للروايات الدالّة على أنّ الصيام كان مكتوباً على الأنبياء السابقين وأُممهم، وأنّ الأنبياء كانوا يصومون شهر رمضان، ويمكن حملهما على أنّ التفضيل بالنسبة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله باعتبار إيجابه في شهر رمضان خاصّة دون سائر الأُمم، فإنّ صوم الأنبياء في هذا الشهر كان أعمّ من الإيجاب عليهم»[3].

وفي بحثه الروائي حول الآيات (١٢– ١٨)من سورة الأنعام،بعد أن

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٤: ٣١١.

(٢) سورة البقرة: ١٨٣.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٣: ٢٠.

نقل رواية عن النبيﷺ في (المجمع)، قال: «وفي (المجمع)، عن النبيﷺ،قال: « والذي نفسي بيده ما من الناس أحد يدخل الجنّة بعمله، قالوا : ولا أنت يا رسول الله !قال ﷺ:ولا أنا،إلّا أن يتغمدني الله برحمته وفضله،وذلك هو الفوز المبين» ، علق عليها بقوله :«هذا الخبر مروي في كتب الجمهور، وهو مخالفٌ لظواهر جملة من النصوص، كقوله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ﴾، وغيره من الآيات والروايات المثبتة آثاراً خاصّة للطاعات والعبادات، فلا بدّ من الجمع بين مثل هذا الخبر وتلك الآيات والروايات»[1].

٢ . التعارض بين الروايات

ومما يزيد اهتمامه بالروايات اعتناءه برفع التعارض الظاهر بينها بملاحظة ما توصل إليه من معنى للآية، وعرض مضمون الروايات على القرآن الكريم.

فالتعامل مع الدليل الروائي - كما هو معروف في أية ممارسة فقهية أو غيرها - يتم حيناً من خلال كونها محكمة متناً وسنداً، أي وضوح دلالتها وعدم تضاربها مع الروايات أو الادلة الأخرى، ثم تمامية سندها، وفي مثل هذه الحالة لا إشكالية في البين، إلاّ أنّ الإشكالية تبدأ مع إجمال أو اضطراب أو غموض في الدلالة، أو مع تضاربها الظاهري أو الباطني مع

(١) المصدر السابق ١٣: ١٢٦، سورة الزلزلة: ٧.

الروايات الأخرى، أو مع اضطراب في سندها أو متنها...

أما التضارب بنمطية الظاهري والباطني، فإنّ المُفسِّر يضطلع بتناول ذلك، مثل تعقيبه على خبري النبيﷺ والإمام الصادقعليه السلام عن البسملة ، فيحمل الخبر الأول على الأفضلية جمعاً بينهما، حيث قالقدس سره:«عن نبينا الأعظم ﷺ فيما رواه الفريقان: «كلّ أمر ذي بال لم يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر »، وعن الصادقعليه السلام:« لا تدعها- أي البسملة- ولو كان بعدها شعر »، ولقد عقب عليهماقدس سرهبقوله: « يحمل الخبر الأوّل على الأفضلية جمعاً بينهما »[1].

ومثل تعقيبه على الخبر الذي نقله عن أبي جعفرعليه السلام:« إذ قرأتها فلا تبالي أن لا تستعيذ» ، حيث يقولقدس سره:«ويظهر منه أنّه عند دوران الأمر بين البسملة والاستعاذة، تكون البسملة أولى »[2].

ومثل تعليقه على الروايات المُفسِّرة لقوله تعالى:﴿وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾[3]، بأنها من باب التطبيق، فلا تعارض في البين،حيث قالقدس سره:« وفي «تفسير العيّاشي»: عن عبد الله بن سنان عن الصادقعليه السلامفي قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾ قالعليه السلام: «إقبال الرجل على صلاته، ومحافظته على وقتها.»، وفي «المجمع» قال: «الدُّعاء في الصّلاة حال

(١) المصدر السابق ١: ٢٥.

(٢) المصدر السابق ١: ٢٦.

(٣) سورة البقرة: ٢٣٨.

القيام، وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام»، فعقب قدس سره على الرواية الأولى بقوله: «... من معاني القنوت: الرعاية، وما ورد في الرواية يكون من باب التطبيق»، وعلق على الأخرى: «إنّ ذلك من باب التطبيق؛ فلا تعارض في البين أصلاً»[١].

ومن أمثلته أيضاً تعقيبه على روايات متنوعة من الفريقين تشير إلى أنّ: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرّاً وَعَلاَنِيَةً﴾[٢]، نزلت في الإمام علي عليه السلام، وأنّها متواترة بين المسلمين[٣]، ثم يورد السيد السبزواري روايتين عامتين تشيران إلى أشخاص آخرين، قائلاً عن الرواية الأولى[٤]: «على فرض صحة الرواية لا بأس بكونه من أحد المصاديق، ويكون الإمام علي عليه السلام رأس النزول ومنشأه، والبقية من باب التطبيق»[٥].

ويفصّل رحمه الله في تعقيبه على الرواية الأخرى[٦] بقوله: «يمكن أنْ يقال

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ١٠١.

(٢) سورة البقرة: ٢٧٤.

(٣) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٤١٩.

(٤) روى في «الدر «المنثور» عن الطبراني وابن أبي حاتم: «أنّ الآية نزلت في أصحاب الخيل الذين يعلفونها في سبيل الله»، المصدر السابق، ٤: ٤١٩.

(٥) المصدر السابق ٤: ٤١٩.

(٦) في «الدر المنثور»: اخرج ابن المنذر عن سعيد بن المسيب: «أنّها نزلت في عثمان بن عفّان وعبد الرحمن بن عوف، إذ أنفقا في جيش العسرة»، انظر: المصدر السابق ٤: ٤١٩.

بأنّ يكون للنزول منشأ انبساطي يكون بعض أفراده هو المنشأ الأول وينبسط على جميع ما يصلح لذلك، فما هو مورد النزول ووجهه في المرتبة الأولى؟ هو عليّ عليه السلام فينطبق على غيره بحسب المراتب والشأن، إذاً لا منافاة بين هذه الأخبار إذ لوحظ النزول بوجه انبساطي كلّي، وكان منشأه عليّاً عليه السلام»[١].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٢]، قال السيد السبزواري:«في (تفسير العياشي) في قوله تعالى:﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ﴾، قال الصادق عليه السلام:« يعني الرِّزق فإذا أحلّ الرجل من إحرامه، وقضى نُسُكه، فليشتر وليبع في الموسم»، يقول السيد السبزواري تعليقاً على هذه الرواية: « تدلّ عليه العمومات والإطلاقات»، وأنّ الآية المباركة نزلت لرفع توهّم الحظر، كما يدلّ عليه الحديث الآتي، وروى في (المجمع) عن جابر، عن الباقر عليه السلام:« ليس عليكم جُناح أنْ تطلبوا المغفرة من ربّكم»، للوهلة الأولى نرى الاختلاف والتعارض بين الروايتين في تفسير هذه الآية الكريمة؛ ولكن السيد السبزواري يرفع هذا التعارض بقوله قدس سره: «لا منافاة بين هذه الرواية وما تقدّم من الروايات؛ لأنّ الرزق أعمّ من المعنوي والظاهري »[٣].

---

(١) المصدر السابق ٤: ٤١٩ـ٤٢٠.

(٢) سورة البقرة: ١٩٨.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٣: ٢١٠ـ٢١١، بتصرف.

٣. مطابقة الرواية للسياق القرآني

نجد السيد السبزواري عندما يتطرق في أبحاثه التفسيرية لجمله من الأحاديث، فإنّه يعتمد على ما يكون عليه سياق الآية القرآنية من مطابقة، أو مخالفة لما ينقله من روايات.

فقد يأتي بالروايات المؤيدة للسياق القرآني، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]، حيث قال قُدِّسَ سِرُّهُ: «وفي (تفسير القمي)» قال: «أصلحوا أنفسكم فلا تتّبعوا عورات الناس ولا تذكروهم، فإنّه لا تضرّكم ضلالتهم إذا كنتم أنتم صالحين»، وعلق عليها بأنّ: «الرواية تؤيّد ما استفدناه من سياق الآية المباركة، من أنّ إصلاح النفس إنّما يكون مع مراعاة التكاليف الإلهيّة، ومنها الدعوة إلى الإيمان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فإذا بلغ حدّاً لا تأثير لها فيهم لضلالتهم، فيسقط عنهم ما زاد عن المتعارف، أو الذي فقد فيه الشروط،ولا تدل على سقوط الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر بالمرّة،أو الترخيص في ترك هذه الفريضة الإلهيّة»[2].

ومن ذلك ما رواه في تفسير قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ

(١) سورة المائدة: ١٠٥.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٢: ٣٣٠ـ٣٣١.

مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاء الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاء تَأْوِيلِهِ﴾[١]. يقول(قدس سره):«عن عليّ(عليه السلام) في حديث له مع معاوية: ((... وإنّي سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول:ليس من القرآن آية إلّا ولها ظهر وبطن ولا منه حرف إلّا وله حدّ مطلع على ظهر القرآن وتأويله وما يعلم تأويله إلّا الله والراسخون في العلم، وأمر الله (عزّ وجلّ) الأئمة أن يقولوا:آمنّا به كلٌّ من عند ربّنا، وأن يسلموا لنا وأن يردّوا علمه إلينا، وقال (عزّ وجلّ): ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، ويطلبونه)) ،... يظهر من سياق هذه الرواية وذكر هذه الآية الشريفة في ذيلها أنّ الاستنباط من القرآن لابدّ وأن يكون للراسخ في العلم فيه، وهو كذلك لما تقدّم- غير مرة - من أنّ القرآن الكريم لا يشرحه إلّا السنّة، فهو كالمتن لها، لا يفهم المراد من المتن إلّا بالرجوع إلى السنّة المقدّسة »[٢].

وقد تكون الرواية التي يستشهد بها السيد السبزواري بعيدة عن سياق محل التفسير، قال(قدس سره): «وفي «الدّر المنثور» عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ﴾، قال: «فانقطع الكلام، وقوله تعالى: ﴿إِلاَّ قَلِيلاً﴾، فهو أوّل الآية يخبر عن المنافقين، قال: ﴿وَإِذَا

(١) سورة آل عمران: ٧.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٥: ٥٥ـ٥٦ ، سورة النساء: ٨٣

جَاءهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِ﴾ قليلاً، يعني بالقليل المؤمنين».علق عليها السبزواري بقوله :«يستفاد منه أنّ في الآية الكريمة تقديماً وتأخيراً، وهو بعيد عن سياق الآية المباركة »[1].

٤. الروايات المخالفة لمذهب أهل البيت

رفض السيد السبزواري الروايات التي جاءت غير مطابقة لاعتقادات أهل البيت عليهم السلام، أو غير مطابقة لما جاء عنهم من أحاديث،كما في تعليقه على الروايات التي ذكرت في (الدر المأثور) المروية عن البيهقي في (سننه) عن الإمام علي عليه السلام، ففي تفسير قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُ نِسَآئِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَآئِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُواْ دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾[2]، قال قدس سره: وفي(الدّر المنثور)، عن البيهقي في (سننه):«إنّ رجلاً من بني شمخ تزوّج امرأة ولم يدخل بها، ثمّ رأى أُمّها فأعجبته، فاستفتى ابن مسعود فأمره أن يفارقها ثمّ يتزوّج أُمّها ففعل وولدت له أولاداً ، ثمّ أتى ابن مسعود المدينة فقيل له: لا تصلح، فلمّا رجع إلى الكوفة قال للرجل: إنّها عليك حرام ففارقها»، وعقب السبزواري بأنّ: حكم الجواز لم يصدر عن معصوم، فلا يمكن الاعتماد على هذه الرواية. وفيه أيضاً عن علي عليه السلام:« إنّ أُمّ الزوجة لا بأس بنكاحها قبل الدخول بالبنت، وأنّها بمنزلة الربيبة، إذا لم تكن في حجر زوج أُمّها لم تحرم عليه نكاحها »،

(١) المصدر السابق ٩: ٩٩، سورة النساء: ٨٣.

(٢) سورة النساء: ٢٣.

علق قُدِّسَ سِرُّه عليها بقوله: «هذه الرواية مخالفة لمذهب أهل البيت والمأثور عنهم عليهم السلام كما عرفت »[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً * مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً﴾[2]، يقول قُدِّسَ سِرُّه: «وفي الدّر المنثور أخرج ابن أبي حاتم من طريق عليّ عليه السلام عن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ﴾، يقول : « الحسنة من عند الله، أمّا الحسنة فأنعم الله بها عليك، وأمّا السيّئة فابتلاك الله بها »، وفي قوله تعالى: ﴿أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ﴾ قال: «ما فتح عليه يوم بدر، وما أصاب من الغنيمة والفتح»، ﴿وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ قال:«ما أصابه يوم أُحد أن شُجّ في وجهه وكُسرت رباعيّته».

أقول- والكلام للسيد السبزواري- :« المراد من الابتلاء الامتحان، والرواية موافقة للروايات الصادرة عن الأئمّة الهُداة عليهم السلام كما تقدّم»[3].

والملاحظ في منهج السيد السبزواري أنّه يقدم الروايات الواردة عن المعصومين عليهم السلام بالنسبة إلى تفسير النصوص القرآنية، ففي قوله تعالى:

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٨: ٢٠ـ٢١.

(٢) سورة النساء: ٧٨ـ٧٩.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٩: ٧٠، سورة النساء: ٧٩.

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيُقْتَلْ أَو يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾[1]، قالقُدِّسَ سِرُّهُ: «وفي «الدر المنثور» عن سعيد ابن جبير: في قوله تعالى: (فليقاتل)، يعني يقاتل المشركين (في سبيل الله)، قال: في طاعة الله، (ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل)، يعني يقتله العدّو، (أو يغلب) يعني يغلب العدّو، من المشركين، (فسوف نؤتيه أجراً عظيماً)يعني جزاءً وافراً في الجنّة، فجعل القاتل والمقتول من المسلمين في جهاد المشركين شريكين في الأجر ». ثم عقّب على ذلك بقولهقُدِّسَ سِرُّهُ: « الرواية من باب التفسير للآية المباركة، وتقدّم أنّ القتل في سبيله تعالى يكون من إحدى الحسنيين، وكذا من يقتل من العدو أو من وقع في الأسر في يد العدو، فكلّ مشقّة يتحمّلها المجاهد في سبيل الله تعالى فله أجره عند ربّه، كما تقدّم في الآيات السابقة »[2].

وفي تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[3]، قال السبزواري: « وهل كان سجودهم في السماوات أو في الأرض؟ يظهر من قول عليعليه السلامأنّه كان في

(١) سورة النساء: ٧٤.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٩: ٤٢.

(٣) سورة البقرة: ٣٤.

الأرض، فإنّه قال:أول بقعة عُبد الله عليها ظهر الكوفة، لمّا أمر الله الملائكة أن يسجدوا لآدم سجدوا على ظهر الكوفة »[١].

المحور السادس: بيان منهج السبزواري في تعامله مع الروايات

يمكن بيان منهج السيد السبزواري في تعامله مع الروايات وفق النقاط التالية:

١. تفسير وتوضيح الآية

ساهمت بعض الروايات في توضيح وشرح بعض الكلمات المبهمة والمجملة في الآيات القرآنية، وكشفت الغطاء عن الألفاظ الصعبة، وتُعد هذه الطريقة من أهم وظائف التفسير الاصطلاحي وتوضيح ذلك وفق عدّة أُمور:

أ. بيان المجمل في القرآن

المجمل: وهو ما كان غير ظاهر الدلالة على المقصود، وإن شئت قلت: اللفظ الموضوع الذي لم يتضح معناه، هذا إذا جعلنا الإجمال صفة المفرد فربما يقع وصفاً للجملة فيكون المراد ما لم يتضح المقصود من الكلام فيه[٢].

والأمثلة على ذلك كثيرة:

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٢٣٧.

(٢) انظر: أصول الحديث واحكامه في علم الدراية: ٩٧.

منها ما نقله السيد السبزواري عن (الكافي) في تفسير قوله تعالى: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى وَقُومُواْ لِلّهِ قَانِتِينَ﴾[١]، حيث قال: «في (الكافي) عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام:عمّا فرض الله (عزّ وجلّ) من الصلاة فقال عليه السلام:خمس صلوات في الليل والنهار. فقلت: فهل سماهن وبينهن في كتابه؟ قال: نعم، قال الله تبارك وتعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿أَقِمِ الصَّلاَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾، ودلوكها زوالها، ففيما بين دلوك الشمس إلى غسق الليل أربع صلوات سمّاهنّ وبيّنهنّ ووقّتهنّ، وغسق الليل، هو انتصافه، ثم قال: ﴿وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾، فهذه الخامسة، وقال الله تعالى في ذلك: ﴿وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ﴾، فطرفاه المغرب والغداة، ﴿وَزُلَفاً مِّنَ اللَّيْلِ﴾، وهي صلاة العشاء الآخرة، وقال الله تعالى: ﴿حَافِظُواْ عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوُسْطَى﴾، وهي صلاة الظهر، وهي أوّل صلاة صلّاها رسول الله صلى الله عليه وآله وهي وسط النهار، ووسط صلاتين بالنهار، صلاة الغداة، وصلاة العصر»[٢].

كما نقل السيد السبزواري عن العياشي في تفسير نفس الآية، حيث قال :« في (تفسير العياشي)عن زرارة ومحمد بن مسلم أنّهما سألا أبا

(١) سورة البقرة: ٢٣٨.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٩٩ـ١٠٠، وترتيب الآيات: الإسراء٧٨، هود١١٤، البقرة٢٣٨.

جعفر عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿والصَّلَاةِ الْوُسْطَى﴾[1]؟ قال عليه السلام: «صلاة الظهر، وفيها فرض الجمعة، وفيها الساعة الّتي لا يوافقها عبد مسلم فيسأل خيراً إلّا أعطاه الله إياه».

أقول – الكلام للسبزواري –:« المأثور عن الأئمة الهداة عليهم السلام في روايات كثيرة أن الصلاة الوسطى هي صلاة الظهر، وادعى شيخ الطائفة الإجماع عليه، وقوله عليه السلام:«فيها »، أي في صلاة الظهر؛ لأن الجمعة والظهر واحدة حقيقة، وإنما سقطت ركعتا الجمعة لمكان الخطبتين، فليستا حقيقتين مختلفتين»[2].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾[3]، يقول السبزواري:« يدل على أن للهدي محلاً معين، لا يجوز ذبحه في غيره، ولكنه أجمل ذلك، وقد حددته الروايات المقدسة بمكة المكرمة أو منى»[4].

ب. توضيح المشكل

المشكل: وهو المشتمل على مطالب غامضة لا يفهمها إلّا العارفون[5].

كما في تفسير الإمام الصادق عليه السلام للخيط الأبيض والخيط الأسود، بأنه

---

(١) سورة البقرة: ٢٣٨.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٩٩.

(٣) سورة البقرة: ١٩٦.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٣: ١٦، بتصرف.

(٥) انظر:أصول الحديث واحكامه في علم الدراية: ٩٦.

بياض النهار وسواد الليل، حيث يقول السيد السبزواري: «في«(الكافي) »عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾، قال عليه السلام:«هو بياض النهار من سواد الليل »[1].

ج. بيان معنى لفظ أو متعلقه

توسع السيد السبزواري في بيان معاني ألفاظ القرآن الكريم وأشار إلى متعلقاتها واستفاد أكثر من معاني الألفاظ، كبيانه لقوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ﴾[2]، بأنها مطهرة من الحيض والنفاس، وسائر مساوئ الأخلاق، إذ قال السبزواري:«والمعنى: إنّ لهم أزواجاً مطهّرات غاية التطهير، لأنّ حذف المتعلّق يفيد العموم، فهنّ مطهّرات من جميع الأقذار الخَلقية، كالحيض والنفاس، والخُلُقية، كالمكر وسائر مساوئ الأخلاق، ومستكملات بكلّ المحامد الجسمانية والنفسانية، وما ورد في بعض الأخبار، أنهنّ مطهّرات من الحيض والنفاس، إنما هو بيان بعض المصاديق»[3].

وفي قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا﴾[4]، يقول :«والقطع هو الإبانة والإزالة، والآية الشريفة وإنْ كانت مطلقة، إلّا أنّ السنّة الشريفة بيّنت شروط الحكم، فلا يصّح إجراء الحدّ إلّا إذا توفّرت

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٣: ١٠٢، سورة البقرة١٨٧.

(٢) سورة البقرة: ٢٥.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ١٧٧.

(٤) سورة المائدة: ٣٨.

جميع الشروط المعتبرة في السارق، والشيء المسروق منه، فليس كلّ سرقة يجري عليها الحكم المزبور، كما هو مذكور في الفقه، راجع كتابنا (مهذب الأحكام)»[١].

٢. تطبيق الآية على مصداق خاص

وردت بعض الأحاديث لبيان أحد مصاديق الآية، وهذا ما يمكن تصنيفه إلى ثلاثة أنواع:

أ- يبيّن الحديث أحياناً أحد مصاديق الآية، وإنْ كانت الآية لا تنحصر في ذلك المصداق بعينه.

ففي بحثه الروائي عن تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللّهِ قَالُواْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُواْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، ينقل السيد السبزواري عن (تفسير القمي) قوله أنّها: «نزلت في عبد الله بن أُبيّ وأصحابه الّذين قعدوا عن رسول الله ﷺ في يوم أُحد، فكان إذا ظفر رسول الله بالكفّار قالوا له: ألم نكن معكم، وإذا ظفر الكفّار قالوا: ألم نستحوذ عليكم، ألم نعينكم، ولم نعن عليكم، وقال الله تعالى: ﴿فَاللّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سبيلاً﴾»، وعلق عليها بقوله :« الرواية تبيّن حقيقة

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١١: ٢٤٥.

(٢) سورة النساء: ١٤١.

النفاق، وأنّها من باب ذكر أحد المصاديق »[١].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِن تَلْوُواْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾[٢]، بعد أن نقل السيد السبزواري رواية الطبرسي في (المجمع) عن أبي جعفر الباقرعليه السلام في قوله تعالى:﴿وَإِن تَلْوُواْ﴾أي: تبدّلوا الشهادة،﴿أَوْ تُعْرِضُواْ﴾ أي: تكتموها، ﴿فَإِنَّ اللّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً﴾ الآية.

علّق عليها قدس سره بقوله :«التبديل أعمّ من التحريف والتغيير أو الإسقاط - كما تقدّم في التفسير- والكتمان أعمّ من جميعها أو بعضها، والرواية من باب ذكر بعض الأفراد »[٣].

وقال أيضاً: في« (الكافي) عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر الباقرعليه السلام قال: «إنّ أُناساً تكلّموا في القرآن بغير علم، و ذلك أنّ اللّه تبارك و تعالى يقول: ﴿هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَ أُخَرُ مُتَشابِهاتٌ فَأَمَّا الَّذينَ في قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ ما تَشابَهَ مِنْهُ ابْتِغاءَ الْفِتْنَةِ وَ ابْتِغاءَ تَأْويلِهِ وَ ما يَعْلَمُ تَأْويلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾، فالمنسوخات من المتشابهات، و المحكمات من الناسخات»، ثُم علق قدس سره عليها :« أقول: هذه الرواية محمولة على ذكر بعض المصاديق، لا الحصر الحقيقي »[٤].

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٠: ٧٧-٧٨، سورة النساء١٤١.

(٢) سورة النساء: ١٣٥.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٠: ٢٥.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٥: ٥٣، سورة آل عمران: ٧.

ب ـ وقد يبيّن الحديث أحياناً المصداق الأتم والأكمل، وإنْ كان معنى الآية لا ينحصر بهذا المصداق أيضاً.

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا﴾[1]، نقل السيد السبزواري عن (تفسير القمي) قوله: « آيات الله هم الأئمة عليهم السلام»، ومن الواضح أنّ هذا النوع من الأحاديث يريد أن يبيّن أحد المصاديق الكاملة لآيات الله، وهم أهل البيت عليهم السلام، وإلّا فإن آيات الله غير محصورة، إلى أن قال :«إنّ ذلك من باب ذكر أكمل المصاديق وأجلّها، وإلّا فإنّ آيات الله تشمل كلّ خلق يدلّ على وحدانيته وقيّوميّته الجامعة لجميع صفات الكمال، بل إنّ نظام الكون يدلّ على ذلك »[2].

كما نقل السيد السبزواري رواية عن (تفسير القمي) وقال:« وفي تفسير علي بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿لَّـكِنِ اللّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلآئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيداً﴾، بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام: إنّما نزلت في علي عليه السلام، أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً»[3]، ثم علق عليها بقوله:« الرواية من باب التفسير والتطبيق بأجلّ المصاديق وأشرفها، ولا يكون من التحريف ولا قراءة منه عليه السلام»[4].

(١) سورة النساء: ١٤٠.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٠: ٧٣.

(٣) المصدر السابق ١٠: ٢٠٥.

(٤) المصدر السابق ١٠: ٢٠٥ ، سورة النساء: ١٦٦.

ج- وأحياناً يأتي الحديث لبيان مصداق خاص، ويكون معنى الآية منحصراً فيه، ولا توجد مصاديق أُخرى.

مثال ذلك: في آية الولاية: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ﴾، وآية المباهلة: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، وآية التطهير: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾[١]، وردت أحاديث متعددة تشير إلى أنّ المصداق الوحيد في هذه الآيات هم أهل البيت عليهم السلام، ولا توجد مصاديق أُخرى لهذه الآيات مع أخذ تلك الروايات بنظر الاعتبار[٢].

ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ﴾، قال السيد السبزواري: أجمعت الإماميّة على أنّ الآية الشريفة إنّما نزلت في علي عليه السلام،عندما تصدّق بخاتمه أو بحلّيته وهو راكع حين سأله سائل، وعليه أكثر الجمهور، بل يمكن دعوى تواتر الأخبار في ذلك، فقد نقلها أئمّة الحديث - الحفّاظ- في كتب الأخبار.

ففي (الدرّ المنثور) : أخرج الخطيب في المتّفق عن ابن عباس قال:«تصدّق عليّ بخاتمه وهو راكع، فقال النبي صلى الله عليه وآله للسائل: مَن أعطاك

(١) سورة المائدة: ٥٥، سورة آل عمران: ٦١، سورة الأحزاب: ٣٣، سورة المائدة: ٣.

(٢) تسنيم ١: ١٦٩.

هذا الخاتم؟ قال :ذلك الراكع،فأنزل الله:﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ ﴾»[١].

وفي قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾، قال السيد السبزواري:«اتّفقت الروايات المتواترة على أنّ آية المباهلة نزلت في وفد نصارى نجران، الذين هم من أشرافهم، وفيهم السِّيد والعاقب على رسول اللهﷺ في المدينة المنورة في السنة التاسعة أو العاشرة من الهجرة، ومع رسول الله ﷺأهل بيته، وهم علي وفاطمة والحسن والحسينعليهم السلام،وقد روي خبر المباهلة عن أكثر من خمسين طريقاً من الصحابة مذكورة في كتب أحاديث الجمهور وغيرهم، ففي(تفسير القمي)، عن الصادقعليه السلام: «أنّ نصارى نجران لمّا وفدوا على رسول اللهﷺ وكان سيِّدهم الأهتم، والعاقب، والسيِّد...إلى أن قال:فقال رسول الله ﷺ،فباهلوني،فإن كنت صادقاً أُنزلت اللعنة عليكم، وإن كنت كاذباً أُنزلت عليَّ. فقالوا: أنصفت، فتواعدوا للمباهلة، فلمّا رجعوا إلى منازلهم، قال رؤساؤهم السيِّد والأهتم: إنْ باهَلنا بقومه باهَلناه، فإنّه ليس نبيّاً، وإنْ باهلنا بأهل بيته خاصّة، لم نُباهله، فإنّه لا يقدم إلى أهل بيته إلّا وهو صادق، فلمّا أصبحوا جاؤوا إلى رسول اللهﷺ ومعه أمير المؤمنينعليه السلام وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فقال النصارى: مَن هؤلاء؟ فقيل لهم:هذا ابن عمّه ووصيّه وختنه علي بن أبي طالب، وهذه ابنته فاطمة وهذان ابناه الحسن والحسين، فتفرّقوا، فقالوا

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١١: ٤١٦-٤١٧.

لرسول الله صلى الله عليه وآله:نعطيك الرِّضا فأعفنا من المباهلة، فصالحهم رسول الله على الجزية وانصرفوا»[(١)].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[(٢)]، قال قدس سره: «وقد وردت روايات كثيرة جداً متواترة- نصاً ومعنى- عن العامّة والخاصّة أنّ المراد من هذه الآية الشريفة هو يوم الغدير، الذي نصّب رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام بالولاية، وقد ضبط أكثرها -مع التحقيق في أسانيدها وكونهم ثقات- غير واحد من علماء الفريقين، وكتبوا في ذلك كتباً كثيرة جداً،ومع ذلك كلّه فالحقّ واضح والشمس ساطعة، فعن مولانا الصادق عليه السلام:« أنّ حقوق الناس تُعطى بشهادة شاهدين، وما أُعطي أمير المؤمنين بشهادة عشرة آلاف نفس»، يعني يوم غدير خمّ، إنّ هذا إلّا الضلال عن الحقّ المبين، قال تعالى ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلاَّ الضَّلاَلُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ * كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُواْ أَنَّهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾»[(٣)].

٣. تخصيص عموم الآية بالرواية

قد يكون النظر للآية الكريمة في أول وهلة على نحو من العموم، لكن وبعد الإطلاع على ما ورد من آيات أُخرى نرى أنّها تكون مخصصة لذلك العموم.

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٦: ٢٠-٢١.

(٢) سورة المائدة: ٣.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٠: ٣٧٥-٣٧٦، سورة يونس: ٣٢-٣٣.

ففي قوله تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ﴾(١)، نقل السيد السبزواري رواية عن الإمام الصادق عليه السلام، قد خصصت إطلاق الآية الكريمة في حال لو كان الرجل مسلماً فنسي أنْ يسمّي، حيث قال قدس سره:«عن ابن سنان عن أبي عبد الله عليه السلام،قال:«سألته عن ذبيحة المرأة والغلام هل تؤكل؟قال عليه السلام:نعم، إذا كانت المرأة مسلمة، وذكرت اسم الله حلّت ذبيحتها، وإذا كان الغلام قويّاً على الذبح، وذكر اسم الله حلّت ذبيحته، وإن كان الرجل مسلماً فنسي أن يسمّي فلا بأس بأكله إذا لم تتّهمه ».

أقول - والكلام للسبزواري -: الحديث يفسّر إطلاق الآية الكريمة من حيث الذابح، فيشمل جميع مَن ذكر في الحديث من المسلمين،أمّا غير المسلمين فقد اختلفت الروايات في حلّية ذبائحهم،والمشهور عدم الحلّية كما تدلّ عليه الرواية المزبورة، كما أنّها تبيّن حكم نسيان التسمية، فتكون مخصّصة لعموم الآية الكريمة» (٢).

٤ . تقييد الآية المطلقة

من الواضح أنّه لا يمكن الأخذ بإطلاق الآية القرآنية مع الإعراض عن الآيات القرآنية الأُخرى مطلقاً، وكذلك لا يمكن الاستغناء عن تفسير المعصوم عليه السلام في فهم ظواهر الآيات.

(١) سورة الأنعام: ١١٨.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٤: ٣٤١ـ٣٤٢.

مثال ذلك: ما استفاده السيد السبزواري من استدلال الإمام الجوادعليه السلام في حد ما يجب قطعه من يد السارق، كقرينة على تقييد إطلاق قوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1] ، حيث قالقدس سره: « ذكرنا في آية الوضوء والتيمم أنّ اليد في الإنسان تطلق على ما هو المحدود من أطراف الأصابع إلى الكتف، وتطلق على أبعاض ذلك أيضاً، إطلاق اسم الكلّ على الجزء بقرينة خاصّة حاليّة أو مقاليّة، وهذا يجري في آية السرقة أيضاً وإنْ كانت مطلقة، إلّا أنّ الروايات دلّت على أنّ القطع مقيّد بجزء خاصّ، ففي (تفسير العياشي) قال الإمام الجوادعليه السلام:(القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع فيترك الكفّ، قيل له وما الحجّة على ذلك؟ قالعليه السلام: قول رسول الله السجود على سبعة أعضاء الوجه، واليدين، والركبتين، والرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق لم يبق له يد يسجد عليها، وقال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّـه﴾، يعني هذه الأعضاء السبعة التي يُسجد عليها، ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾، وما كان لله لم يقطع) »[2].

وعلق عليه السيد السبزواري بقوله :«الحديث يدّل على أنّ القرآن يفسر بعضه بعضاً، وأنّه لا يمكن الأخذ بإطلاق الآية مع الأعراض عن

(١) سورة المائدة: ٣٨.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١١: ٢٥٩ـ٢٦١، سورة الجن: ١٨.

القرائن الأُخرى مطلقاً، كما يدلّ على أنّه لا يمكن الاستغناء عن المعصوم عليه السلام في فهم ظواهر الآيات، فإنهما لن يفترقا»[١].

وفي بحثه الفقهي في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ﴾[٢]، قال قدس سره: «يدل على أنّ مطلق المنع من إتمام الحجّ والوصول إلى بيت الله الحرام لأداء المناسك، سواء كان السّبب عدوّاً، أم مرضاً، أم غير ذلك، يوجب تبديل الحكم بالنسبة إلى المحصور مطلقاً، وإنّ قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾، لا يكون قرينة على أنّ المراد هو الحصر من العدوّ بل هو عام يشمل الأمن من رفع المانع، ولكن تكرّر في الروايات أنّ المحصور غير المصدود، فالأوّل هو المريض، والثاني هو الذي يردّه المشركون، كما صدّوا النبي صلى الله عليه وآله عن الحج عام الحُديبيّة.

والظاهر: أنّ الحصر متعلق بالحجّ والعمرة كليهما، فلا اختصاص له بالأوّل فقط؛ لأنّه ذكر عقيبهما فيرجع إليهما معاً»[٣]. وفي قوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ﴾[٤]، قال قدس سره: «وظاهر الآية الشريفة يدلّ على ترتّب الحكم على مسمّى الرضاعة كيف اتّفق،

(١) المصدر السابق ١١: ٢٦١.

(٢) سورة البقرة: ١٩٦.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٣: ٢١٤ـ٢١٥، سورة البقرة: ١٩٦.

(٤) سورة النساء: ٢٣.

ولكن السنّة الشريفة ذكرت لها شروطاً، فلا يمكن الأخذ بالإطلاق مع وجود القيد »[١].

٥ . بيان الآيات الناسخة والمنسوخة في الأحاديث

لاشك أنّ النسخ حقيقة وقعت في حق الشريعة، وهناك آيات كثيرة نُسخت بآيات أُخرى، وقد تصدى النبيﷺ لبيان الآيات الناسخة والمنسوخة، كما نرى ذلك في حديث «البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام» بيان منه ﷺ لنسخ حكم قوله تعالى: ﴿وَاللاَّتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىَ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾[٢].

يقول السيد السبزواري:« روى كبار المحدّثين من الجمهور عن عبادة بن الصامت في حديث :«أنّ رسول الله ﷺأُوحي إليه، ولمّا سرى عنه الوحي، قال ﷺ:(خذوا عنّي، قد جعل الله لهنّ سبيلاً: الثيب جلد مائة ورجم بالحجارة، والبكر جلد مائة ثمّ نفي سنة)»[٣].

كذلك نرى السيد السبزواري قد وقف قبال كثير من دعاوى النسخ ، التي ظهرت لكثرة التساهل في إطلاق النسخ على التقييد والتخصيص

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٨: ١١.

(٢) سورة النساء: ١٥.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٧: ٣٦٣.

والاستثناء والتبين، وبذلك قلت لديه دعاوى النسخ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُواْ عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّاباً رَّحِيماً﴾[١]، فقد روي عن الإمام الصادقعليه السلامأنّ هذه الآية قد نُسخت بآية الجلد، ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ...﴾[٢]، وحكم الرجم(الذي جاء في السنّة)[٣].

يقول السيد السبزواري:«ظهور الآية المباركة في أنّ الحكم فيها مؤقّت، وأنّه منسوخ بالحدّ المفروض في سورة النور، حيث قال تعالى في المقام: ﴿أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾، والسبيل ما ورد في سورة النور: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ ﴾الآية، فقد روي في (الكافي) عن أبي جعفر الباقرعليه السلام في حديث:«أنّ سورة النور نزلت بعد سورة النساء،قال الله تعالى: ﴿وَاللاَّتِي... أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلاً﴾، فالسبيل الذي قاله الله تعالى هو: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾، وفي (تفسير العياشي)، عن جابر، عن الباقرعليه السلام:«جعل السبيل الرجم أو الجلد »[٤].

ولكن السيد السبزواري يذهب إلى أنّ الآيتين غير منسوختين، بل هما

(١) سورة النساء: ١٦.

(٢) سورة النور: ٢.

(٣) تفسير العيّاشي ١: ٢٢٧ـ٢٢٨.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٧: ٣٦٣.

من قبيل الإجمال والتفصيل، حيث يقول قدس سره:«وبالجملة: أنّ الآية الأُولى تتعرّض لحكم النساء الزانيات مطلقاً على نحو الإجمال، وأمّا التفصيل فهو مذكور في آية سورة النور والسنّة المقدسة، سواء كنّ محصنات أم غير محصنات، ثيّبات أم أبكاراً. وأمّا الآية الثانية فهي تتعرّض لحكم مَن يصدر عنه الفاحشة، ولكن لا وجه للنسخ من الآية، بل هي مفصّلة ومشروحة بعضها في هذه السورة، والبعض الآخر- هو حكم غير المحصنات- في سورة النور»، ثم يقول:« وكيف كان فالآيتان غير منسوختين »[١].

وقال قدس سره:«وفي تفسير النُعماني عن أمير المؤمنين عليه السلام ذكر عدّة آيات من الناسخ والمنسوخ، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، نسخه قوله (عزّ وجلّ) : ﴿وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلاَّ مَن رَّحِمَ رَبُّكَ...﴾، أي للرحمة خلقهم...

أقول - والكلام ما زال للسيد السبزواري -:«إنّ المراد من النسخ بالمعنى الأعم أي مطلق التحويل، وإلّا فخلق الجن والإنس ليعبدون، أي ليأمرهم بالعبادة، كما في جملة من الأخبار، وهو عبارة أُخرى عن خلقهم للرحمة بعد امتثال الأمر »[٢]، وفيه أيضاً قال علي عليه السلام:« ونسخ قوله

(١) المصدر السابق ٧: ٣٦٤ـ٣٦٦.

(٢) المصدر السابق ١: ٥٢٥.

تعالى:﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً﴾[١]، قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُوْلَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ * لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ * لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ﴾[٢]،أقول- والكلام للسيد السبزواري- :«هذا من سنخ التخصيص بالنسبة إلى الآية الأولى، ولا ينافي ذلك قوله تعالى: ﴿ كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَّقْضِيّاً﴾،لغرض الخروج الموضوعي »[٣].

وفي (الدّر المنثور) أخرج النّحاس في ناسخه، عن ابن عباس، في قوله: ﴿قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ﴾[٤]، قال: نسخ هذه الآية آية السيف: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ...﴾[٥]، وعلق السبزواري عليها بقوله :«عرفت في التفسير أنّ ما ورد في الآية الكريمة من القضاء الحتمي الذي لا يقبل التغيير والنسخ»[٦].

ونقل السيد السبزواري في بحثه الروائي عن (الكافي) وعن العياشي

(١) سورة مريم: ٧١.

(٢) سورة لأنبياء: ١١٢و١١١و ١١٣.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٥٢٥ـ٥٢٦، والآيات: الذاريات٥٦، هود: ١١٨و١١٩.

(٤) سورة الأنعام: ٦٦.

(٥) سورة التوبة: ٥.

(٦) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٣: ٤٦٦ـ٤٦٧.

حيث قال:«في (الكافي) عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾[1]، نزلت هذه الآية في أهل الذمة ثم نسخها قوله (عزّ وجلّ): ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾، وعن العياشي عن الصادق عليه السلام أيضاً: « إنّ الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله بخمسة أسياف: فسيف على أهل الذمة، قال الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْناً﴾، نزلت في أهل الذمة، ثم نسخها قوله تعالى: ﴿قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ﴾ الآية»، ثم علق قدس سره عليهما بقوله :« المراد من النسخ في المقام ليس المعنى المصطلح فيه كما يأتي في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، بل المراد التقييد والتخصيص، كما يقيد قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾»[2].

٦. الأخبار الموضحة لشأن نزول الآيات

تعرّضت كثير من الأخبار لبيان أسباب نزول الآيات، أيّ لبيان زمان ومكان نزول الآية، أو نوع الحادثة الّتي وقعت في أثنائها أو بعدها، وهذا

(١) سورة البقرة: ٨٣

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٤٤٣، وترتيب الآيات: التوبة: ٢٩، البقرة: ٨٣،١٠٦، ١٩٤، الشورى: ٤٠.

الأمر له تأثير كبير في توضيح مفاد الآية.

وقد تعرض السيد السبزواري في أبحاثه الروائية إلى جملة من المرويات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وعدّها من قبيل «الجري»[1] وعدّ المصاديق، أي إنّ ما يذكره قدس سره من روايات في أسباب النزول إنّما هو من باب التطبيق والجري، لا الحصر والتخصيص.

ومثاله: ما نقله في بحثه الروائي عن (تفسير القمي) في قوله تعالى: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ العِزَّةَ لِلّه جَمِيعاً﴾[2]، حيث قال: « نزلت في بني أُمية حيث حالفوهم على أنْ لا يردّوا الأمر في بني هاشم، ثم قال: ﴿أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ﴾ يعني: القوة»[3].

وعلق قدس سره عليها بقوله: « الرواية من باب التطبيق والجري، لا الحصر والتخصيص»[4].

وقد يتطرق رحمه الله للرواية التي تتحدث عن شأن النزول ولكنه يردّها؛

(١) الجري: هو عين القاعدة الأصولية المعروفة((العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب))، وعليه فالقرآن الكريم يجري على الماضي والحاضر والمستقبل، ولا يقف عند المناسبات الأولى لنزول آياته، والجري يستبطن أحياناً ما عُرف بالباطن الذي يقابل الظاهر، انظر: القرآن في الإسلام: ٥٢.

(٢) سورة النساء: ١٣٩.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٠: ٧٣.

(٤) المصدر السابق ١٠: ٧٣.

لما يجد فيها من ضعف سواء في سندها أو في متنها، كتعقيبه على الرواية التي نقلها عن ابن عباس،في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً﴾[1]، حيث قال قُدِّسَ سِرُّهُ:« عن ابن عباس : أنّها نزلت في يهود أهل المدينة ونصارى أهل نجران، وذلك أنّ وفد نجران لما قدموا على رسول الله أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم، فقالت اليهود: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعيسى والإنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بموسى والتوراة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وقريب من ذلك ما رواه في (المجمع) عن ابن عباس »[2].

وعقب عليها قُدِّسَ سِرُّهُ بقوله: « مع الغض عن أسانيد الأحاديث لا يمكن الاعتماد على متونها؛ لأن النصارى مطلقاً يعترفون بالتوراة ونبوة موسى؛ لأن الإنجيل متمم للتوراة ومشتمل على كثير من أحكامها »[3].

وقد يتخذ السيد السبزواري من سياق الآية القرآنية مؤيداً لصحة ما جاء في الرواية من أسباب النزول،كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4]، ونقل رواية عن

---

(١) سورة البقرة: ١١٣.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٥٥١.

(٣) المصدر السابق ١: ٥٥٢.

(٤) سورة آل عمران: ١٢١.

الإمام الصادق عليه السلام تبين أسباب نزول هذه الآية، حيث قال قدس سره: «في (تفسير القمي) عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «سبب نزول هذه الآية أنّ قريشاً خرجت من مكّة تريد حرب رسول الله صلى الله عليه وآله، فخرج يبغي موضعاً للقتال»، وعلّق عليها بقوله: «سياق الآية المباركة يشهد على صحّة ما ورد في مثل هذه الروايات، كما عرفت في التفسير»[1].

نعم، قد يكون سبب النزول واحد، لكن منشأه متعدّداً، كما في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾[2]، ويتطرق إلى أسباب نزول هذه الآية، فقال: «في أسباب النزول، عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: «جاءت امرأة إلى رسول الله صلى الله عليه وآله بابنتين لها فقالت: يا رسول الله هاتان بنتا ثابت بن قيس - أو قالت سعد بن الربيع - قُتل معك يوم أُحد، وقد استفاء عمّهما مالهما وميراثهما، فلم يدع لهما مالاً إلّا أخذه، فما ترى يا رسول الله؟ فو الله ما تنكحان أبداً إلّا ولهما مال. فقال صلى الله عليه وآله: يقضي الله في ذلك، فنزلت سورة النساء وفيها: ﴿يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ...﴾»، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: ادع لي المرأة وصاحبها، فقال لعمّهما: أعطهما الثلثين وأعط أُمّهما الثمن، وما بقي فَلَكَ».

أقول - والكلام للسيد السبزواري -: الرواية لم تتعرض لحكم الزائد عن

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٦: ٣٠١.

(٢) سورة النساء: ١١.

السهام، وهناك روايات أُخرى تتعرّض له وأنّ الزائد يردّ على البنتين،ويمكن أن يكون منشأ النزول متعدّداً، والنزول واحداً،ولا بأس بذلك»[١].

٧. توضيح وتأويل الآيات

التأمل الدقيق في الآيات الكريمة يعطي المُفسِّر رؤية واضحة في عمله التفسيري لأنّ التأمل في القرآن الكريم وفي الآيات القرآنية هو نحو تفسير لها، فالنظرة العابرة والمهمشة للآية القرآنية، هو نوع ظلم بحق التفسير، فكلما ازداد المفسر التعمق في الآية سوف يزداد في أعماقها وصورها وتفسيرها الحقيقي.

والتأويل هو الفهم الدقيق للآيات القرآنية بحيث يتجاوز المفسر التفسير الظاهري للآية القرآنية وهذا النحو الدقيق للمنطق القرآني قد تكفلته مجموعة كبيرة من الروايات والأخبار الشريفة.

واحتاج المفسر في أنحاء وجوه تفسيراته التأويليّة إلى عناية كبيرة يبذلها في آلياته التفسيريّة ولم يكن ذلك بالسهل اليسير إلّا بالاستعانة بالأخبار الصادرة عن أهل البيت عليهم السلام الذين مارسوا عملية التفسير ووجوهه التأويليّة.

وقد استعان السيد السبزواري بذلك كما في تفسير الآية المباركة: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٧: ٣٤٠-٣٤١.

الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ﴾[١]، فقد نقل السيد السبزواري قدس سره رواية عن الإمام الصادق عليه السلام حيث قال:« وفي (الكافي) بإسناد عن سماعة، عن الصادق عليه السلام قال:«قلت له: قول الله (عزّ وجلّ) : ﴿مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ﴾ الآية، قال عليه السلام: (مَن أخرجها من ضلال إلى هدى فكأنّما أحياها، ومَن أخرجها من هدى إلى ضلالة فقد قتله)»، وعلق عليها قدس سره بقوله :« المراد من الحياة والممات في الرواية الحياة المعنويّة والممات المعنويّ، كمَن أخرجها من الكفر إلى الإيمان، وتقدّم سابقاً أنهما أفضل من الحياة الجسميّة، كما تدل عليه الآيات المباركة والروايات المستفيضة، والرواية من باب التطبيق على أكمل الأفراد وأجلاها، أو من باب التأويل الأعظم كما في بعض الروايات[٢]، ولا تنافي النجاة من الحرق أو الغرق وغيرهما؛ لشمول الإحياء له كما هو المعلوم »[٣].

٨. تأييد معانِ الآيات بالنظر فيها أو في غيرها

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى﴾[٤]، يقول السيد السبزواري قدس سره: « أي: لا تحبطوا صدقاتكم بالمَن

(١) سورة المائدة: ٣٢.

(٢) روي عن الإمام الصادق عليه السلام:أنه قال« مَن حرق أو غرق، ثم سكت، ثم قال: تأويلها الأعظم أن دعاها فاستجاب له »، وروي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال:« قال من حرق أو غرق، قيل: فمن أخرجها من ضلال إلى هدى، قال: تأويلها الأعظم» ،انظر: الكافي ٢: ٢١٠ـ٢١١.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١١: ٢١٩.

(٤) سورة البقرة: ٢٦٤.

والأذى، فإنّ رذيلة المَن والأذى ومفسدتهما تذهبان فضيلة الإنفاق، وتهدمان الغاية الشريفة منه »[١].

ثم أيد هذا المعنى بما أثر عن النبي ﷺ قائلاً:« في (تفسير القمي) في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ثُمَّ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنّاً وَلاَ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، عن الصادق عليه السلام قال رسول الله ﷺ:مَن أسدى إلى مؤمن معروفاً، ثم آذاه بالكلام، أو مَن عليه فقد أبطل صدقته، ثم ضرب الله فيه مثلاً فقال: ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾، وقال عليه السلام مَن كثر امتنانه وأذاه لمن يتصدق عليه بطلت صدقته، كما يبطل التراب الذي يكون على الصفوان، والصفوان: هي الصخرة الكبيرة التي تكون في المفارز فيجيء المطر فيغسل التراب منها ويذهب به، فضرب الله تعالى هذا المثل لمَن اصطنع معروفاً، ثم اتبعه بالمَن والأذى»[٢].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ﴾[٣]، يقول السيد السبزواري:«وما هو المعروف من أنّ المسيح

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٣٦٦.

(٢) المصدر السابق ٤: ٤١١، سورة البقرة: ٢٦٤،٢٦٢.

(٣) سورة النساء: ١٦٣.

ليست له شريعة غير شريعة موسى عليه السلام كما هو ظاهر الآية الشريفة -أيضاً- النازلة في شأن عيسى عليه السلام: ﴿وَمُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ﴾، وغيرها من الآيات المباركة....

يمكن المناقشة فيه من أنّ التغيير أو التبديل في الشريعة السابقة يكفي في تأسيس الشريعة، وقد تقدّم منّا مكرراً من أنّ الشريعة كلّها متّحدة، وأنّ كلّ شريعة مكمّلة لما قبلها، وأنّ شريعة خاتم الأنبياء أكملها »[1].

ثم أيد هذا المعنى بما أثر عن النبي صلى الله عليه وآله بقوله قدس سره:« وتدلّ على ذلك روايات كثيرة، منها ما عن نبيّنا الأعظم صلى الله عليه وآله: «بعثتُ لأُتمّم مكارم الأخلاق»، فشريعة عيسى عليه السلام مكمّلة لشريعة موسى عليه السلام، وكانت شريعة عيسى عليه السلام مستمرة إلى عصر خام الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله فقد أُنزل عليه القرآن وأتى بشريعة تضمّنت جميع الشرائع الإلهيّة، فصارت خاتمة لها، فهو صلى الله عليه وآله الخاتم لما سبق والفاتح لما استقبل، والمهيمن على ذلك كلّه »[2].

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٠: ١٩٠، سورة آل عمران: ٥٠.

(٢) المصدر السابق ١٠: ١٩٠.

المبحث الثالث
أقوال المفسرين والاحتجاج بها

وفيه ثلاثة محاور:

المحور الأوّل: الترجيح بين الأقوال

التزم السيد السبزواري أسلوباً في التعبير عن موقفه من أقوال المفسرين فبعد أنْ يكشف عن المراد في الآية، يعرض أقوالاً لبعض المفسرين، ثم يعطف النظر إلى ملاحظة هذه الأقوال بمقارنتها مع ما قدمه من معنى وبيان للآية لتأخذ نصيبها من التأييد أو الرفض.

فعندما يتعرض للرّد على هذه الأقوال ، فإنّه يلاحظ هذه الأقوال بمقارنتها مع ما قدمه من تفسير وتوضيح لمعنى الآية القرآنية ، فإذا كان بعضها موافقاً لما قدمه المُفسِّر من البيان أشار إليه بأحد التعابير التي تدل على ذلك مثل: « وهذا هو الوجه الصحيح»، «وهو وجه حسن »، «وأنّ ذلك احتمال حسن » ،« وإنّ ما ذكره وإنْ كان حقّاً » وغير ذلك من الألفاظ...

كما في قوله تعالى: ﴿بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ﴾[١]، حيث وقع الخلاف بين المفسّرين في المراد من (الكلمة)، فقيل: إنّ المراد منها هو المسيح باعتبار أنّه تكوّن في رحم أمّه من غير فحل، بل بكلمة (كُن)، أي بتوجّه الإرادة الخلّاقة إلى إيجاده بدون أسباب ومعدّات ظاهريّة، ولكنّهم يوجدون بالأسباب العاديّة، بخلاف عيسى عليه السلام فإنّه وجد من دون تلك الأسباب العاديّة، ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾، وقوله تعالى في آخر هذه الآيات: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ »[٢].

وقد أخذ السيد السبزواري بهذا القول واعتبره هو الرأي الصحيح من بين ما ذكروه من آراء في المسألة،بقوله قدس سره: «وهذا هو الوجه الصحيح وتؤيّده ظواهر الآيات الشريفة وبعض الأحاديث»[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاء نَصِيبٌ مِّمَّا اكْتَسَبْنَ﴾[٤]، قال السيد السبزواري :« ذكر بعض المفسّرين تبعاً لبعض أهل اللغة أنّ الكسب والاكتساب يختصّان بما يحصل للإنسان بعمل اختياري،

(١) سورة آل عمران: ٤٥.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٥: ٣٤٢ـ٣٤٣، وترتيب الآيات: النساء: ١٧١، آل عمران: ٥٩.

(٣) المصدر السابق ٥: ٣٤٣.

(٤) سورة النساء: ٣٢.

كالطلب ونحوه، وهو صحيح، بحسب الغالب، وإلّا فقد يطلق الكسب على ما ليس كذلك،كما يقال في كسب الأخلاق بالمعاشرة والصفات »[1].

وفي قوله تعالى: ﴿عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾[2]، قال السبزواري: «عيسى معرّب يسوع بالعبرانيّة، وذكر بعض المفسّرين أنّ تفسيره بـ(يعيش) هو الأنسب من جهة تسمية ابن زكريا بـ(يحيى)، لما بين هذين النبيّين من المشابهة التامّة، وهو وجه حسن »[3].

وفي معنى الفوقيّة في قوله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[4]، قيل: إنّ المراد بالفوقيّة، الفوقيّة في الاحتجاج والبرهان، وفي جهة المقبوليّة لحجج المتّبعين له، واستماع الناس لها وكونهم أطوع لها، وقد علق عليه السيد السبزواري بقوله :«وفيه: أنّ ذلك احتمال حسن ثبوتاً، كما هو كذلك في شريعة لاحقة بالنسبة إلى الشريعة السابقة،ولكنّ ظاهر الآية الشريفة التأبيد والدوام بالنسبة إلى الفوقيّة،لا بالنسبة إلى الاحتجاج الذي هو له حدّ معين إلى ظهور الإسلام »[5].

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٨: ١٦٨.

(٢) سورة آل عمران: ٤٥.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٥: ٣٤٤.

(٤) سورة آل عمران: ٥٥.

(٥) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٥: ٣٩٣.

وفي قوله تعالى: ﴿إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ﴾[1]، ذكر بعض المفسِّرين أنّ الوجه في الاستثناء المنقطع في الآية الشريفة، الإشارة إلى أنّ جميع ما في الدُّنيا من التجارة، ونحوها من قبيل الباطل؛ لأنّه لا ثبات له ولا بقاء، فينبغي أن لا يشتغل به العاقل عن الاستعداد للآخرة التي هي خير وأبقى.

يقول السيد السبزواري فيه: «إنّ ما ذكره وإنْ كان حقّاً، كما تدلّ عليه آيات كثيرة، ولكن الآية المباركة لا ظهور لها فيه، مضافاً إلى أنّه لا يرتبط بكون الاستثناء مُتّصلاً أو مُنقطعاً »[2].

أمّا في حال مخالفة هذه الأقوال- وما أورده منها الكثير - لما قدمه من معنى في الآية، يشير إلى ذلك بأحد التعابير التي تدلّ عليه أيضاً، كقوله: « وهو بعيد جدا»، أو «ولكنه مخالف لسياق الآية الكريمة»، أو « فما ذكره غير صحيح »، أو « وأمّا الاستدلال بآية المقام فإنّه فاسد»، أو «ومن ذلك يظهر أنّ ما ذكره بعض المفسِّرين في توجيه الآية الكريمة مردود »، أو «وأما ما في بعض التفاسير فهو مخدوش»، أو «وما ذكره بعض المفسرين مخالف لظاهر الآية الكريمة »، أو « ويمكن المناقشة فيه »، أو غير ذلك من العبارات، والأمثلة على ذلك كثيرة نحاول أنْ نستعرض بعض منها أثناء بحثنا هذا.

---

(١) سورة النساء: ٢٩.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٨: ١٢٤.

المحور الثاني: الاحتجاج بأقوال المفسرين

كان السيد السبزواري قدس سره حريصاً في طرحه لأقوال المفسرين، والاحتجاج بها، لأن تكون موافقة للمعايير التفسيرية التي أقرها السلف الصالح، اعتماداً على ما استند إليه من وحدة السياق، ومن موافقتها لآيات القرآن الكريم، ومن الأسس الاعتقادية، واليك بيان ذلك:

١ . اعتماد السياق القرآني في مناقشة أقوال المفسرين

اتخذ السيد السبزواري من السياق القرآني أساساً في مناقشته لأقوال المفسرين، والأمثلة في هذا المجال كثيرة وسوف نذكر بعضاً منها:

بعد أن نقل السيد السبزواري وجوه الاستثناء التي ذكرها المفسرون في قوله تعالى: ﴿وَلَوْلاَ فَضْلُ اللّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[1]، وما يرد عليها من نقوض، ذكر أنّ جميع هذه الوجوه بعيدة عن سياق الآية المباركة، فقال قدس سره:« وقد ذكر المفسّرون للاستثناء وجوهاً: فقيل: إنّ ظاهر الآية الشريفة أنّه امتنان خاص في أمر قد انقضى.

وفيه: أنّه لا ينافي الأخذ بالعموم لتشمل الجميع، فتكون لله تعالى توفيقات خاصّة على المؤمنين، وأنّ له فضلاً كبيراً عليهم.

وقيل: إنّ الآية الكريمة على ظاهرها، فإنّ المؤمنين سواء المخلصون منهم، أم غير المخلصين يحتاجون إلى فضله ورحمته، وإنْ كان غير المخلصين يحتاجون إلى عناية زائدة...

---

(١) سورة النساء: ٨٣

وجميع هذه الوجوه بعيدة عن سياق الآية المباركة»[1].

وفي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ﴾[2]، قال قدس سره: «(إذ) منصوبة بفعل مضمر تقديره: (اذكر)،خوطب به النبي الأعظم صلى الله عليه وآله.

وقيل: إنّه ظرف متعلّق بـ(قالوا) في قوله تعالى: ﴿قَالُوٓاْ آمَنَّا﴾، أُريد به التنبيه على أنّ ادّعاءهم الإيمان والإخلاص لم يكن عن تحقيق وإيقان.

ويردّ عليه: أنّه مخالف لظاهر السياق -كما عرفت آنفاً- فإنّهم أُلهموا حقيقة الإيمان، مع أنّ توصيفهم بالحواريّين وإظهاره في هذه الآية الكريمة ينافي ذلك، فلا يمكن أن يكونوا على الباطل كما زعم»[3].

وفي تفسير الأجلين في قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلاً وَأَجَلٌ مُّسمًّى عِندَهُ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ﴾[4]، قال السيد السبزواري:« إنّ للمفسرين والعلماء آراء في تفسير الأجلين، لا تخلو من الغرابة،ولم يقم عليها الدليل، منها: ما ذكره جمهور المفسِّرين، أنّ المراد من الأجل المقضي هو الحدّ المعيّن في الزمان للموت،من الأجل المسمّى الحدّ المعيّن للبعث من القبور، ونُسب ذلك إلى ابن عبّاس.

وفيه: أنّ الظاهر من سياق الآية الكريمة أنّ الأجلين يتعلّقان بموت

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٩: ٨٩، سورة الأعلى: ٦ـ٧.

(٢) سورة المائدة: ١١٢.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٢: ٤٠٤ـ٤٠٥، سورة المائدة: ١١١.

(٤) سورة الأنعام: ٢.

الإنسان ومسيرة حياته،ولا ربط لهما بالبعث، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾»[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ﴾[2]، قال السيد السبزواريقُدِّسَ سِرُّهُ: «سياق هذه الآية الكريمة وما بعدها يرشد إلى أنّ المشركين من قومه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِاقترحوا عليه أن يطرد الضعفاء من المؤمنين أيضاً،فالنهي قد تعلّق بذلك،فتشابهت أفكار الأُمم، ولم يعتبر اللاحق من السابق»[3].

كما ذكر السيد السبزواري اختلاف المفسّرين في تعيينهم للمراد بـ «قوماً » في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَّيْسُواْ بِهَا بِكَافِرِينَ﴾[4]،حيث قالقُدِّسَ سِرُّهُ: « قيل: إنّهم الأنبياء المذكورين في الآيات السابقة،وهم ثمانية عشر نبيّاً، أو مطلق الأنبياء المذكورين بأسمائهم أو نعوتهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ﴾، ويكون المراد بالتوكيل الأمر بما هو أعمّ من إجراء أحكامها،كما هو شأنهم في حقّ كتبهم ومن اعتقاد أحقيّتها، كما هو شأنهم في حقّ سائر الكتب.

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٣: ٢١، سورة الزمر: ٤٢.

(٢) سورة الأنعام: ٥٢.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٣: ٣٤١.

(٤) سورة الأنعام: ٨٩.

ويرد عليه: أنّه مُخالف لسياق الآية - الكريمة- الدالّ على أنّ القوم لهم شأن في هذا الدِّين في المستقبل، والأنبياء لم يكونوا موجودين حال الخطاب »[١].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُواْ عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[٢]، قيل: إنّي عامل على ما أنا عليه من الإيمان، والدعوة إلى التوحيد، والدين الحقّ،ومقيم على عملي هذا، فكلٌّ يعمل على شاكلته.

وقيل: إنّي عامل بالإخبار عن الله تعالى إنّه يعمل بما وَعَدَ به من البعث والجزاء.

وعقب عليهما السيد السبزواري بقوله :«ولكنهما مخالفان لسياق الآية الكريمة »[٣].

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[٤]، ذكر بعض المفسرين: إنّ الاستفهام للتهكم فيكون الانتظار بحسب أذهانهم

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٤: ١٣١، سورة الأنعام: ٨٧.

(٢) سورة الأنعام: ١٣٥.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٤: ٣٩٨.

(٤) سورة الأنعام: ١٥٨.

لا بحسب الواقع، فإنّهم اقترحوا نزول الملائكة، ورؤية ربّهم، أو مجيء آيات منه، فهم لم يريدوا الحجّة وإنّما ينتظرون ما اقترحوه من الأمور، وقد ردَّ عليه السبزواري بقوله: « وهذا القول مردود، لمخالفته للسياق، ولا يلائم قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ﴾، فإنّه يفيد بيان الحقائق لا مجرّد التهكّم»[١].

وفي قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢]، اختار السبزواري كون الوجوب المستفاد من الآية، وجوباً كفائياً؛ لأنّ «من » هنا للتبعيض، حيث قال السيد قُدِّسَ سِرُّهُ: «وإنّما البحث والخلاف في كونه كفائياً أو عينيّاً، والظاهر أنّه يرجع إلى دلالة (من) فقيل:إنّها للتبعيض، فيكون الوجوب كفائياً.

وقيل: إنّها بيانيّة.

والمعنى: كونوا أُمّة كذلك؛فيكون الوجوب عينيّاً. وسياق الآية الشريفة يدلّ على الأوّل »[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٤]، قال السيد السبزواري:

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٤: ٤٨٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٦: ٢١٢-٢١٣.

(٤) سورة آل عمران: ١٥٥.

«والمعروف بين جمهور المفسِّرين أنّ المراد بهؤلاء هم المنافقون الذين كانت تهمّهم أنفسهم ويظنّون بالله ظنّ الجاهلية، ويخفون ما في أنفسهم من الكفر،ولكنّهم يعتذرون بألسنتهم عن أنفسهم،احتجاجاً على النبيّ ﷺ.

وفيه: أنّ المنساق من الآيات المباركة غير هؤلاء،فإنّ الخطاب للمؤمنين، وإرجاعه إلى المنافقين يستلزم التفكيك في الآيات الشريفة، وهذا يُنافي بلاغة القرآن الكريم»[1].

إلى غير ذلك من الشواهد التي جاء بها السيد السبزواري لبيان اعتماده على السياق في احتجاجه بما يذكره من أقوالٍ للمفسرين.

٢ . موافقة الآيات القرآنية

اعتمد السيد السبزواري قدس سره على ظواهر الآيات القرآنية أو إطلاقاتها، كأساس في احتجاجاته على ما يورده من أقوالٍ أو آراءٍ للمفسرين، واليك البيان:

أ . اعتماد الظهور القرآني

كانت إحدى الركائز المهمة في تفسير (مواهب الرحمن) هو اعتماد السيد السبزواري على الظهور القرآني للآيات في قبوله، أو رفضه لأقوال المفسرين.

ففي تفسيره لمعنى(الصابئة)، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٦: ٤١٨.

﴿هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ...﴾[١]، ذكر اختلاف المفسرين والفقهاء في تحديد الصابئة هل هم من أهل الكتاب أم من المشركين؟ ثُم قال قُدّسَ سِرُّهُ: «وقد اختلف المفسرون والفقهاء في الصابئين هل أنهم من أهل الكتاب أم لا؟ وعلى الثاني هل هم من المشركين أم لا؟

ويمكن أن يستظهر من ذكرهم في القرآن في سياق أهل الكتاب أنهم منهم موضوعاً أو حكماً »[٢].

وفي بيان المعنى المراد من (الكلمة) في قوله تعالى:﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلآئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ...﴾[٣]، نقل قول بعض المفسرين وردّ عليه بأنه مخالف لما يمكن استظهاره من الآية الشريفة، واليك نص ما ذكره :« وقيل: إنّ المراد بالكلمة نفس البشارة والأخبار بحمل مريم بعيسى عليه السلام وولادته منها أي: ويبشّرك ببشارة هي ولادة عيسى من غير أب.

وفيه: أنّه خلاف ظاهر الآية »[٤].

كما ذهب السيد السبزواري محتجاً بظاهر الآية على بعض المفسرين الذين ذهبوا إلى أنّ الآية الشريفة: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ

(١) سورة البقرة: ٦٢.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١. ص٣٧٦.

(٣) سورة آل عمران: ٤٥.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٥: ٣٤٣.

اللّهِ﴾، تؤيد المراد من الآية السابقة، حيث ذكروا أن المستفاد من قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ﴾، اختيارهم الفداء من أسرى يوم بدر، وشرطهم على أنفسهم لله ما شرطوا، فأصابتهم هذه المصيبة بأذن الله تعالى[١].

وقال: « وفيه: أنّ ظاهر الآية المباركة يبيّن القدرة الكاملة والإرادة التامة الأزلية التي قضى بها (عزّ وجلّ) على إجراء سنّة الأسباب في هذا العالم، ويمكن أنْ يكون لما أصابهم أسباب كثيرة قد بيّن جملة منها في الآيات السابقة، ويدل على ما ذكرناه ذيل الآية الشريفة »[٢].

وفي معنى«عداوة» في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ...﴾[٣]، ويقال: «و«عداوة» تميّيز، واللاّم الداخلة على الموصول متعلّقة بها، ولا يضرّ كونها مؤنّثة؛ لأنّها مبنيّة عليه، وقيل: تعلّقها بمحذوف وقع صفة لها، أي عداوة كائنة للذين آمنوا، ولا يخفى أنّه خلاف الظاهر »[٤].

وفي قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ ﴾[٥]، ذكر أنّ بعض المفسرين استدلوا على أنّ المراد بقوله:(مِّنكُمْ)، و(مِنْ غَيْرِكُمْ)،

(١) المصدر السابق ٧: ٥٢ بتصرف، سورة آل عمران: ١٦٥ـ١٦٦.

(٢) المصدر السابق ٧: ٥٢.

(٣) سورة المائدة: ٨٢

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٢: ١٤٤.

(٥) سورة المائدة: ١٠٦.

المسلمون وغير المسلمين دون القرابة والعشيرة، بأنّ الله تعالى قابل حين قوله: (اثْنَان)، وقوله: (آخَرَان)، ووصف الأوّل بقوله: (ذَوَا عَدْلٍ)، وقوله: (مِنْ غَيْرِكُمْ) دون أن يصفه بالعدالة، والاتّصاف بالاستقامة في الدين وعدمه إنّما يختلف في المسلم وغير المسلم، ولا موجب لاعتبار العدالة في الشهود، إذا كانوا قرابة، أو من عشيرة المشهود له، وإلغائها إذا كان الشاهد أجنبيّاً.

ثم ناقش قدس سره ما ذهب إليه هؤلاء المفسرين بأنّهُ خلاف ما يمكن أن يستظهر من الآية الشريفة، التي يمكن أن يستظهر منها اعتبار الاستقامة في المسلمين وغيرهم، واعتبار شهادة غير المسلم مطلقاً،سواء أكان كتابياً أم غيره، حيث قال قدس سره:«ويمكن المناقشة فيه: بأنّ ظاهر الآية الكريمة اعتبار الاستقامة في غير المسلمين أيضاً، ولا موجب لإلغائها، فإنّ مقتضى شهادة غير المسلم على عدل المسلم، اعتبار العدالة فيه أيضاً، والتقابل بينهما يقتضي اتّصافه بها أيضاً، وإنْ كانت العدالة التي هي عندهم غير موجودة عندنا، وظاهر الآية اعتبار شهادة غير المسلم مطلقاً، كتابيّاً كان أم غيره، ولكن النصوص والإجماع يدلّان على اختصاص الحكم بالكتابي الذّمي، العدل عند أهل ملّته، فتكون مقيّدة للإطلاقات، وتعضده مناسبة الحكم مع الموضوع أيضاً »[1].

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٢: ٣٥٣.

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوتَى بِإِذْنِي﴾[١]، قال السيد السبزواري: «فما ذكره بعض المفسرين - من أنّها لم تكن إلّا في موارد ثلاثة، ولم ينقل من النصارى عنه أنّه أحيا أمواتاً كانوا تحت التراب بعد البلى، كما نقل عن دانيال عليه السلام - مخالف لظاهر الآية الكريمة الدالّ على التعدّد، والكثرة، والخروج من القبور»[٢].

وفي قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾[٣]، قال: «ذكر بعضهم: إنّ الترجّي هنا بالنسبة إلى الشّر، أي لو رأى أحد ما حلّ بهم لرجا تضرّعهم وابتهالهم إلى الله في كشفه.

ولكنّه بعيد عن ظاهر الآية الشريفة »[٤].

أمّا في اختلاف المفسرين في الاستثناء الوارد في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُواْ لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى حَتَّىَ تَعْلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلاَ جُنُباً إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ﴾[٥]، فقد ردَّ عليه السيد السبزواري بأنه خلاف المتبادر من ظاهر الآية الشريفة، فقال قدس سره:«واختلف المفسرون في المراد من الاستثناء على أقوال، منها: المراد من الاستثناء هو المرور في المسجد، أي لا تقربوا

(١) سورة المائدة:١١٠.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٢: ٣٩٠.

(٣) سورة البقرة: ٤٢.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٣: ٢٨٥.

(٥) سورة النساء: ٤٣.

الصلاة جنباً في المساجد وغيرها، ولا يجوز دخول الجنب المساجد إلّا عابر السبيل، أي ماراً بها، فيستفاد منه جواز عبور الجنب في المساجد وحرمة لبثه فيها، وذهب إلى هذا القول جمع كثير، ويدلّ عليه جملة من الروايات.

وإنّ المتبادر من ظاهر الآية الشريفة النهي عن قرب الصلاة، ومن مناهي القرب هو الدخول في المسجد؛ لشدّة ارتباط الصلاة به، فالنهي عنها نهي عن الدخول في المساجد، فيدلّ الاستثناء على النهي عن الصلاة في حالة الجنابة بالمطابقة، وعلى النهي في الدخول في المساجد بالإلتزام، وهذا الأسلوب شائع في القرآن الكريم»[١].

إلى غير ذلك مما يثبت أنّ السيد السبزواري قدس سره قد اتخذ من ظهورا لآيات القرآنية ميزاناً في احتجاجه بما نقله من أقوالٍ للمفسرين.

ب. اعتماد الإطلاق القرآني

وأحد وجوه القاعدة الأساسية التي اعتمدها السيد السبزواري في تفسيره للقرآن، والتي هي (تفسير القرآن بالقرآن)، إطلاق الآيّ القرآني معياراً لقبوله، أو رفضه لأقوال المفسرين.

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[٢]، رفض ما ذهب إليه بعض المفسرين في إطلاق كلمة (العالَم) حيث قال قدس سره: «وعن

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٨: ٢٥٤.

(٢) سورة الفاتحة: ٢.

جمع: إنّ العالَم لا يطلق إلّا على كل جماعة متمايزة لأفرادها وصفات تقربها من العقلاء وإن لم تكن منهم، وذلك؛ لأن هذه العوالم هي التي يظهر فيها معنى التربية.

وهو فاسد؛ لأنّه إن كان المراد به التغليب فله وجه، وإنْ كان المراد عدم الصدق الحقيقي على ما لا يعقل ،فهو مخالف لصحة إطلاق عالم التكوين، فإن إطلاقه يشمل الجمادات أيضاً، وإنّ أثر التربية يظهر في كل ما يسمى شيئاً، قال تعالى: ﴿وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾، فلا إختصاص للتربية بمن يعقل»[1].

وفي تفسيره لكلمة (الرحيم) من أية البسملة في سورة الفاتحة، علقﭬ على ما جاء في بعض التفاسير بقوله: «وأما ما في بعض التفاسير: من أنّ (فعلان) لا يدّل على الثبوت بخلاف (فعيل) وإنما ذكر تعالى (الرحيم) لأجل إظهار ثبوت الرحمة بالنسبة إليه تعالى.

مخدوش؛ لأن التفرقة بين اللفظين إنما تصح في الممكنات دون الواجب تبارك وتعالى كما عرفت»[2].

وفي تعليقه على قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُواْ اللّهَ قِيَاماً

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٣٥ـ٣٦، سورة الأنعام: ١٦٤.

(٢) المصدر السابق ١: ١٨.

وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنتُمْ﴾[(١)]، قال قُدِّسَ سِرُّه: «وذكر جمع: إنّ الآية الكريمة في مقام بيان الخوف وشدّته. وقال آخر: يعني اذكروه على كلّ حال تكونون عليها من قيام، ولكن إطلاقها يشمل جميع ذلك، كما يشمل حال الحرب وحال السلم »[(٢)].

وقال السيد السبزواري: «يدلّ إطلاق قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ﴾[(٣)]، على عدم الاختصاص بمورد خاصّ، فهو يدل على الغيب المطلق الذي لا تحيط به الحدود الإمكانية، ومن ذلك يظهر أنّ ما ذكره بعض المفسِّرين في توجيه الآية الكريمة مردود، فراجع ما ذكره الجمهور في تفسيرها »[(٤)].

٣. اعتماد الأُسس الاعتقادية

من المعلوم أنّ الإمامية كغيرهم من الفرق الإسلامية كانت لهم نظرات في الأُصول الاعتقادية التي اختلفوا ببعض مواردها مع غيرهم، وحيث أنّ السيد السبزواري من رواد المدرسة الإمامية،لذا نراه لم يخرج على أصل من أصول الفرقة الاثني عشرية، بل دافع عنها ، مما أدى به ذلك إلى عدم نقله لكثير من أقوال مفسريِّ الفرق والمذاهب الأُخرى، أو

---

(١) سورة النساء: ١٠٣.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٩: ٢٢٩.

(٣) سورة الأنعام: ٥٩.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٣: ٤٣٠.

مخالفة جملة من أقوال هؤلاء المفسرين الذين لا يتفقون مع الإمامية في بعض المسائل الاعتقادية كمسألة التوحيد، والعدل، أو الجبر والتفويض، أو العصمة، إلى غير ذلك من أصول ومعتقدات.

ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾(١)، يقول السيد السبزواري: «فما ذكره الآلوسي في تفسيره بقوله: والذي وقفت عليه في معتبرات كتبهم أنّهم لا يجوّزون النسيان وكذا السهو على النبيّ ﷺ،وكذا سائر الأنبياء عليهم السلام فيما يؤدّيه عن الله تعالى من القرآن والوحي، وأمّا ما سوى ذلك فيجوّزون عليه صلوات الله عليه وآله أن ينساه ما لم يؤدِّ إلى إخلال بالدِّين.

يقول السيد السبزواري: غير صحيح، ولم أعلم الكتب التي استفاد منها هذا التفصيل، بل هي مشحونة في نفي النسيان والسهو عنه صلوات الله عليه وآله مطلقاً، وقد فصّلوا الكلام فيه،فراجع »(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾(٣)، ذكر بعض المفسرين أنّ بعض العبّاد استدلّ بهذه الآية في تأديب أنفسهم

(١) سورة الأنعام: ٦٨.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٣: ٤٩٣.

(٣) سورة الأنعام: ٤٢.

بالبأساء في تفريق الأموال، والضّراء في حمل أبدانهم على حمل الصعاب والجوع والعرى وغير ذلك.

قال قُدِّسَ سِرُّهُ: «ولكن ذلك جهل منهم بأحكام الشريعة الغرّاء التي أمر الله تعالى فيها بالاستعداد للآخرة عن طريق الدّنيا والاستفادة منها، موافقاً لما أنزله الله تعالى، فقد قال سبحانه مُخاطباً لنبيّه: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، فإنّ مضمون الآية المباركة هو المنهاج في دين الإسلام، وكان الأنبياء أوّل الناس بالعمل بها، وقد خاطب تعالى رسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً﴾، وأمر المؤمنين بما خاطب به المرسلين في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، وأمّا الاستدلال بآية المقام فإنه فاسد؛ لأنّها نزلت في بيان عقوبة من الله لمن يشاء من عباده امتحاناً لهم»[(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾[(٢)]، ذكر بعضهم أنّ الخطاب في المقام إنّما هو للمؤمنين السكارى، وهم لا يعون الخطاب، فيكون مثل هذا دليلاً على جواز التكليف المحُال.

ولكن السيد السبزواري ذهب إلى فساد هذا الرأي قائلاً: «ولكن فساد

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٣: ٢٨٤ــ٢٨٥،وترتيب الآيات: القصص: ٧٧، المؤمنون: ٥١، البقرة: ١٧٢.

(٢) سورة النساء: ٤٣.

ذلك واضح، فإنّ الخطاب لا يستلزم وجود السكارى حاله، لما ثبت في الأُصول أنّ صحّة الخطاب لا تدور مدار وجود المخاطبين، ولذا صحّ خطاب المعدومين، وفاقدي الأهليّة والشروط، فراجع (تهذيب الأُصول))»[(١)].

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزاً﴾[(٢)]، ضعّف السيد السبزواري ما ذهب إليه بعض المفسرين في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلاَّ تُكَلِّمَ﴾ بأنّ حبس لسان زكريا عليه السلام كان من باب العقوبة له، واعتبره من الإسرائيليات، حيث قال قدس سره: «وعن بعض المفسّرين أنّ حبس لسانه كان من باب العقوبة له، لأنّه طلب الآية بعد المشافهة مع الملائكة والبشارة له، والسبب في ذلك تشكيك الشيطان له في كونه البشارة من الله تعالى، ويقرب هذا ممّا ورد في إنجيل لوقا: «أنّ جبرئيل قال لزكريا: وها أنت تكون صامتاً ولا تقدر أن تتكلّم إلى اليوم الذي يكون فيه هذا، لأنّك لم تصدّق كلامي الذي سيتمّ في وقته».

والحق أن يقال: إنّ ما ذكره بعض المفسّرين فهو مردود من جهات كثيرة لا تخفى على مَن تأمّل فيه، ويكفي في وهنه أنّه من الإسرائيليات »[(٣)].

كذلك نجده قدس سره ربما يتعرض لما ورد في شأن الآية التي يتناولها

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٨: ٢٤٦ـ٢٤٧.

(٢) سورة آل عمران: ٤١.

(٣) انظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٥: ٣١١.

في التفاسير، وكتب مجاميع الحديث الشريف في البحث الروائي، ويعتمد على ما ورد في كتب الطائفة، عندما يعرض آراء المفسرين بحيث يستدل على ما ورد في كتب الخاصة، ، في معارضته لأقوال بعض المفسرين، ثم يقرر ما يراه مناسبا[١].

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ خُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾[٢]، يقول قدس سره: « وقد أختلف المفسّرون في معنى ذلك، فقيل: إنّه السلاح، بحذف المضاف، أي آلة حذركم، والمروي عن أبي جعفر عليه السلام:«خذوا عدّتكم من السلاح»، ولكن عطف السلاح على الحذر في غير هذه الآية الكريمة يقتضي المغايرة قال تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾»[٣].

وفي قوله تعالى: ﴿لاَ تَقْرَبُواْ الصَّلاَةَ وَأَنتُمْ سُكَارَى﴾[٤]، ذكر السيد السبزواري :« أنّ هناك روايات مُزيّفة غير قابلة للاعتماد عليها ذكرها السيوطي في (الدّر المنثور) وتبعه بعض آخر، وتنسب ما لا يليق بساحة سيّد العرفاء والأوصياء أمير المؤمنين عليه السلام ولا ينبغي ذكرها، وقد تكلّف مؤونة الردّ عليها شيخنا البلاغي قدس سره ومَن شاء فليرجع إلى تفسيره الشريف »[٥].

(١) المصدر السابق ٧: ١١٦.

(٢) سورة النساء: ٧١.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٩: ٢٢، سورة النساء: ١٠٢.

(٤) سورة النساء: ٤٣.

(٥) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٨: ٢٦٩.

المحور الثالث: تطبيقاته على أقوال المفسرين في تفسير القرآن

١. الجمع بين آراء العلماء والمفسرين:

لقد حاول السيّد السبزواري الجمع بين آراء العلماء في كثير من المواضع منها:

في شأن لفظ (الآخر)، في أنّه هل يشترط فيه الإتحاد في الجنس أم لا؟

فقال قُدِّسَ سِرُّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾[1]: «وقع الكلام في لفظ آخر، في أنّه هل يشترط فيه الاتحاد في الجنس أم لا يشترط ذلك؟ فذهب جمع من العلماء إلى الاشتراط، وقالوا: بأنّ لفظ «آخر» و«أُخرى» وجمعهما، لا يوصف به إلّا ما يجانس المذكور قبله، وبذلك يشبه (سائر، وبقية، وبعض)، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾، فوصف (عزّ وجلّ) مناة بالأُخرى لمّا جانست العزى واللّات، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾، فإنّه وصف الأيام (بالأُخر)؛ لكونها من جنس الشهر؛ ولذلك خطّأوا قولهم:(ابتعت عبداً وجارية أُخرى)؛ لأنّ الجارية ليست من جنس العبد؛ لأنّه مذكر وهي مؤنثة، كما لا يقال: جاءت هند ورجل آخر...

وتطرف آخرون، إذ ذكروا أنّ (آخر) إنّما يقابل ما كان من جنسه

---

(١) سورة النساء: ١٣٣.

تثنية، وجمعاً، وإفراداً. ولكنّه مردود، بورود خلاف ذلك في كلام العرب، قال أبو دحية النميري:

وكنت أمشي على ثنتين معتللاً   فصرت أمشي على أخرى من الشجر

وكيف كان فقد ذهب جمع آخرون منهم - الرضي - إلى عدم الاشتراط، واحتجّوا بأنّ الاشتراط لم يكن متفقاً عليه وأنّه يكفي الاشتراك بين المتقدّم والمتأخّر في عنوان واحد،ولذلك صح أن يقال: جاءني زيد وآخر، على تقدير: ورجل آخر ونحو ذلك، بلا فرق بين التثنية والجمع والإفراد. لذا فهو لا يشترط الاتفاق في التذكير أو التأنيث، فيجوز: جاءني جاريتك وإنسان آخر، قال عنترة:

والخيل تقتحم الغبار عوابساً   من بين منظمة وآخر ينظم

والحق أن يقال - والكلام ما زال للسيد السبزواري-: إنّ (آخر) إنّما يؤتى به في مورد يتوهم اتحاد ما قبله لما بعده، فتظهر به المغايرة وحينئذٍ لا تختص الإتحاد في الجنس، بل يصح في غيره، ولو على ضرب من التأويل، وبذلك يمكن الجمع بين الكلمات، فمن قال بالاختصاص- أي في ما لم يمكن التأويل- ورفضه الذوق الأدبي، ومن قال بعدمه، أي في مورد يصح فيه التأويل»[1].

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٩: ٣٨٧-٣٨٨، وترتيب الآيات: النجم: ١٨-١٩، البقرة: ١٣٥.

٢ . أخذه بالمشهور من أقوال النحويين واللغويين

اعتبر السيد السبزواري الأخذ بالمشهور هو أحد الطرق المورثة للظن، ففي قوله تعالى: ﴿نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾[(١)]، نرى السيّد السبزواري يرد زعم من وجه النصب على الاختصاص في كلمة « نصيباً »، فقال قُدِّسَ سِرُّهُ: «قال بعضهم: إنّ «نصيباً» في قوله تعالى: ﴿نَصِيباً مَّفْرُوضاً﴾، منصوب على الاختصاص، أي أعني نصيباً مفروضاً[(٢)]. ويُردّ بأنّ المنصوب بالاختصاص المصطلح عليه في النحو، يشترط فيه أنْ لا يكون نكرة، و«نصيباً» في المقام نكرة، إلّا أنْ يريد من الاختصاص معنى آخر»[(٣)].

أقول: على الرغم من صحة رد السيد السبزواري قُدِّسَ سِرُّهُ لاعتماده المشهور في النحو من قصر المنصوب على الإختصاص على المعرفة، غير أنّ الكلام قابل للمناقشة من أنّ النكرة قد توجه أو تخرج بتخريج يجمع بين النكرة والاختصاص، كما نرى الخليل بن أحمد قد فعل ذلك في تخريج أو توجيه قول أمية بن أبي عائذ:

ويأوي إلى نسوة عطلٍ وشعثا مراضع مثل السعالي

(١) سورة النساء: ٧.

(٢) وهذا ما اختاره الزمخشري في الكشاف ١: ٥٠٣، وانظر: إعراب القرآن وبيانه ١: ٦٢١.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٧: ٣١١.

إذ قال سيبويه: «قال الخليل: كأنّه قال: واذكرهن شغثاً، إلا أنّ هذا فعل لا يستعمل إظهاره، وإنّ شئت جررت على الصفة»[١].

٣. مناقشته لأقوال المفسرين ومذهب الأُدباء ورده عليهم

عارض السيد السبزواري غير مرة، وفي أكثر من موضع، مذهب الأدباء، ومن تبعهم من المفسرين الذين يرون أنّ تعدد أو توارد أكثر من معنى على أداة ما يؤدي إلى ما يسمى بالمشترك اللفظي، فعند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ...﴾[٢]، يقول قدس سره: «عن جمع من الأدباء - وتبعهم بعض المفسرين - إنّ كلمة (لو) تستعمل في معان:

الأوّل: للسببية بين الشرط والخبر.

الثاني: لامتناع الجواب بدون شرط.

الثالث: أنْ تكون مصدرية، وأكثر وقوعها بعد (ودّ- يود).

الرابع: للعرض.

الخامس: التمني.

السادس: التقليل.

ويستفاد من ذلك أنّها - لو - من المشترك اللفظي، وللأدباء في ذلك نظائر كثيرة.

---

(١) انظر: الكتاب ٢: ٦٦.

(٢) سورة البقرة: ٩٦.

والحق: إنّ ذلك من خلط المستعمل فيه بدواعي الاستعمال، فإنّ شأن أداة الشرط مطلقاً إنّما هو جعل متلوّها واقعاً موقع الفرض والتقدير، أما الخصوصيات فإنّما تستفاد من جهات أخرى فتعدد دواعي الاستعمال معلوم، وتعدد الوضع المستعمل فيه مشكوك ، فيرجع إلى الأصل.

وإن قيل: إنّ هذا من مجرد الدعوى بلا دليل عليها!

يقال: إن تعدد الدواعي وجداني عند المستعملين، وتعدد الوضع والمستعمل فيه يحتاج إلى دليل، وهو مفقود، بل الأصل ينفيه »[1].

وكذلك لا يرى السيّد السبزواري ما يراه الأدباء، ومن تبعهم من المفسرين: في أنّ أدوات الشرط مثل (إنْ، لو) تدل على عليّة المقدم للتالي، إذ يقول قُدِّسَ سِرُّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ...﴾[2]: «ثمّ أنّ المعروف بين الأدباء، وتبعهم المفسرين أنّ أدوات الشرط مثل «إنْ» و« لو» ونحوها، تدل على عليّة المقدم للتالي، أي: إنتفاء التالي عند إنتفاء المقدّم، ورتّبوا على ذلك ثبوت المفهوم للجمل الشرطية.

وهذا من مورد إشتباه العنوان الكلي ببعض المصاديق الخارجية، فإنّ أدوات الشرط مطلقاً وما يرادفها من سائر اللغات، لا يستفاد منها إلا جعل متلوّها مورد الفرض والتقدير، والترتب بأي قسم من أقسامه، وأمّا خصوص

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٤٧١-٤٧٣.

(٢) سورة البقرة: ١٤٥.

ترتب المعلول على العلّة، فلابدّ من استفادته من التماس دليل آخر عقلاً أو نقلاً، فضلاً عن العليّة التامة المنحصرة.

وفي المقام يدل العقل والنقل على أن متابعة الهوى - بعد ظهور الحق وثبوته- ظلم فيكون أصل الترتّب ظاهراً من سياق الجملة، والعلّية التامّة المنحصرة ثبتت بالدليل العقلي والنقلي، بل من ظاهر التأكيد في الآية المباركة بلام القسم »[1].

وعلى هذا، لم يك كلام السيد الراحل قدس سره وتقريره مجرد دعوى أو استحسان بل له ما يؤيده في كلام أئمة النحو واللغة، فهذا ابن هشام الأنصاري يقرر: إنّ إفادة «لو» امتناع الجواب لامتناع الشرط باطل بمواضع كثيرة، فيقول:

«إنّها - أي لو- تفيد امتناع الشرط، وامتناع الجواب جميعاً، وهذا القول جارٍ على ألسنة المعربين، ونص عليه جماعة من النحاة، وهو باطل بمواضع كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ﴾[3].

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢: ١٤٩.

(٢) سورة الأنعام: ١١١.

(٣) سورة لقمان: ٢٧.

وبيانه: إنّ كلّ شيء إمتنع ثبت نقيضه، وعلى هذا يلزم القول - في الآية الأولى - ثبوت إيمانهم مع عدم نزول الملائكة وتكليم الموتى لهم، وحشر كلّ شيء عليهم، وفي الثانية: نفاد الكلمات مع عدم كون ما في الأرض من شجرة أقلام تكتب الكلمات وكون البحر الأعظم بمنزلة الدواة، وكون السبعة الأبحر مملوءة مداداً، وهي تمدُّ ذلك البحر، وكلّ ذلك عكس المراد»[١].

«وبهذا يتبين لنا أنّه لما فقدت المناسبة انتفت العلية، وعلى هذا تتخرج آية «لقمان» المتقدمة؛ لأن العقل يجزم بأن الكلمات إذا لم تنفد مع كثرة هذه الأمور، فلئن لا تنفد مع قلتها وعدم بعضها أولى، وكذا ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾[٢]؛ لأن عدم الاستجابة مع عدم السماع أولى وأجدر »[٣].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ قال السيد السبزواري: « وهم الطائفة الثالثة، أي الّذين تولّاهم الله تعالى بالشهادة، وجعلهم من المقرّبين، فشهدوا الحقّ وأريقت دماؤهم في سبيله، لنيل رضاءه وحبّه جلّت عظمته.

وذكر بعض المفسرين أنّ المراد بالشهداء هم شهداء الأعمال، ولكن ذكرنا - في أحد مباحثنا السابقة - أنّ الشهيد في سبيل الحقّ - وإعلاء كلمة

(١) مغني اللبيب ١: ٤٩٣.

(٢) سورة فاطر: ١٤.

(٣) مغني اللبيب ١: ٤٩٤.

الله تعالى يكون شهيداً على الأعمال أيضاً، فبينهما تلازم في الجملة»[١].

أمّا في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[٢]، يقول السبزواري :« وقال بعض: إنّ قوله تعالى: ﴿وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، راجع إلى الصيام في السفر، فقالوا بأفضلية الصوم للمسافر!.

ويردّ عليه: ما ذكرناه آنفاً، مع منافاته للروايات الكثيرة الدالة على عدم الصوم في السفر، فقد روى أحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي عن النبي ﷺ:«ليس من البر الصيام في السفر » . ورواه ابن حبّان في صحيحه عن جابر عنه ﷺ،وروى ابن ماجة عن عبد الرحمن بن عوف عن نبينا الأعظم ﷺ:الصائم في السفر كالمضطر في الحضر »[٣].

وفي معنى (الكتاب، والحكمة) في قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللّهُ وَلاَ تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً﴾[٤]، يقول السيد السبزواري:« وذكر المفسّرون في تفسير الكتاب والحكمة أموراً يمكن المناقشة فيها.

فقيل: المراد من الكتاب: هو الوحي النازل لرفع اختلافات الناس، كما في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٩: ٨-٩.

(٢) سورة البقرة: ١٨٤.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٣: ١٦.

(٤) سورة النساء: ١٠٥.

وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾ .

وفيه: أنّ الظاهر من الكتاب - في المقام- النازل على رسول الله ﷺ المقابل للحكمة، وتعليم ما لم يعلم هو القرآن الكريم، وهو والحكمة تكفّلا لرفع اختلاف الناس والفصل بالحقّ في القضاء.

وقيل: المراد بالحكمة: ما فيه من الأحكام، وما ﴿مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾: الغيب والأقدار المخفيّة على البشر.

وفيه: أنّه لم يقم دليل عليه، بل الحكمة متى ما أطلقت يراد بها تلك العلوم والمعارف الحقّه، الّتي لها مدخليّة في شؤون الإنسان العمليّة والمصيريّة.

وقيل: المراد بالكتاب: القرآن، وبالحكمة: السنّة، وممّا لم تعلم الشرائع وأنباء الرسل الأوّلين وهو بعيد جداً »[1].

ونكتفي بهذا القدر اليسير من الأمثلة التطبيقية التي اعتمدها السيد السبزواري في طرحه لآراء المفسرين، وأقوالهم أثناء تفسيره لآيات القرآن الكريم والتي بيّنت وبوضوح مدى أخذه بها وكيفية احتجاجه بها .

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٩: ٢٦٧-٢٦٨، البقرة : ٢١٣،سورة النساء: ١١٣.

المبحث الرابع
الأخذ بالسياق

وفيه محورين:

المحور الأول: تعريفه

السياق: عبارة عن نوع خاص للألفاظ، أو العبارات، أو الكلام يظهر على أثر اقترانه مع كلمات وجمل أخرى[1].

ويمكن أنّ يراد بالسياق: «كل ما يكشف اللفظ الذي نريد فهمه من دوالّ أخرى، سواء كانت لفظية، كالكلمات التي تشكل مع اللفظ الذي نريد فهمه كلاماً واحداً مترابطاً، أو حالية كالظروف والملابسات التي تحيط بالكلام وتكون ذات دلالة في الموضوع»[2].

ويعدّ اتصال الكلام وارتباطه واعتماد قرينة السياق على فهم كلام الأفراد من الأُصول العقلائية المعتمدة في جميع اللغات، فالمفسرون يعتمدون

---

(١) انظر: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيريّة للقرآن: ٩٣.

(٢) انظر: دروس في علم الأصول: ١٣٠.

على هذه القرينة أيضاً في فهم آيات القرآن ويعتبرونها قرينة ظنيّة.

ولا يشك أحد بما لسياق الآيات من أثر كبير في الوقوف على معانيها، والكشف عن مرادها، كما لا ينبغي لمُفسِّر أنْ يقتطع أية من القرآن الكريم ويفسرها بمعزل عن ظروفها الزمنية وعلاقتها بما قبلها، وما بعدها من الآيات.

فعلى سبيل المثال: لو فسرنا قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[١]، بمعزل عن سياقها لأعطى أنّ الله تعالى خلق العباد وخلق أفعالهم[٢]، ولكن بملاحظة سياقها نجد أنّها في واقعها حكاية قول إبراهيم عليه السلام لقومه، وتنديده إياهم لعبادتهم الأصنام، ويكون معناها في سياق التنديد أنّ ما يعبدونه من أصناف مادته مخلوقة كخلقهم، فملاحظة السياق، والتناسب والترابط بين الفصول والمجموعات القرآنية ضرورية ومفيدة جدا في فهم مدى القرآن ومواضيعه وأهدافه[٣]، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[٤]، تدل بسياقها على أنّه الذليل الحقير[٥].

والسياق له عدة أقسام:فربما يكون السياق سياق كلمات، أو جمل، أو سياق آيات، وسنوضح ذلك بأمثلة:

---

(١) سورة الصافات: ٩٦.

(٢) انظر: منهج ابن القيم في التفسير: ٥٨.

(٣) انظر: القرآن المجيد: ٤٠٢.

(٤) سورة الدخان: ٤٩.

(٥) انظر: أصول التفسير وقواعده: ٧١.

المثال الأول: كلمة الدين فيَ الآية الكريمة: ﴿مَالك يَوْمِ الدِّين﴾(١)، تعني الجزاء، ويعرف هذا من خلال إضافة(مَالك)، أي استفدنا ذلك من سياق الكلمات،في حين جاء لفظ (الدِّين) في آيات أخرى بمعنى الشريعة﴿هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالْهُدَى وَدينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّه وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾(٢)؛ لأن هذا المعنى هو مقتضى سياق تلك الآيات.

المثال الثاني: قال تعالى: ﴿إنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّوم * طَعَامُ الْأَثيم * كَالْمُهْلِ يَغْلي في الْبُطُون * كَغَلْيِ الْحَميم * خُذُوهُ فَاعْتلُوهُ إلَى سَوَاء الْجَحيم * ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسه منْ عَذَاب الْحَميم﴾(٣)، وقد جاء في نهاية هذه الآيات ﴿ذُقْ إنَّكَ أَنتَ الْعَزيزُ الْكَريمُ﴾(٤). فإذا أخذنا بظاهر هذه الآية دون الإلتفات إلى سياق الآيات المتقدمة نفهم منه أنّ الله سبحانه يخاطب شخصاً محترماً وعزيزاً، أما إذا أخذنا بنظر الاعتبار الآيات المتقدمة فسوف يتبين أنّ هذا الشخص والذي أُعتبر عزيزاً كريماً في الآية، ما هو إلّا ذليل وحقير(٥).

وعندما نطالع تفسير «مواهب الرحمن »، نجد أنّ فكرة السياق والاستفادة منها من الأمور الواضحة التي لازمت السيد السبزواري في

(١) سورة الفاتحة: ٤.

(٢) سورة التوبة: ٣٣.

(٣) سورة الدخان: ٤٣ـ٤٨ .

(٤) الدخان: ٤٩.

(٥) انظر: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: ٩٤.

تفسيره لآيات الذكر الحكيم، وغالباً ما كان يصرّح بها،كما في قوله تعالى:﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾[1]،قال قُدِّسَ سِرُّه:«يستفاد من سياق الآية المباركة أنّ الفاعل لتزيين المذكورات إنّما هو الشيطان الذي يزين أعمال الإنسان،كما ورد في جملة من الآيات الشريفة القرآنية، قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾، وقال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾، فيكون حُبّ هذه الأشياء صارفاً عن محبة الله تعالى ما لم يجعلها الإنسان في طريق السعادة والفوز بالفلاح»[2].

المحور الثاني: اعتماده السياق

يمكننا بيان منهجية السيد السبزواري من خلال اعتماده على سياق الآيات القرآنية على ضوء ملاحظة بعض التطبيقات التي تبين لنا كيف استفادها من السياق في التفسير والتي يمكن أنْ نلخّصها - على حسب ما توصلنا إليه في البحث- بالنقاط التالية:

١ . الكشف عن معاني الآيات

استعان السيد السبزواري بالسياق في الكشف عن معاني الآيات وتجلية مقاصدها.

---

(١) سورة آل عمران: ١٤.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٥: ١٤٦، والآيات: العنكبوت: ٣٨، الأنعام: ٤٣.

ففي تفسيره لقوله تعالى: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي﴾[(١)]، قال السيد السبزواري: « والظاهر من سياق الآية المباركة أنّ إبراهيم عليه السلام كما بشّر بالإمامة العظمى بعد الابتلاء العظيم من ربه، دعا الله تعالى أنْ يجعل هذه الموهبة العظيمة في ذريّته أيضاً، إمّا جزاءً لابتلائه، أو رغبة منه، فاستجاب (تعالى) ذلك له بقوله تعالى: ﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾ »[(٢)].

وفي بحثه الدلالي للآية المتقدمة قال قدس سره:« يستفاد من سياق الآية المباركة، أنّ الإمامة كانت بعد النبوة، فإنّ إبراهيم عليه السلام إنّما طلب الإمامة لذريته بعد أنْ صار له أولاد يرجو أن يكون لهم ذرّية، وأمّا قبل ذلك فقد كان نبياً، و(جاعل) بمعنى أجعلك في المستقبل، لا بمعنى جعلت في الماضي كما لا يخفى »[(٣)].

وفي بيانه للمعنى المقصود من الصلاة في قوله تعالى:﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[(٤)]، قال: « يستفاد من سياق التعبير في قوله تعالى: ﴿وَاتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾، أنّ هذه الصّلاة غير صلاة الفريضة، وهي من متممات تشريع الحج، فتنحصر في صلاة الطواف، وإلّا لكان الأنسب أنْ يقول (جلّ شأنه): (وصلّوا في مقام إبراهيم)، مثلاً »[(٥)].

---

(١) سورة البقرة: ١٢٤.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ح٢: ١٢، سورة النساء: ٥٤.

(٣) المصدر السابق ٢: ١٥.

(٤) سورة البقرة: ١٢٥.

(٥) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢: ٣٧.

٢ـ تعيين معاني الألفاظ

وقد يستعين السيد السبزواري بالسياق لتعيين معاني بعض الألفاظ الواردة في الآيات.

فنجده في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[(١)]، يقول :«والمراد بالذين كفروا - بقرينة السياق، ومقابلتهم لأهل اليقين والإيمان في الآية السابقة - مَن ستر الحقّ مطلقا، وتمكّن منه الكفر واستولى عليه، بحيث لا يُرجى منه الإيمان، وكان في علم الله من الراسخين في الكفر، سواء كان عن عناد وجحود للحقّ بعد معرفته، كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ﴾، أو إعراض منه للحقّ إمّا إستكباراً عن النظر فيه، أو لأجل مرض في قلوبهم، بسبب إنهماكهم في الأُمور الدنيويّة فعمي عليهم كل سبيل »[(٢)].

وفي قوله تعالى: ﴿فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ﴾[(٣)]، يقولقُدِّسَ سِرُّهُ: «والسياق يدلّ على أنّ الصفح والعفو محدود بزمان خاصّ، بقرينة آيات أخرى وردت في الجهاد والقتال، فهذه الآية المباركة منسوخة بتلك الآيات، بل نفس هذه الآية مغيّاة بغاية خاصة فلا معنى للنسخ الحقيقي حينئذ »[(٤)].

(١) سورة البقرة: ٦.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ١٠٩، سورة النمل: ١٤.

(٣) سورة البقرة: ١٠٩.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٥٤٤.

٣. الاستدلال على بعض الحقائق

غالباً ما يستفيد السيد السبزواري من سياق الآيات في الاستدلال على حقيقة هامة.

فمثلاً في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ * مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾[1].

يستفيد السبزواري قدس سره من السياق في أنّ التوراة والإنجيل لم يكن نزولهما تدريجيا، كما هو حال القرآن الكريم، حيث يقول قدس سره: «من سياق الآية المباركة يستفاد أنّ التوراة والإنجيل نزلتا جملة واحدة، بخلاف القرآن فإنّه نزل تدريجاً، حيث قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ﴾»[2].

وفي تفسيره لقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ... يَمْحَقُ اللَّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾[3]، يقول قدس سره: « تتضمن الآيات الشريفة بعض أحكام الربا الذي كان شائعاً في الجاهلية...

---

(١) آل عمران: ٣ـ ٤.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٥: ١٢.

(٣) سورة البقرة: ٢٧٥ـ ٢٧٦.

وسياق الآية الشريفة يدّل على أنّها نزلت لتأكيد الحرمة السابقة التي لم يكن المسلمون يراعونها، فهي لم تشرّع حكماً جديداً في الربا، بل كان التشريع في الآية التي نزلت قبل هذه الآيات، وهي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الرِّبَا أَضْعَافاً مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، وقبل هذه الآية نزلت آية أخرى تبيّن اتجاه الإسلام في هذا الأمر الخطير، فكانت كالتوطئة للتشريع الجديد، قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّباً لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ...﴾، ومن ذلك يعلم أنّ الربا كان مبغوضاً عند هذا الدّين الحنيف من حيث حدوثه »[1].

٤ ـ الكشف عن دلالة الحروف

استعان السيد السبزواري بالسياق للكشف عن دلالة الحروف في مواضع مختلفة منها:

أ ـ لفظ الخطاب (إياك) حيث استعمل هنا في مقام الحصر، وقد أطلق عليه تعالى في القرآن الكريم ضمير الغيبة، وضمير المتكلم مع إفادتهما الحصر أيضاً، قال تعالى: ﴿أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾، و﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾، إذ يقول قُدِّسَ سِرُّهُ: «ويستفاد الحصر في المقام من سياق الآية المباركة؛ لان من كان «ربّ العالمين»، «الرحمن الرحيم»، «مالك يوم الدين» لا وجه لعبادة غيره، فإنّ غيره مطلقاً مملوك له ومحتاج إليه»[2].

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٤٣٠ـ٤٣١، وترتيب الآيات: آل عمران: ١٣٠، الروم: ٣٩.

(٢) المصدر السابق ١: ٤٣، والآيات: يوسف: ٤٠، العنكبوت: ٥٦.

ب- وقد تعرض السيد السبزواري لذكر متعلق (إذ) والعامل فيه في مواضع متعددة منها، ما قاله رَحِمَهُ اللهُ في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ﴾[(١)] : «ومتعلق (إذ) في قوله تعالى: ﴿إِذِ ابْتَلَى...﴾ الآية، وغيرها من الآيات المباركة أي التي تشابه هذا الوضع - يصح أنْ يكون فعلاً مقدراً مثل: (اذكر)، أو يكون فعلاً مستفاداً من الآية المباركة نفسها، ففي المقام يصح أنْ يكون متعلقه (اذكر)، فيدل سياق الآية على أنّ قوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً﴾، فتكون الكلمات شيئاً آخر»[(٢)].

وقد وجه السيدقُدِّسَ سِرُّهُ الظرف (إذ) في آية آل عمران ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ...﴾[(٣)]. توجيهاً غير ما قيل في الظرف (إذ) من الوجوه.

إذ قالقُدِّسَ سِرُّهُ: «الظرف (إذ) في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ﴾، قيل: فيه وجوه.

فعن بعضٍ، أنّه زائد وهو غلط، وعن آخر أنّه منصوب على الظرفيّة لما قبله، ولكنّه لا يناسب مجيئه بعنوان الصفة الدالّة على الثبوت الدائم المطلق.

وقيل: إنّه منصوب بفعل مقدّر، أي اذكر، وهو بعيد عن السياق.

(١) سورة البقرة: ١٢٤.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢: ٢٠.

(٣) سورة آل عمران: ٣٥.

والوجه أنّه معمول لفعل مقدّر يدلّ عليه الكلام، وهو استجابة لها إذ قالت»[١].

ج ـ استخدام (من) لتبيين الصفة، لا للتبعيض.

قالقُدِّسَ سِرُّهُفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِه...﴾[٢]: «(من) لتبيّين الصفة، لا للتبعيض؛ لأنّ الأنبياء كلّهم مجتبون، كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا﴾.

وقيل: إنّ (من) للتبعيض؛ لأنّ الإطلاع على المغيبات مختص ببعض الرُّسل، بما فضّل الله تعالى به بعضهم على بعض، لا بأصل الرسالة، ولكنّه بعيد عن السياق، خصوصاً بملاحظة التفريع في قوله تعالى:﴿فَآمِنُواْ بِاللَّه وَرُسُلِه﴾»[٣].

واستبعدقُدِّسَ سِرُّهُحمل (من) على التبعيض معتلاً بدلالة السياق، وملاحظة التفريع في قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِالله ورُسُلِه﴾»[٤].

٥. الاستفادة من السياق لتخصيص العموم

يقول السيد السبزواري في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقّاً عَلَى

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٥، ص٣١٤، سورة آل عمران: ٣٥.

(٢) سورة آل عمران: ١٧٩.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٧، ص١١٠ـ١١١، وترتيب الآيات: فاطر: ٢، آل عمران: ١٧٩.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٧، ص١١١، وترتيب الآيات: فاطر: ٢، آل عمران: ١٧٩.

الْمُتَّقِينَ﴾[١] :«المراد بالكتابة هنا الثبوت الشرعي، وهو أعم من الوجوب والندب، وتستعمل في كل منهما مع القرينة، والمنساق في المقام عدم الوجوب بقرينة كون الوصية للوالدين والأقربين من أنحاء البر »[٢].

وقد لا يأخذ السيد السبزواري بظواهر القرآن الكريم الدالة على تخصيص الحكم في الآية اعتماداً على ما استشفه من السياق، كما في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ﴾[٣]، حيث يقول:«وإنّما خصّ (عزّ وجلّ) اللحم بالذكر مع أنّه حرام بجميع أجزائه التي تحلّ فيها الحياة وما لا تحلّ، إمّا لأنّ أكل لحمه هو الشائع عند المستحلّين له أو لعدم إمكان الانتفاع من غيره، كما أنّه تعالى خصّه بالذكر دون الكلب وغيره من الحيوانات المحرّمة؛ لاعتيادهم أكله دون غيره من السُباع».

إلى أنّ قال قُدِّسَ سِرُّهُ: « ومن ذلك يظهر وجه الضعف في ما قيل من اختصاص الحرمة باللحم فقط، أخذاً بظاهر الآية الشريفة، فإنّ السياق يدلّ على أنّ غير اللحم أيضاً حرام »[٤].

(١) سورة البقرة: ١٨٠.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢: ٤٣٣.

(٣) سورة المائدة: ٣.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٠: ٣٣١-٣٣٢.

٦ ـ الاستعانة بالسياق لبيان الجمل المعترضة بين الآيات

من الأساليب البلاغية التي وردت في القرآن الكريم،إقحام الآية أو الآيات في آيات أُخرى خارجة موضوعاً وحكماً عنها، فيعتمد المُفسِّر للقرآن على السياق لفصلها عن بقية الآيات.

مثاله: ما استدل به السيد السبزواري من السياق في بيان الجملة الاعتراضية التي أُقحمت في ضمن الآيات المبينة للمحرمات من الطعام، ففي قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ﴾[1]، قال السبزواري:«سياق الآية الكريمة يدلّ على أنّها جملة معترضة أُقحمت في ضمن الآية الكبيرة المباركة التي نزلت لبيان محرّمات الطعام، ومن عادة القرآن الكريم أنّه إذا أراد بيان أمر من الأمور التي لها أهميّة خاصّة أدرجه في ضمن الآيات الكريمة لحكَم متعدّدة،ويعتبر ذلك أُسلوباً بلاغياً مستحسناً عند البلغاء والفصحاء، ويظهر ذلك بوضوح في قوله تعالى: ﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً*وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً*وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفاً خَبِيراً﴾، فإنّ الآيات الشريفة نزلت في شأن نساء

(١) سورة المائدة: ٣.

النبي ﷺ إلّا أنّ قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾، جملة معترضة ذات دلالة مستقلّة لا تتوقّف على بقيّة الآية الشريفة، تبيّن قضيّة مهمّة، وهي عصمة أهل بيت النبيّ الّذين قرن الله طاعتهم بطاعته »[1].

٧. قبول الروايات ورفضها

استعان السيد السبزواري بالسياق في قبول الروايات ورفضها، وقد مرّ بيانه من خلال البحث حول اتخاذ «مطابقة الرواية للسياق القرآني» كشرط لترجيح الرواية فلا حاجة لذكر المزيد.

٨. قبوله او رفضه لأقوال المفسرين

كذلك استعان المفسر بالسياق في تأييده أو رفضه لما يستشهد به من أقوال المفسرين، وقد مرَّ ذكر ذلك عندما تعرضنا لمدى اعتماد السيد السبزواري على السياق في احتجاجه بأقوال المفسرين فلا حاجة لتكراره هنا.

والخلاصة نقول: إنّ السيد السبزواري لم يغفل عن الأخذ بسياق الآيات باعتباره أحد القرائن الحالية في فهم الكلام، وبالتالي فقد استفاد معاني الآيات ضمن سياقها.

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٠: ٣٤٠ـ٣٤١، سورة الأحزاب: ٣٢ـ٣٤.

المبحث الخامس

المنهج الإشاري (العرفاني) في التفسير

وفيه ثلاثة محاور:

المحور الأول: تعريفه

الملاحظ على تفسير مواهب الرحمن أنّه اعتمد سمة المنهج الإشاري، فكان طابعاً مُميزا عَكَس عرفانية السيد السبزواري؛ لذا ارتأينا تسليط الضوء على بعض من لمحات هذا المنهج في تفسيره.

فالمنهج الإشاري هو أحد المناهج القديمة في التفسير، وقد عرف بأسماء متنوعة، مثل: التفسير (التأويلي، الباطني، العرفاني، الصوفي، الشهودي، والرمزي)، وكل من هذه الأسماء يشير إلى نوع خاص من التفسير، وهناك اختلاف كبير في وجهات النظر بين المفسّرين والمحقّقين بالنسبة إلى هذا المنهج وأنواعه، فهناك من ارتضى بعض أقسامه واستفاد منه، ومنهم من رفضه واعتبره من التأويل والباطن[1].

---

(١) لمزيد من الاطلاع، انظر: دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن: ٣١٠.

والإشارة لغة: بمعنى العَلاّمَة والإيماء، والذي يعني اختيار أمر من الأمور (من القول، أو العمل، أو الرأي)[١].

والإشارة في الاصطلاح: تعني أنْ يستفاد شيء من الكلام دون أنْ يكون موضوعا له.

والإشارة قد تكون حسّية، كما هو الحال في ألفاظ الإشارة مثل (هذا)، وقد تكون ذهنية كالإشارة للمعنى في الكلام، بحيث لو أراد التصريح به للزمه الكثير من الكلام، ثم إنّ الإشارة قد تكون ظاهرة، وقد تكون خفيّة[٢].

إذن فالتفسير الإشاري يطلق على الإشارات الخفيّة الموجودة في آيات القرآن، والتّي تعتمد على أساس العبور من ظواهر القرآن والأخذ بالباطن، أي استخراج وفهم وتوضيح نكتة من الآية لا توجد في ظواهر الآية عن طريق دلالة الإشارة.

وبعبارة أخرى: الإشارة هي من الدلالة الإلتزامية للكلام.

فالتفسير الإشاري يشير بغير ظاهره لإشارة خفية تظهر لأرباب السلوك، ويمكن الجمع بينها وبين الظاهر المراد أيضا[٣].

---

(١) انظر: التحقيق في كلمات القرآن الكريم ٦: ١٤٩

(٢) أصول التفسير وقواعده: ٢٠٥ـ٢٠٦.

(٣) ينظر: مناهل العرفان ١: ٤٩٧.

وهو تفسير يشير إلى التأملات التي تحصل عن طريق ما ينفتح في ذهن المُفسِّر العارف من الأمور اللطيفة التي لها ربط ومناسبة مع ظواهر الآيات القرآنية، غير أنّه يفُسِّر ويؤول على غير ظاهرها مع محاولة الجمع بين الظاهر والخفي[(١)]، ولقد جاء في الحديث (**ما في القرآن آية إلاّ ولها ظهر وبطن**)[(٢)]،وكذلك ما روي عن الإمام الصادقعليه السلام: (**كتاب الله عزّ وجل على أربعة أشياء: على العبارة، والإشارة، واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام، والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء**)[(٣)].

والتفسير بهذا المعنى لا يخالف الشرع والعقل، بل هو محاولة عقلية ذكية من حيث التعَمّق في معاني الآيات، وما ينطبق منها على الأنفس والآفاق المرتبطة بالألفاظ وسياق الأسلوب،حيث إنّ تمامية وكمال فهم القرآن يعتمد على التفسير الثلاثي للقرآن: أي (القرآن أو الكتاب التدويني، والكتاب الآفاقي، والكتاب الانفسي).

فمن يريد أنْ يعكف على تفسير وفهم كتاب الله تعالى لا يستطيع أنْ يصل به إلى غاية كماله ولا يستطيع أن يستوعب علومه ومعارفه ما لم يتطرق للقرآن الآفاقي والأنفسي، ويحاول تفسير الكتاب التدويني على

---

(١) ينظر: المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم: ١١٠.

(٢) ينظر: تفسير العياشي ١: ٢٢، ح٥، وقريب من ذلك في كنز العمال ١: ٥٥٠، ح٢٤٦١.

(٣) بحار الأنوار ٨٩: ١٠٣و٢٠.

أساس الآيات الانفسية والآفاقية وكيفية الربط فيما بينهما.

كما في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(١)، حيث إنّ عالم الإمكان بما رحب هو التفصيل لذلك القرآن.

وأشار إلى هذا الكلام السيد حيدر الآملي العارف الشيعي بقوله: «إنَّ العالم المعبّر عنه بالآفاق كلّه كتاب الهي، ومصحف ربّاني مشتمل على الآيات والكلمات والحروف »(٢).

كما إنّ الإنسان هو الإجمال لذلك التفصيل، فكل ما في عالم الكون هو موجود إجمالا في الإنسان، كما يشير إلى ذلك قول الإمام علي عليه السلام:

وتزعم أنّك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر(٣)

والتفسير الإشاري يؤخذ به إذا كان هناك شاهد شرعي يؤيده وإنْ كان منافياً لظواهر النظم القرآني وأنّ لا يكون له معارض شرعي أو عقلي، وأنْ لا يدعي أنّه المراد وحده دون الظاهر(٤).

---

(١) سورة فصلت: ٥٣.

(٢) تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم ١: ٢٠٦.

(٣) ديوان الإمام علي عليه السلام: ١٧٥.

(٤) انظر:تطور تفسير القرآن: ١٥٣، مناهل العرفان ٢: ٨.

المحور الثاني: البحث العرفاني في تفسير مواهب الرحمن

يظل البحث العرفاني لدى السيد السبزواري متناسقا مع بحوثه الأُخرى من حيث الطرح والمنهج، ومما لا شك فيه أنّ القارئ يتحسس أنّ تناول السيد السبزواري لهذا الجانب يقترن بتفاعله مع المادة المطروحة، أي تشعر بعرفانيّة السبزواري رحمه الله بحيث ترى أنّ السيد السبزواري عاش القرآن الكريم في سلوكياته وأخلاقه واتخذه منهجاً في حياته العلمية.

ففي تعقيبه على آيات الإنفاق يقول قدس سره: «إنّ استغراق العبد في العبودية المحضة تلذذ من الجمال المطلق الأتّم، واستشعار بالكمال الأرفع الأهمّ، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1]، وفي مثل هذه المرتبة تتّحد الحقيقة والفعل والفاعل، وحينئذٍ يقصر القلم عن البيان، ويكلّ اللسان عن الكلام.

والعبودية الحقيقية هي التي تظهر آثارها على العبد، فلا تصدر عن معصية ولا يخطر في باله غير رضاء الرب، وفيها قال عليّ عليه السلام: «اعبد الله كأنك تراه، فإنْ لم تراه فإنّه يراك،واحذره أن يراك حيث نهاك»، وأنّها إذا استولت على القلب فلا يشغله شاغل من الشواغل الماديّة الدنيوية، ولا يمنعه مانع من الإنفاق في سبيل الله تعالى»[2].

(١) سورة السجدة: ١٧.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٤٢٣-٤٢٤.

وفي تعقيبه على آية ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الـدِّينِ﴾[١]، يقـول قُدِّسَ سِرُّهُ:«ولكـلام الحـق تعالى جذبات وللقرآن كذلك، وللموعظة الـصادرة عـن أهلهـا جـذبات بمراتبهـا المختلفة، التي لا حدَّ لها، ومع تحقّق تلك الجذبة كيف يتصور الإكراه ؟»[٢].

وفي تعليقه على آية البرّ في قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾[٣]، يقـول قُدِّسَ سِرُّهُ:«مـن أفـضل البـرّ وأهمّه هو الانقياد لأوامر الله تعالى وإطاعته في كلّ مـا شـاء وأراد، والتفـاني في مرضاته) عزّ وجلّ) الذي هو آخـر حـدّ الإمكـان وأوّل حـدّ الوجـوب، كما أنّ أعلى المحبوبات عند الناس هو حبّ الجاه والشرف والعـزّة، ولا بـدّ من إنفاق هذا المحبوب في ساحته (جلّ جلاله) لينـال العبـد الغايـة القـصوى من البرّ بالمعنى المطلق، وعليه سيرة أولياء الله المخلصين »[٤].

لقد أراد مُفسِّرنا الجليل ومن خلال هذا المقطع أنّ يشير إلى أنّ إطاعة العبد لأوامر مولاه فيهـا صـلاح للـنفس والمجتمـع وبعكـسه يحـصل الفـساد والإفساد ﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْـلاَحِهَا وَادْعُـوهُ خَوْفـاً وَطَمَعـاً إِنَّ رَحْمَتَ اللّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٥].

---

(١) سورة البقرة: ٢٥٦.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٣٠٨.

(٣) سورة آل عمران: ٩٢.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٦: ١٥٥.

(٥) سورة الأعراف: ٥٦.

ومن هذه الطاعات هو البر الذي هو مطلق الطاعة، فكل ما يدخل في طاعة الله ويمكن أن يكون عنواناً لها فهو يعد براً، كما أشار السيد السبزواري إلى أنّ تمامية الطاعة لله تعالى بكل أنواع البر لابد انْ يصل العبد فيها إلى درجة التفاني في مرضاة مولاه، والذي عبر عنه بأنه آخر حد الإمكان وأول حد الوجوب، حيث فرض سبحانه وتعالى الطاعة على الإنسان في الميثاق وهو أول عوالمه وأراد منه السعي لنيل مرضاته فخلق فيه الإمكان، بمعنى أنّه مكنّه لتحصيل رضاه سبحانه عن طريق الطاعة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾(١)، فكان الغاية من التمكين هي رضاه ولا غاية لعاقل سواها قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ﴾(٢).

فكان عليه أنْ يتدرج في مرضاته حتى يصل إلى حد الفناء في الله وهو أقصى حدود الإنسان، فإنّ لكل مخلوق من خلق الله حد يحده لا يمكن تجاوزه مطلقا، هذا من جهة حد الإمكان، أمّا من جهة حد الوجوب فإنّ المنوط بالإنسان هو الفناء وما كان قبله يعد مقدمة له فالتدرج في الكمالات في حد نفسه ليس واجباً؛ لأنه ليس هو الغاية بل الغاية هي الوصول إلى تمام الكمال وهو الفناء في الذات الإلهية المقدسة.

---

(١) سورة الأعراف: ١٠.

(٢) سورة الأحقاف: ٢٦.

وبعد بيان أنّ أعلى المحبوبات عند الناس إنمّا تنحصر بحب الجاه والشرف والعزة أراد قُدِّسَ سِرُّهُ بيان أنّه من الواجب على العبد من إنفاق هذا المحبوب في مرضاة الحق (جلّ جلاله)، إذ لا إشكال في أن ما ذكر من حب الجاه والشرف والعزة يعد من الأمور الوهمية في هذه الدنيا الموهمة، فلا بد من إنفاق القدرات في طريق الآخرة.

وأجمل بالإنسان أن ينفق أجمل وأنفس ما عنده! وفي الواقع لم يكن ذلك إنفاقاً وإنّما ادخار، فإنّ الدنيا مزرعة الآخرة، قال تعالى:﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[1].

كما أنّ السيد السبزواري تكلم عن مقام الشهداء والمجاهدين في سبيل الله، وذلك من خلال تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

حيث يقول قُدِّسَ سِرُّهُ:«يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ﴾ كمال العناية بالشهداء الذين قتلوا في سبيل الله، فقد أرادوا من جهادهم وبذل أرواحهم الغالية في إعلاء كلمة الله وإحياء الحق وإماتة

(١) سورة البقرة: ٢٧٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٩ـ١٧٠.

الباطل، فأعطاهم الله تعالى الأجر الجزيل، والثناء الجميل والذكر الحميد، ومنحهم السعادة الكبيرة أنْ جعلهم عنده يرزقون ويستبشرون ويفرحون، قد خلت حياتهم عن كل ما ينغصّها من الخوف والحزن والآلام »[١].

ثم أنّ مفسرنا الجليل بعد أنْ بين مقام الشهداء وما منحهم إياه الحق سبحانه وتعالى من الأجر والثواب والدرجة العالية والمنزلة الرفيعة، أراد الانتقال من الكلام حول الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر – وهو جهاد النفس – فقال قدس سره:«فإذا كان الجهاد الأصغر له هذه الحظوة عند خالق الأرواح، فما ظنك بالجهاد الأكبر مع النفس الأمارة لكسر سورتها، وقمع الهوى بالصبر والاصطبار، وكان العبد معه مطيعا لمولاه مخالفا لهواه مراقبا لنفسه وأعماله وأقواله فإنّ له الفضل العظيم والمنزلة الكبرى عند الله (عز وجل)، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾، والجهاد الأصغر وان كان في وقت معلوم، أمّا الجهاد الأكبر فإنّ مدته أطول ومعاناته أشد وأعظم»[٢].

هنا أراد قدس سره بيان أنَّ السبيل الوحيد لكسر الأصنام الجاثمة على قلب الإنسان إنّما يكون بجهاد النفس، حتى يهوي الشرك والكفر تحت أقدام المؤمنين ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾[٣].

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٧: ٨٤

(٢) المصدر السابق ٧: ٨٤ ـ ٨٥، سورة العنكبوت ٦٩.

(٣) سورة الجاثية: ٢٣.

وفي تعقيبه على مقطع تقطيع الطيور بالنسبة إلى رسمه لشخصية إبراهيم عليه السلام يقول رحمه الله:«فشرقت على قلبه الأنوار القدسية، فاتّخذه الله خليلاً وجعل الحبيب من نسله، فصار الخليل يفتخر بالحبيب والحبيب يفتخر بالخليل، لما بينهما من الجامع القريب، من شروق النور الأزلي على قلبيهما والوصول إلى مقام الوصال، والينبوع الذي لا يعقل فيه النفاد، وبمدبّر حكيم لا يتصوّر فيه التغيّر والفساد،...

وصدر منه العجائب والغرائب؛ لأنّه مستمد من مدد الغيب الذي لا حدّ له، فيكون إحياء الموتى على يديه أيسر شيء »[1].

ولقد حاول الدكتور عبد الرؤوف إيجاد عملية ربط لمثل هكذا مقاطع حيث قال: « نجد من النماذج المتقدمة أنّ الباحث يتفاعل أولا مع كتابه، ويربط ذلك ثانيا بالمناسبة التي تفرزها، فقد ربط بين آيات الإنفاق وبين العبودية الحقيقية التي لا يشغلها شاغل دنيوي عن الإنفاق في سبيله، وربط بين فقرة﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾؛وبين جذبات الحب التي لا يتصور الإكراه فيها وربط بين مقطع تقطيع الطيور، وبين شخصية إبراهيم من حيث استيلاء العبودية على قلبه وإمحاء المسافة بينه وبين الله تعالى، ومن ثم بين ذلك وبين العملية اليسيرة بالنسبة إليه وهي: إحياء الطيور»[2].

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٣٥٢.

(٢) ينظر: منهج السيد عبد الأعلى السبزواري في التفسير: ٨٥-٨٦، سورة البقرة: ٢٥٦.

المحور الثالث: مصاديق عرفانية عند السيّد السبزواري

ثمة مصاديق عرفانية تجلّت فأصبحت معالم بارزة في بحوثه التفسيرية وبالتالي انعكست على منهجه في تفسير المواهب، من أبرزها:

١. طلاق الدنيا (محبوبية طلاق الدنيا واقسامه)

ولقد أشار إليه السبزواري بقوله: «هو أوّل منزل من منازل السير إلى ربّ العالمين،ومن جهة الاستقامة والبقاء عليه تجتمع فيه سائر المقامات، من التخلية، والتحلية، والتجلية بل الفناء، والثبات عليه ثبات في الرحمة الواسعة التي لم تزل ولا تزال»[١]، لذا قال علماء السير والسلوك: إنّ أول قدم للسالك أنْ يخرج من الدنيا وما فيها، وأنْ يخرج من النفس وصفاتها[٢].

وفي تعليقه على قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾[٣]، قال السيد السبزواريقُدِّسَ سِرُّهُ:«وهناك طلاق آخر هو مجمع الكمالات الإنسانية، وأهم طرق السير والسلوك إلى الله تعالى وتتجلى أهميته في اجتماع التخلية عن الرذائل، والتحلية بالفضائل، والتجلية بصفات الباري (عز وجل) فيه، وهو طلاق الدنيا وما سوى الله جلّت عظمته، وهو أيضا مرتان: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾»[٤].

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٣١.

(٢) انظر: صفحات مشرقة من حياة السيد السبزواري: ٤٠.

(٣) سورة البقرة: ٢٢٩.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٣٠، سورة البقرة: ٢٢٩.

هذه إشارة إلى أن لطلاق الدنيا معنيين ووجهين يدوران مدار طرق السير والسلوك فالإمساك مداره التخلية، والتسريح مداره التحلية والتجلية.

٢. الطاعة (العبودية)

وهي الانقياد الكامل، والامتثال مع الإخلاص لجلب رضا الحق تبارك وتعالى، وترك ما سواه فهي الوسيلة للوصول إلى الدرجات الرفيعة، وبالطاعة ينال الإنسان المراتب الشريفة[١].

وكما قال قدس سره:«ويتشرف المؤمن بالإخلاص إلى أعلى مراتب الكمال بلذة ذلّ العبودية لله تعالى، وبه يخرق الحجب ويصل إلى معدن العظمة، والإخلاص من أعلى مراتب التفويض »[٢].

وفي تعليقه قدس سره على قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّـهِ لِلَّـذِينَ يَعْمَلُـونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللّـهُ عَلَـيْهِمْ وَكَـانَ اللّـهُ عَلِيمـاً حَكِيماً * وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَـوْتُ قَـالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[٣].

يقول رحمه الله:«التذلّل لدى المعبود الحقيقي الجامع لجميع الكمالات غير المتناهية والاعتراف بالقصور والتقصير عنده محبوبان لديه (عزّ وجلّ)،

---

(١) المصدر السابق ٩: ١٩.

(٢) المصدر السابق ٩: ٢٩٦.

(٣) سورة النساء: ١٧ـ١٨.

والعبودية التي هي غاية مقامات العارفين، وأولياء الله المخلصين متقوّمة بهما، فإنّه لا ريب في تحقق الارتباط بين الممكن والواجب، كالارتباط بين المعلول مع العلة التامة، والمخلوق مع الخالق، والأثر مع المؤثر بلا فرق في ذلك بين المجردات، والماديات، والأملاك، والأفلاك، فإنّ جميعها متعلقة بالإرادة الأزلية حدوثا وبقاء وبزوالها ينعدم جميع ما سوى الله تعالى، ولا يبقى إلا وجهه الواحد القهار »[1].

٣. الدعاء

إنّ أقوى مراتب سلوك السالكين إلى الله جلّت عظمته وأهم مقامات سيرهم وسفرهم، كما عبر عنه السيد السبزواري في تفسيره هو السفر من الخَلْقِ إلى الحَقِ وهو أحد الأسفار الأربعة عند السالكين والعرفاء في سيرهم وسلوكهم.

ففي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[2]، يقول قدس سره: «لا ريب في أنّ أقوى سلوك السالكين إلى الله جلّت عظمته وأهم مقامات سيرهم وسفرهم إنّما هو السفر من الخَلْقِ إلى الحَقِ، أي: التوجه التام بحيث ينقطع عما سواه تعالى وهو سير في الحق بالحق.

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٧: ٣٩٣

(٢) سورة البقرة: ١٨٦.

وهذا السفر الروحاني يصح أن يعبر عنه، بأنّه سفر من المحدود من كل جهة إلى غير المحدود من جميع الجهات، وعطف وحنان ممن لا حد لرحمته وحنانه وعنايته إلى ما هو المحتاج على الإطلاق...

وهذا السفر وهذه الرحمة والعطف يتحققان في حقيقة الدعاء مع الإيمان بالله (جلّ جلاله)، وبما جاء به نبينا الأعظم ﷺ،لأنّ هذه الحقيقة – مع ذلك – عبارة عن تخلّي النفس عن جميع الرذائل، وطهارة روحية عن جميع الصفات الذميمة والأهواء الشريرة وارتباط روحي مع عالم الغيب.

وإنْ قلت: إنّها تجلّي الرحمة الرحيمية الرحمانية بالنسبة إلى الداعين، أو قلت: إنّها عروج النفوس المستعدة عند الانقطاع عما سوى رب العالمين إلى أعلى الدرجات التي أعدت لها، ولذا قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾، وقال الإمام الصادق عليه السلام: (الدعاء مُخُّ العبادة)؛ ولذا كان الأنبياء والأوصياء والعلماء العارفون بالله تعالى يواظبون عليه أشدّ المواظبة في جميع أحوالهم حالا ومقالا »[1].

٤ . الذكر

وهو من أجلّ مقامات العارفين، كما يقول السيد السبزواري في تعليقه على قوله تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٣: ٨٨-٨٧ ، الفرقان: ٧٧ ،وانظر: وسائل الشيعة ٧: ٢٨.

وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ * فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُواْ لِي وَلاَ تَكْفُرُونِ﴾[١] : «من أجلّ مقامات العارفين مقام الذكر بل هو من أعظم مظاهر حبّ الحبيب لمحبوبه فان «مَن أحب شيئاً أكثر من ذكره»، ومن علامات الحبيب الاستهتار بذكر حبيبه، وقد قالوا: إنّ المُحب إذا صمت هلك، والعارف إذا نطق هلك؛ لأنّ الأول مجبول على ذكر الحبيب، والثاني مأمور بستر الأسرار، ونسب إلى سيد الساجدين عليه السلام:

يا ربّ جوهر علم لو أبوح به   لقيل لي أنت ممّن يعبد الوثنا

والذّكر عندهم على أقسام ثلاثة:

الأوّل: ذكر اللسان المستمد من القلب.

الثاني: ذكر القلب مع عدم حركة اللسان، ويسمى مناجاة الروح والاستجماع للمذكور بالكلية، وهذا هو ذكر الخواص.

الثالث: ذكر السرّ، ومعناه غيبة الذاكر في المذكور- في الجملة- فكان المذكور يكون هو الذاكر، وهذا ذكر أخص الخواص. ومثلوا لكل ذلك بأمثلة مذكورة في محالها. كما بيّنوا لكل واحد منها ثمرات ونتائج »[٢].

أقول: أعلى مراتب الذكر القلبي تلك التي أشار إليها مفسرنا السبزواري في تقسيمه للذكر أعني- ذكر السر- وهي أنْ يستغرق الذاكر

---

(١) سورة البقرة: ١٥١-١٥٢.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢: ٢٠٦.

في مشاهدة الجلال والجمال بحيث لا يلاحظ شيئاً غير نوره، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام:(ما رأيت شيئا إلا ورأيت الله قبله)[1].

(١) مفتاح الفلاح: ٣٦٧.

الفصل الرابع

الجانب النحوي في تفسير مواهب الرحمن

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: أبحاثه النحوية
- المبحث الثاني: آراءه الخاصة
- المبحث الثالث: أدلته الصناعية (جانب النحو)

المبحث الأول

أبحاثه النحوية

إننا على الرغم من عدم نسبة السيّد السبزواري لمذهب نحوي خاص، لا نستطيع أن نوهم المتلقي بأن السيد رَحِمَهُ الله لم يك متبعاً منهجاً معيناً أو قواعد معلومة، بل نجزم بالقول: إن السيّد السبزواري قد تضلع من علوم العربية وأتقن فنونها، واستطاع بعقليته الراجحة وذوقه الرفيع وحسه المرهف أن يوجد توافقاً نحويا - إن صح القول- بين قواعد المذهبين النحويين المعروفين (البصري، الكوفي) ومبانيهما.

وقد أضحى هذا واضحاً من خلال ما جاء في تفسيره وذلك؛ بعدم اكتراثه بتأويلات أهل المذهب الواحد إذا ما تبنى السيد قُدِّسَ سِرُّهُ وجهة نظر مخالفة لما كثر وروده في تفسيره المبارك.

وإتماماً للبحث، واستكمالاً لبيان الرؤى النحوية المبثوثة في أثناء التفسير المبارك للسيّد السبزواري، لا بد من إضاءة وضاءة لما ورد من الأبحاث والآراء النحوية لذا سيكون مدار البحث في هذا المقال ـ إن شاء الله ـ هو بيان المسائل والقضايا النحوية التي تعرض لها السيد السبزواري في

تفسيره (مواهب الرحمن) وإبراز علاقتها ودلالتها في إفهام المعنى وبيانه.

هناك جملة من المسائل والقضايا النحوية التي تطرق لها السبزواري في تفسيره سنعرض لجانب منها:

١ . الضمير المنفصل (إياك):

اختلف علماء العربية في «إياك» وملخص ذلك:

إن الكوفيين ذهبوا إلى أن «إياك» بكماله هو الضمير، وذهب البصريون إلى أن «إيا» هي الضمير، والكاف حرف خطاب لا موضع له من الإعراب [(١)].

وقال الخليل: إن (إيا) اسم مضمر أضيف إلى الكاف، وقد وافقه سيبويه، والمازني [(٢)]، غير أن سيبويه ذهب إلى أن ما اتصل بهما حرف يدل على أحوال المرجوع إليه من التكلم والخطاب والغيبة [(٣)].

والخليل، والمازني، يريان أن لواحق «إيا» أسماء مجرورة بالإضافة لأن «إيا» اسم مضاف، فذهبا إلى ذلك معتمدين فيه على السماع [(٤)].

فقد نقل الخليل: «إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب». بجر

---

(١) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ٢: ٦٩٥، شرح الرضي على الكافية ٢: ١٢.

(٢) أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو: ٢٢٧.

(٣) لسان العرب، مادة (إيا) ١٥: ٤٣٩، الكتاب ١: ٢٧٩.

(٤) أبو عثمان المازني ومذاهب في الصرف والنحو: ٢٢٧.

الشواب[١]. وذهب الفراء، وابن كيسان من البصريين، إلى أن الضمائر هي اللواحق لإيا، و(إيا) دعامة لهذه الضمائر[٢].

وذهب السيد قُدِّسَ سِرُّهُ إلى أن «إياك» بكماله يمثل لفظ الخطاب دونما تفصيل، وهو رأي فيه رائحة المذهب الكوفي، غير أن السبزواري انتقل مباشرة بعد تقريره ذلك إلى دلالة الضمير المنفصل «إياك» على الحصر في المقام.

٢ - غير:

المعروف أن (غير) نكرة، لا تتصف بها المعرفة، وإن أضيفت - (غير)- إلى المعرفة، والأصل فيها أن تكون صفة لنكرة[٣].

وقد وقعت «غير» صفة للمعرفة في الآية الكريمة من سورة الفاتحة وهي قوله تعالى: «غير المغضوب عليهم»[٤].

والقراءة الصحيحة المختارة «غير المغضوب»، بكسر الراء، ونصب الراء شاذ، ونقل عن الفراء أنه قال في قوله تعالى: «غير المغضوب» بخفض (غير)، لأنها نعت للذين، لا للهاء والميم من (عليهم) وإنما جاز أن يكون (غير) نعتاً لمعرفة لأنها أضيفت إلى اسم فيه ألف ولام، وهو في الكلام

(١) أضواء على متشابهات القرآن ١: ١٤، حروف المعاني: ٦٦.

(٢) الإتقان في علوم القرآن١: ٢٣٧.

(٣) ينظر: معاني القرآن١٠: ٧.

(٤) سورة الفاتحة: ٧.

بمنزلة قولك: «لا أمر إلا بالصادق غير الكاذب، كأنك تريد: بمن يصدق ولا يكذب»[1]، وكذلك إنما صح وصف - الذين بغير- لأن الذين مع صلتها ليست بالمعرفة المتأصلة كالأعلام، وإنما هي مثل النكرات إذا عرفت كالرجل، فلما كانت كذلك كانت صفتها كذلك، فتقول: «إجلس إلى العالم غير الجاهل».

ولو كانت بمنزلة الأعلام لما جاز ، كما لم يجز أن تقول: مررت بزيد غير الحسن[2].

وقد أشار السيّد السبزواري إلى هذا المورد في تفسير قوله تعالى: ﴿لا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾، إذ قالقُدِّسَ سِرُّه: «غير - بالرفع- صفة لقوله تعالى: « الْقَاعِدُونَ ». وهي وإن لم تكن معرفة، ولابد من التطابق بين الصفة والموصوف في المعرفة لكنه غير مقصود في المقام، لأن المراد من القاعدين جنسهم ويصح وصف الجنس بها[3].

وينتقد ابن الحاجب قول النحويين في هذا الشأن عند تعرضه لآية سورة النساء المقدمة: «لا يستوي القاعدون.» الآية ، ثمّ يعلل ذلك، فيقول نقلاً عن النحويين:

---

(١) معاني القراءات: ٣١.

(٢) ينظر: حروف المعاني: ٦٦.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٩: ١٨٠، سورة النساء: ٩٥.

(٥) الأمالي النحوية ٣: ١٢٦.

«إن «غير» في الرفع صفة القاعدين، وذلك أن «غير» نكرة وإن أضيفت إلى المعارف لشدة إبهامها، لأنه كقولك مررت بالرجل غير العالم، أي ان الموصوف ليس بالمعرفة المتأصلة» كالأعلام[١].

ويقول السيد السبزواري: وفي ذلك ذكر الرضي[٢]: «أن المعرف باللام وان كان في حكم النكرة، لكنه لا يوصف بما توصف به النكرة، بل يتعين أن تكون صفته جملة فعلية وفعلها مضارع»[٣].

٣. لعل:

لعل لها ثلاثة أوجه: تكون شكاً، وإيجاباً، واستفهاماً.

فالشك قولك: لعل زيداً يقوم.

والاستفهام قولك في الخطاب: لعل زيداً يقوم.

والإيجاب قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْراً﴾[٤].

ولها معنى رابع وهو الترجي[٥].

ويرى السيد السبزواري أن كلمة (لعل) إذا استعملت في كلامه تعالى لا تفيد معنى الترجي الحقيقي، إذ يقول قدس سره:

(١) ينظر: شرح الرضي على الكافية ٢: ٣٠٠.

(٢) المصدر السابق ٢: ٣٠٠.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٩: ١٨٠.

(٤) سورة الطلاق: ١.

(٥) حروف المعاني: ٣٠.

«وكلمة «لعل» إذا استعملت في كلامه تعالى تكون بداعي محبته تعالى لمدخولها، ورضائه وإشفاقه بالنسبة إليه لا بداعي الترجي الحقيقي، لاستحالته بالنسبة إليه عزّ وجلّ إذ كيف يتصور فيه ذلك، وهو عالم الغيب والشهادة من جميع الخصوصيات، ما هو موجود وما مضى، وما هو آت، فكل شيء حاضر عنده، وهي بمعنى «كي» التعليلية، كما ورد ذلك عن جمع من المفسرين»[١].

٤. حيث:

وقد أشار السيد قدس سره إلى استعمال (حيث) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ﴾[٢].

إذ قال قدس سره: «كلمة (حيث) تستعمل في المكان، والجملة التي بعدها تكون بياناً لها، نظير (أين) إلا أن الأولى أعم من الثانية، فأن الأخيرة لوحظ فيها السؤال عن الزمان، بخلاف (حين) الذي هو في الزمان كلفظ (حيث) في المكان، وتستعمل (حيث) في مطلق التحيز»[٣].

وقد أشار السيد قدس سره إلى كيفية استعمال (حيث) وبناءه، ثمّ وسع من دائرة استعماله، إذ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٣٣٨.

(٢) سورة البقرة: ١٤٩.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢: ١٢٤.

وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾[١]: «لفظ حيث»، لا يستعمل إلا مضافاً، وهو مبني على الضم تشبيهاً له بالغايات، مثل: قبل، وبعد ونحوهما، لأنها لا تستعمل إلا مضافة إلى جملة، ولا يختص استعماله بالماديات المحضة، بل يستعمل في غيرها أيضاً، قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[٢].

٥ . كان التامة:

قد أشار السيد قُدِّسَ سِرُّهُ إلى مواطن التمام في كان وأخواتها بمواضع متعددة، منها ما قاله قُدِّسَ سِرُّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾[٣].

و(كان) في الآية تامة بمعنى (وجد)، وارتفع (ذو) بها[٤]، وجوز حمل الفعل المضارع (تكن) في أحد وجهيه على أنه من كان التامة في تفسير قوله تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة﴾[٥]، إذ قال قُدِّسَ سِرُّهُ : «(تكن) إما من كان التامة، فتكون (أمة) فاعلاً، وجملة (يدعون) صفته، و(منكم) متعلق بـ(تكن)، أو بمحذوف يكون صفة لأمة قدم عليها فصار حالاً»[٦].

---

(١) سورة البقرة: ١٩١.

(٢) سورة الأنعام: ١٢٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٠.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٤: ٢٨٣.

(٥) سورة آل عمران: ١٠٤.

(٦) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٦: ٢٠٢.

(نون كان):

تحذف نون (كان) إذا جزم الفعل طلباً للخفة، ولكن ربما يمنع من ذلك الحذف لهذا، فان لنون (كان) حالان إذا جزم الفعل:

١- جواز الحذف: يجوز أن تحذف النون عند الجزم، وينص سيبويه على أن هذا الحذف إنما حصل في (يكون) لكثرة استعمالها في كلام العرب[١].

٢- وجوب الإبقاء: وذلك إذا جاء بعدها حرف ساكن، لأنها تكون عندئذٍ في موضع تحرك لالتقاء الساكنين[٢].

فلا تقول: ﴿لمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغفرَ لهُمْ ولا لِيَهْديَهُمْ سَبيلاً﴾[٣].

وقد تعرض السيد قُدِّسَ سِرُّهُ إلى مسألة هذا الحذف في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإنْ تَكُ حَسَنَةً يُضاعِفْها﴾[٤].

إذ قال: «تك، أصلها (تكن) حذفت النون للتخفيف، ويكثر حذفها في مثل هذه، وعلل بأن النون تشبه حروف العلة من حيث الغنة والسكون»[٥].

(١) الكتاب ٢: ٣٨٩.

(٢) النواسخ في كتاب سيبويه: ٥١.

(٣) سورة النساء: ١٣٧.

(٤) سورة النساء: ٤٠.

(٥) المصدر السابق ٨: ٢٠٨.

٦. ليس:

فعل ماض ناقص، ولا يأتي تاماً[١]، وقد تعرض السيد قُدِّسَ سِرُّهُ إلى ذكرها في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ﴾[٢].

إذ قال قُدِّسَ سِرُّهُ: «يجوز رفع (البر) على أن يكون اسم ليس، ويكون خبره جملة «أن تولوا» كما يجوز نصبه على أن يكون خبر ليس وجملة «أن تولوا» الاسم»[٣].

ثم ذكر قُدِّسَ سِرُّهُ مورد جواز ذلك بقوله: « وهذان جائزان في كلّ مورد يقع بعد (ليس) معترفتان، فيجعل أيهما الاسم والخبر، إلا أذا اقترن أحدهما بالباء، فيتمخض في الرفع، كما يصح أن يكون، بمعناه المصدري مبالغة، أو يكون بمعنى الفاعل، أي: البار، أو بالتقدير أي: ليس البر بر من آمن بالله، فحذف المضاف، والكل صحيح، ولا ترجيح في البين بعد صحة الاستعمالات وبناء المحاورات عليها»[٤].

٧. عسى:

وقد أشار قُدِّسَ سِرُّهُ إلى المنحى الدلالي في أدوات الترجي والتمني،

(١) ينظر: الكتاب ١: ٢١.

(٢) سورة البقرة: ١٧٧.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢: ٢٨٦.

(٤) المصدر السابق ٢: ٢٨٦.

وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[(١)].

إذ قال قُدِّسَ سِرُّهُ: «المعروف أن عسى، من الإنسان للترجي، ومن الله تعالى الحتم لأن الترجي الحقيقي محال عليه عزّ وجلّ، المحيط بكل شيء، ولكن ذكرنا غير مرة أن «عسى» وغيرها من أدوات الترجي والتمني تستعمل في معانيها الحقيقية الإنشائية، فهي إبراز المقصود والمطلوب بدواعٍ مختلفة، كالترجي والتمني ونحو ذلك، بلا فرق بين أن تكون تلك المعاني قائمة بنفس المتكلم أو المخاطب، أو بمقام التخاطب، فيكون مفهوم «عسى» في الخالق والمخلوق على حد سواء، بلا ارتكاب مجاز في الأول»[(٢)].

٨. في دلالة (أم):

وقد تعرض السيّد السبزواري لمعاني (أم) ودلالتها في أثناء تفسيره بمواضع متعددة منها ما قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ﴾[(٣)]:

«أم هنا منقطعة بمعنى (بل) وتتضمن الاستفهام فتكون إضراباً عن عقائدهم الفاسدة بما هو أفسد»[(٤)]. وإلى هذا أيضاً ذهب الشوكاني في تفسيره[(٥)].

---

(١) سورة النساء: ٨٤.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٣: ٨٥.

(٣) سورة البقرة: ١٠٨.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٣٧٣.

(٥) ينظر: فتح القدير ١: ١٦١.

وقال السيّد السبزواري في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْـرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُوداً أَوْ نَصَارَى﴾[1]: «أم متصلة ومعادلة لما قبلها أي: إن كانت المحاجة في الله تبارك وتعالى فأنتم والمسلمون تعترفون بأنه تعالى ربّ الكل، وإن كانت في إبراهيم عليه السلام وأولاده وأحفاده كانوا هوداً أو نصارى، فهو خلاف الوجدان والبرهان، لأن التوراة والإنجيل نزلا بعد إبراهيم بقرون»[2].

ويرى سماحته أن (أم) تفيد الإنكار، ولا يحتاج إلى تقديرها بـ(بل)، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ﴾[3]، إذ قال قدس سره: «أم في قوله تعالى: أم حسبتم، منقطعة، وقيل: إنها مقدرة بـ(بل) وهمزة الاستفهام الإنكاري[4] ولكن الحق ان هذه الكلمة تفيد الإنكار، ولا يحتاج إلى التقدير»[5].

٩ . في دلالة (سواء):

(سواء)، مفتوحة الأول بمعنى (وسط)[6]، نحو قوله تعالى: ﴿فَاطَّلَعَ

(١) سورة البقرة : ١٤٠.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢: ٧٨، ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه ١: ١٨٣.

(٣) سورة آل عمران : ١٤٢.

(٤) ينظر: إعراب القرآن الكريم وبيانه ١: ٥٣٥.

(٥) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٦: ٣٤٨.

(٦) حروف المعاني: ٢٣.

﴿فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾[١]. وقد جاءت مكسورة بمعنى (وسط)[٢]، كقوله تعالى: ﴿مَكَاناً سِوًى﴾[٣]. أي: وسطاً.

وقد ذكر السيّد السبزواري معاني كلمة (سواء) عند تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾[٤]، إذ قال قدّس سرّه: «كلمة سواء، تأتي مصدراً، وتأتي، بمعنى الوصف أي متساوي الطرفين، والعدل، وتقرأ ممدودة إذا فتح «السين» ومقصورة إذا كسر «السين» أو ضم، وهي نعت «لكلمة» مستوية أو متساوية فتكون مجرورة، ويمكن أن تكون منصوبة على المصدر»[٥].

١٠. في دلالة (لو):

وقد تعرض السيّد السبزواري إلى ذكر معاني (لو) في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٦]، إذ قال قدّس سرّه: «عن جمع من الأدباء، وتبعهم بعض المفسرين، أن كلمة (لو) تستعمل في معان:

---

(١) سورة الصافات: ٥٥.

(٢) حروف المعاني: ١٠.

(٣) سورة طه: ٥٤.

(٤) سورة آل عمران: ٦٤.

(٥) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٦: ٤٤.

(٦) سورة البقرة: ٩٦.

الأول: للسببية بين الشرط والجزاء.

الثاني: لامتناع الجواب بدون الشرط.

الثالث: التعليق في المستقبل، كقوله تعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ﴾[1].

الرابع: أن تكون مصدرية بمنزلة (أن) المصدرية، وأكثر وقوعها بعد (ود، يود)، ويفترقان في أن مدخول (لو) بعيد الحصول، أو ممتنع إما بنفسه أو بحسب العادة، أو إبرازه بصورة البعيد أو الممتنع، بخلاف (أن)، كقوله تعالى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾[2]،

وفي غير ذلك تأتي (أن) المشددة المفتوحة، أو (أن) الساكنة المصدرية مكانها.

الخامس: للعرض، كقولهم: لو تنزل عندنا فتصيب خيراً.

السادس: للتقليل، كقول نبينا الأعظم ﷺ: «**اتقوا النار ولو بشق تمرة**»[3].

السابع: التمني، كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ﴾[4].

والفرق بينهما وبين (لو) المصدرية، أن ما بعد (الفاء) بعد (لو) التي

(١) سورة النساء: ٩.

(٢) سورة آل عمران: ٦٨.

(٣) مجموعة ورام ١: ١١٠.

(٤) سورة البقرة: ١٦٧.

للتمني يكون منصوباً، بخلاف ما بعد (لو) المصدرية[1].

وقال قُدِّسَ سِرُّهُ أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا﴾[2]: «لو مصدرية لا جواب لها، والفاء في قوله تعالى: «فتكونون سواء» للعطف لا للجواب، فيكون من عطف المصدر المقدر على الملفوظ»[3].

١١. في معاني (من):

تأتي «من» على خمسة عشر وجهاً[4].

وقد ذكر السيّد السبزواري بعض تلك الوجوه في تفسيره المبارك منها: ما قاله في تفسير قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾[5]: « (من) في (بعضها من بعض)، اتصالية»[6].

وتجدر الإشارة أن هذا المعنى (الاتصالية) لم أجد له ذكراً في معاني (من)[7]، غير أنني أميل إلى توجيه (من) في المقام على أنها إبتدائية، «فمن

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٣٣٧.

(٢) سورة النساء: ٨٩

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٩: ١٣١.

(٤) ينظر: مغني اللبيب ١: ٢٧٦، وما بعدها، حروف المعاني: ٥٠.

(٥) سورة آل عمران : ٣٤.

(٦) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٥: ٢٦٤.

(٧) ينظر: مغني اللبيب ١: ٢٧٦، همع الهوامع ٢: ٣٥، الجنى الداني: ٣١٤، حروف المعاني: ٥٠.

للإبتداء في غير الزمان عند البصرية سواء كان المجرور بها مكاناً أو غيره»[١].

وقال قُدِّسَ سِرُّه في تفسير قوله تعالى: ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾[٢]: «من للتبعيض، وقيل: إنها للبيان، ويرد عليه: أن التي للإبهام، لابد من أن تكون مباينة فيه إبهام في جنسه، ويكون في مجرورها بيان يرفع ذلك الإبهام، ولا إبهام في الآية الشريفة حتّى يرفع بـ(من) ومجرورها»[٣].

وقال أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ﴾[٤]: «(من) لتبيين الصفة، لا للتبعيض، لأن الأنبياء كلهم مجتبون كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا﴾[٥].

١٢ . في دلالة (سبحان):

سبحان الله: معناه براءة الله من السوء[٦]. وهو «من مفهم التعجب، الذي لا يبوب له في النحو قولهم سبحان الله»[٧].

وقد أورده السيد السبزواري في تفسير قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَهُ بَلْ لَهُ مَا

(١) شرح الرضي على الكافية ٤: ٢٦٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٧٩.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٧: ٦٦.

(٤) سورة آل عمران: ١٧٩ .

(٥) سورة فاطر: ٢.

(٦) حروف المعاني: ١٨.

(٧) همع الهوامع ٢: ٩٢.

فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾[(١)].

إذ قال قُدِّسَ سِرُّهُ : «سبحانه، من التسبيح، وهو التنزيه المشوب بالعظمة» ﴿تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن، وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾[(٢)]. وسبحان مصدر كغفران، لا يستعمل إلا مضافاً، فإن أصله: «سبحته سبحاناً، فحذف الفعل، وأضيف المصدر إلى ضمير المفعول وقام مقامه»[(٣)].

١٣ ـ (مثل) دلالتها وعملها:

قد يشبه (غير) و(مثل) بالظروف المضافة إلى الجمل لزوماً، وذلك لأنهما نسبيان مثلها، ولكن لما كانا مشبهين بها تشبيهاً بعيداً، لم يضافا إلى صريح الفعل، بل إلى جملة مصدرة بحرف مصدري[(٤)]، كقوله تعالى: ﴿مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾[(٥)].

و(مثل) وإن أضيف إلى المعرفة فهي نكرة[(٦)]، وقد أوردها السيد قُدِّسَ سِرُّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ ﴾[(٧)].

(١) سورة البقرة: ١١٦.

(٢) سورة الإسراء: ٤٤.

(٣) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٤٠٥، إعراب القرآن وبيانه ١: ١٦٢.

(٤) شرح الكافية ٣: ١٧٥.

(٥) سورة الذاريات: ٢٣.

(٦) أمالي ابن الحاجب ٢: ١٢٥.

(٧) سورة النساء: ١٤٠.

إذ قال قَدَّسَ سِرَّهُ:(مثل)، خبر عن ضمير الجمع، ويستوي فيه الواحد المذكر وغيره، لأنه كالمصدر الذي يقع على القليل والكثير وفي المقام قد أضيف إلى ضمير الجمع، فيدل على العموم.

وقد يطابق ما قبله في الجمع والإفراد، كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾(١)، ويكتسب البناء إذا أضيف إلى المبنى سواء أكان (ما) أم غيرها»(٢).

١٤ . في معنى (كاين) وعملها:

وقد تعرض السيد قَدَّسَ سِرَّهُ لذكرها في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ﴾(٣).

إذ قال: «و (كأين) قيل: إنها مركبة من كاف التشبيه وأي الموصولة، ورسمت النون للمحافظة على التنوين في الأصل وإنها صارت بعد التركيب اسماً تفيد معنى (كم) الخبرية ومحلها الإبتداء، وما بعدها تمييز وخبرها، ثمّ ذكروا إن (كم وكأين) متشابهتان في خمسة أوجه، هي: الإبهام، والبناء، ولزوم التصدير، وإفادة التكثير والإفتقار إلى التمييز».

وتخالف (كأين، كم) في خمسة أمور أيضاً هي: إنها مركبة، وكم

(١) سورة محمّد: ٣٨.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٠: ٥٥ .

(٣) سورة آل عمران: ١٤٦.

بسيطة، وإن تميزها مجرور بـ(من) غالباً، وإنها لاتقع مجرورة، وإن خبرها لا يقع مفرداً، وإنها لا تقع استفهامية»[١]

١٥ . (إذن) معناها وعملها:

وقد أوردها السيد قُدِّسَ سِرُّه في تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾[٢].

إذ قال قُدِّسَ سِرُّه : «إذا ملغاة عن العمل، كما هو المعروف، واختلفوا في أنه على سبيل الجواز أو غير ذلك، فقيل: بالأول إذا وقعت بعد (الفاء والواو)[٣]، مع اتفاقهم على أن عملها، وهو نصب المضارع، مشروط بتقديرها ، وكيف كان فـ(إذا) تكون جزاءاً وجواباً في الأكثر»[٤].

وهذا مذهب الرضي، إذ يخالف إطلاق النحاة تضمن (إذن) الشرطية[٥].

وقال قُدِّسَ سِرُّه في تفسر قوله تعالى: ﴿وَإِذاً لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْراً عَظِيماً﴾[٦]: «إذا مقحمة، وجواب لسؤال مقدر[٧]، وقد اختلف العلماء في

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٦: ٣٤٨ .

(٢) سورة النساء: ٥٣ .

(٣) ينظر: الكتاب ٣: ١٣.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٨: ٢٩١ .

(٥) شرح الرضي على الكافية ٤: ٤١.

(٦) سورة النساء: ٦٧.

(٧) ينظر: إعراب القرآن وبيانه ٢: ٥٤ .

أنها لمعنيين في حال واحدة، أي: الجواب والجزاء أو إنها تأتي لمعنى واحد كالجواب»[١].

١٦ . (التي) بين الأفراد والجمع:

اسم من الأسماء الموصولة، والموصول: «مالايتم جزءاً إلا بصلة وعائد»[٢]. والموصولات مبنية، وإنما بنيت الموصلات، لأن منها ما وضع ، وضع الحروف نحو (ما ومن)، ثمّ حملت البواقي عليها طردا للباب أو لاحتياجها في تمامها جزءاً إلى صلة وعائد، كاحتياج الحرف إلى غيره في الجزئية[٣].

وقد تعرض السيد قُدّسَ سِرّهُ لدلالة (التي) مفردة في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾[٤].

إذ قال قُدّسَ سِرّهُ[٥]: «وإفراد «التي» ـ في الآية ـ لأن الأموال جمع لا يعقل، ويجري فيه لفظ الواحد، كقوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي﴾[٦]».

بخلاف ما لو كان لما يعقل، كقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٨: ٣٧٤.

(٢) شرح الرضي على الكافية ٣: ٥ .

(٣) المصدر السابق ٣ : ٧.

(٤) سورة النساء: ٥ .

(٥) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٧: ٢٣٩ .

(٦) سورة هود : ١٠١ .

﴿أَرْضَعْنَكُمْ﴾[١]. وكذلك تعرض رَحِمَهُ اللهُ لذكر صيغ جمع (التي) عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نسائكم﴾[٢].

إذ قال قُدِّسَ سِرُّهُ: «اللاتي» إحدى صيغ جموع (التي) وهي: (اللات) بحذف الياء وإبقاء الكسرة، و(الائي) بالهمزة واثبات الياء و(اللاء) بكسرة وحذف الياء، و(لا) بحذف الهمزة[٣].

١٧ . الاختصاص:

«اعلم أنه ليس كلّ موضع يجوز فيه التعظيم، ولا كل صفة يحسن أن يعظم بها، وليس كلّ شيء من الكلام يكون تعظيماً لله عزّ وجلّ، يكون تعظيماً لغيره من المخلوقين»[٤].

وقد يجري من الشتم مجرى التعظيم وما أشبهه، ومنه قراءة (عاصم)، ووافقه ابن محيصن[٥]، في قوله تعالى: ﴿وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ﴾[٦]، بالنصب، إذ لم يجعل الحمالة خبراً للمرأة، والمعنى: اذكر حمالة الحطب[٧].

(١) سورة النساء : ٢٣ .

(٢) سورة النساء : ١٥ .

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٧ : ٣٢٥.

(٤) الكتاب ٢: ٦٩ .

(٥) ينظر: إتحاف فضلاء البشر: ٤٤٥ .

(٦) سورة المسد: ٤ .

(٧) معاني القراءات: ٥٦٨ .

وقد أشار السيد رحمه الله إلى معنى الاختصاص في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾[(١)].

إذ قال قدس سره: «وأما رفع «الموفون» فلأجل العطف على «من آمن» كما أن نصب «الصابرين» يكون على المدح والاختصاص[(٢)].

ويمكن أن يكون الرفع والنصب كلاهما على المدح، أي: هم الموفون وأعني الصابرين، لأن النعوت والصفات إذا طالت جاز الاعتراض بينهما بالمدح.

والأحسن هو الاختلاف في الإعراب في المقام، ليكون النصب في «الصابرين» إشارة إلى أن في المقام سراً مكنوناً، وهو بيان مقام الصبر وأهميته»[(٣)].

ونرى السيّد السبزواري في موضع آخر يرد زعم من وجه النصب على الاختصاص في كلمة «نصيباً من قوله «نصيباً مفروضاً»[(٤)].

إذ قال قدس سره: قال بعضهم إن «نصيباً» في قوله تعالى: نصيباً مفروضاً، منصوب على الاختصاص، أي: أعني نصيباً مفروضاً[(٥)]، ويرد بأن المنصوب

(١) سورة البقرة: ١٧٧.

(٢) ينظر إعراب القرآن الكريم وبيانه ١: ٢٢٦، إملاء ما من به الرحمن ١: ٧٨.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢: ٢٩٧.

(٤) سورة النساء: ٧.

(٥) وهذا ما اختاره الزمخشري، إعراب القرآن وبيانه ١: ٦٢١، ينظر: الكشاف ١: ٥٠٣.

بالاختصاص المصطلح عليه في النحو يشترط فيه ان لا يكون نكرة و«نصيباً» في المقام نكرة، إلا أن يريد من الاختصاص معنى آخر»[١].

على الرغم من صحة رد السيد رحمه الله لاعتماده المشهور في النحو من قصر المنصوب على الاختصاص على المعرفة، غير أن الكلام قابل للمناقشة من أن النكرة قد توجه أو تخرج بتخريج يجمع بين النكرة والاختصاص، كما نرى الخليل بن أحمد قد فعل ذلك في تخريج أو توجيه قول أمية بن أبي عائذ:

ويأوي إلى نسوة عطلٍ وشعثا مراضع مثل السعالي

إذ قال سيبويه: «قال الخليل: كأنه قال: واذكرهن شعثاً، إلا أن هذا فعل لا يستعمل إظهاره، وإن شئت جررت على الصفة»[٢]. وكذلك مما يرجح الجر على الصفة، وصفها بـ(مثل) بالكسر، ولو كان حقاً النصب، لوصفها بـ(مثل) بالفتح.

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٧ : ٢٧٣.

(٢) الكتاب ٢: ٦٦.

المبحث الثاني
آراؤه الخاصة

أولاً: ما تفرد به السيّد السبزواري (قدّس سرّه)

خالف السيّد السبزواري رحمه الله في جملة من مباحثه الأدبية آراء علماء العربية، وأخص بالذكر النحويين منهم ـ وقد تبيّن لنا ـ بعد عرضنا لما يميل إليه ويتبناه رحمه الله من الآراء النحوية، سواء أكان مؤيداً لغيره أم لم يكن، أنه ذو وجهة نظر خاصة به تدل على تبحره في علوم العربية ومطالبها، وتطلعه بدقة متناهية على خفيات أسرارها البلاغية والتي تمثل الركيزة الأساسية، واللبنة الرئيسة لفهم النص القرآني الشريف وإفهامه، وكذلك تعد من أهم مرتكزات المفسر ومقومات علمه.

والسيد السبزواري قدس سره كثير ما يصرح ويدعو لنقض مبدأ النحاة في تقريرهم القاعدة النحوية ثمّ عرض القرآن الكريم عليها.

لهذا فإنه رحمه الله يرى من الواجب أن نجعل القرآن الكريم أصلاً ومنهلاً ومنه نستقي العلوم والمعارف والقواعد. ومن أهم ما لمسنا من آرائه ما يأتي:

١ ـ (ذلك) للإشارة لم يكن محصوراً بالبعيد:

يقرر السيّد السبزواري نقضاً لتفسير الأدباء الإشارة بـ(ذلك) للبعيد، فيقول في تفسير آية البقرة: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾[1]: قوله تعالى: «ذلك الكتاب» فسر الأدباء «ذلك» للإشارة إلى البعيد ذهنيا كان أو خارجيا، حسياً أو عقلياً.

وإن موارد استعماله في القريب تكون بالعناية، كقوله تعالى: ﴿فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾[3]، والمراد بالأولى بعد جمال يوسف عليه السلام عن كلّ ما يتصورون فيه، وبالثانية بعد حقيقته تعالى عن إحاطة العقول به مطلقاً، أي: إن العبد في الأولى حسياً، وفي الثانية عقلياً.

وفي أن كلّ ذلك تكلف مستغنى عنه، فغن أرادوا الحقيقة والمجاز يعني إن استعمال «ذلك» في البعيد حقيقة، وفي غيره مجاز، أو إنه من تعدد الوضع، فالأصل ينفي كلاً منهما، وإن أرادوا مجرد الاستحسان فهو مخالف للقاعة التي أسسوها من أن اللغة لا تثبت بالاستحسان وحينئذٍ فإن قالوا: إن الموضوع له في أسماء الإشارة عام فهي كأسماء الأجناس لا فرق فيها بين

(١) سورة البقرة: ٢.

(٢) سورة يوسف: ٧٢.

(٣) سورة الأنعام: ١٠٢.

البعيد والقريب، وإن قالوا إنه خاص، ويكون «هذا» لخصوص القريب، و«ذلك» لخصوص البعيد.

ولوحظت هذه الخصوصية في الوضع والموضوع لـه، فأصالة عدم ملاحظة هذه الخصوصية مسلمة عند جميع الأدباء وغيرهم أيضاً»[١].

ولعل الفخر الرازي، قد أجاد في عرض هذا الإشكال نفسه وبيانه، إذ يقول في بيان أن «ذلك» لا تدل الإشارة بها إلى البعيد: «إن «ذلك» وهذا» حرفا إشارة، وأصلهما، (ذا) لأنه حرف للإشارة قال تعالى ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً﴾[٢]، ومعنى «ها» تنبيه فإذا قرب الشيء أشير إليه، فقيل: هذا، أي تنبه أيها المخاطب لما أشرت إليه، فإنه حاضر لك بحيث تراه، وقد تدخل «الكاف» على «ذا» للمخاطبة، واللام لتأكيد معنى الإشارة، فقيل: «ذلك» فكأن المتكلم بالغ في التنبيه لتأخر المشار إليه عنه، فهذا يدل على أن لفظة «ذلك» لا تفيد البعد في أصل الوضع اللغوي بل اختص في العرف بالإشارة إلى البعيد للقرينة التي ذكرناها وإذا ثبت هذا، فنقول - الرازي- إنا نحمله على مقتضى الوضع اللغوي، لا على مقتضى الوضع العرفي، وحينئذٍ لا يفيد البعد»[٣].

لأجل هذه المقاربة يقال كلّ واحدٍ من اللفظين يكون مقام الآخر قال

(١) ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٦٠، مباحث الدليل اللفظي ١: ٨٧-٩٤.

(٢) سورة البقرة : ٢٤٥.

(٣) التفسير الكبير ٢: ١٣.

تعالى: ﴿وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ﴾[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[(٢)].

«هذا مع أن هذا البحث ساقط بالنسبة إلى ما ينزل منه عزّ وجلّ إذ لا يتصور بعد وقرب بالنسبة إليه تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴾[(٣)]، ثمّ إن هذه الجملة المباركة «ذلك الكتاب» في مقام التعظيم والإجلال للقرآن الكريم عظمة لا نهاية فيها»[(٤)].

٢. أدوات الشرط لا تدل على عليّة المقدم للتالي:

لا يرى السيّد السبزواري ما يراه الأدباء ومن تبعهم من المفسرين، في أن أدوات الشرط مثل (إن، لو) تدل على عليّه المقدم للتالي ، إذ يقول قدس سره في تفسره قوله تعالى: ﴿وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾[(٥)]: «ثمّ إن المعروف بين الأدباء وتبعهم المفسرون، أن أدوات الشرط مثل(إن، لو) ونحوها تدل عليّة المقدم للتالي، أي: انتفاء التالي عند انتفاء المقدم، ورتبوا على ذلك ثبوت المفهوم للجمل الشرطية وهذا من مورد اشتباه العنوان الكلي ببعض المصاديق الخارجية فإن أدوات الشرط مطلقاً، وما يراد

(١) سورة ص: ٥٢-٥٣ .

(٢) سورة ق: ١٩.

(٣) سورة الحديد: ٤.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٦١.

(٥) سورة البقرة: ١٤٥ .

منها لا يستفاد منها إلا جعل متلوها مورد «الفرض والتقدير»، والترتيب بأي قسم من أقسامه وأما خصوص ترتب المعلول على العلة، فلابد من استفادته من التماس دليل آخر عقلاً أو نقلاً، فضلاً عن العلية التامة المنحصرة.

وفي المقام يدل العقل والنقل على أن متابعة الهوى بعد ظهور الحق وثبوته لهم فيكون أصل الترتب ظاهراً من سياق الجملة»[1].

وعلى هذا، لم يك كلام السيد الراحل قُدِّسَ سِرُّهُ وتقريره مجرد دعوى أو استحسان بل له ما يؤيده في كلام أئمة النحو واللغة، فهذا ابن هشام الأنصاري يقرر: إن إفادة «لو» امتناع الجواب لامتناع الشرط باطل بمواضع كثيرة، فيقول:

«إنها ـ أي لو ـ تفيد امتناع الشرط وامتناع الجواب جميعاً، وهذا القول جارٍ على ألسنة المعربين، ونص عليه جماعة من النحاة، وهو باطل بمواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلاً مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا﴾[2]. وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ﴾[3].

وبيانه: أنه كلّ شيء امتنع ثبت نقيضه، وعلى هذا يلزم القول في الآية الأولى ثبوت إيمانهم مع عدم نزول الملائكة وتكليم الموتى لهم وحشر

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢: ١١٥.

(٢) سورة الأنعام: ١١١.

(٣) سورة لقمان: ٢٧.

كلّ شيء عليهم، وفي الثانية: نفاد الكلمات مع عدم كون ما في الأرض من شجرة أقلام تكتب الكلمات وكون البحر الأعظم بمنزلة الدواة، وكون السبعة الأبحر مملوءة مداداً، وهي تمد ذلك البحر، وكلّ ذلك عكس المراد»[(١)].

«وبهذا يتبين لنا أنه لما فقدت المناسبة انتفت العلية، وعلى هذا تتخرج آية «لقمان» المتقدمة، لأن العقل يجزم بأن الكلمات إذا لم تنفد مع كثرة هذه الأمور، فلئن لا تنفد مع قلتها وعدم بعضها أولى، وكذا ﴿وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ﴾[(٢)]. لأن عدم الاستجابة مع عدم السماع أولى وأجدر»[(٣)].

٣. لا النافية للجنس محذوفة الخبر (التامة):

يرى السيّد السبزواري أن (لا النافية للجنس)، قد تأتي تامة، بمعنى أنها لا تحتاج إلى ذكر أو تقدير الخبر، وذلك في حديثه عند تفسير قوله تعالى: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[(٤)].

إذ قال قُدِّسَ سِرُّهُ:«يدل قوله تعالى: «لا إله إلا هو» على الإعتراف والإقرار بوجود الله تعالى، وتحققه فعلاً، ونفي الشريك له عزّ وجلّ، وهذا هو المقصود من دعوة الأنبياء.

لكن قد يقال: إن قدر خبر (لا النافية) لفظ ممكن أي: لا إله ممكن

(١) مغني اللبيب ١: ٣٣٩.

(٢) سورة فاطر: ١٤.

(٣) مغني اللبيب ١: ٣٣٩-٣٤٠.

(٤) سورة البقرة: ١٦٣.

إلا الله فهو (ممكن) ويثبت (الإمكان) بالنسبة إليه تعالى، وهو - الإمكان- أعم من الوجود الفعلي، إذ لا يلزم أن يكون كلّ ممكن موجود.

وإن قدر الخبر كلمة (موجود)، أي: لا إله موجود إلا الله، فهو موجود، فهو وإن دلّ على فعلية الوجود له تعالى، لكن لا يدل على امتناع الشريك عنه عزّ وجلّ، إذ ليس كلّ معدودٍ ممتنعاً.

والجواب: أن كلمة (لا) تامة، لا تحتاج إلى الخبر، كما في كان التامة، فيكون المعنى أنه: لا تحقق للمعبود بالذات إلا الله تعالى فيثبت وجوده وامتناع غيره»[1].

بعد أن يقرر السيّد السبزواري معنى (لا النافية) وعملها في الآية الكريمة، [إنها تامة ولا تحتاج إلى تقدير الخبر، وهو تقرير جاوز الحدود النحوية المتوارثة، إذ نني بإطلاقي القليل.

وقراءتي اليسيرة لم أعثر في كلمات النحويين على من يصف (لا النافية للجنس) بأنها (تامة) لا تحتاج إلى تقدير الخبر إن حذف[2]، وحتّى من يقر بحذفه مطلقاً أو بقرينة كما هو الحال عند التميميين والطائيين، إذ يقول ابن عقيل في شرحه بيت ابن مالك:

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢: ٢٣٠.

(٢) انظر مثلاً: الكتاب ١: ٣٤٥-٣٥٨، حاشية الصبان على شرح الاشموني ٢: ٦، النواسخ في كتاب سيبويه: ١٣، وغيرها.

وشاع في ذا الباب إسقاط الخبر   إذا المراد مع سقوطه ظهر[(١)]

«إذا دل دليل على خبر «لا» النافية للجنس وجب حذفه عند التميميين والطائيين، وكثر حذفه عند الحجازيين، فإن لم يدل على الخبر دليل لم يجز حذفه عند الجميع»[(٢)].

لا يرى السيد بأسا في أنه يمكن تقدير الخبر لفظ (ممكن) ولا يلزم المحذور لما أثبته الفلاسفة من أن كل ما هو ممكن بالنسبة إليه عزّ وجلّ، وليس فيه نقص فهو واجب بالنسبة إليه تعالى.

كما يصح تقدير الخبر لفظ (موجود) أيضاً، ويكون نفي الوجود عن المستحق للعبادة ذاتاً مساوقاً لامتناعه، لأنه لو كان ممكناً لتحقق[(٣)].

وبهذا الفهم القريني يتضح لنا أن السيد ﵀ على الرغم من تقريره بكونها تامة لا تحتاج إلى الخبر لا يرى بأساً في تقديرات النحويين، باعتماد قرينة مهمة وهي قرينة (الحال)، ذلك أنه: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا»[(٤)].

٤ . في لفظ (آخر):

لقد حاول السيّد السبزواري الجمع بين آراء العلماء في شأن لفظ

---

(١) شرح ابن عقيل ١: ٤١٢.

(٢) المصدر السابق ١: ٤١٣.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢: ٢٣٠.

(٤) سورة الأنبياء: ٢٢.

(الآخر)، في أنه هل يشترط فيه الإتحاد في الجنس أم لا.

فقال قُدِّسَ سِرُّه في تفسير قوله ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ﴾(١): «وقع الكلام في لفظ آخر، في أنه هل يشترط فيه الإتحاد في الجنس أم لا يشترط ذلك؟

فذهب جمع من العلماء إلى الاشتراط، وقالوا: لفظ «الآخر» و«أخرى» وجمعهما لا يوصف به إلا ما يجانس المذكور قبله، وبذلك يشبه (سائر)، (بقية)، قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾(٢).

فوصف عزّ وجلّ مناة بالأخرى لما جانست العزى واللات وقال تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾(٣).

فإنه وصف الأيام (بالأخر)، لكونها من جنس الشهر، ولذلك خطأوا قولهم (اتبعت عبداً وجارية أخرى)، لأن الجارية ليست من جنس العبد، لأنه مذكر وهي مؤنث.

وتطرف آخرون، إذ ذكروا أن (آخر) إنما يقابل ما كان من جنسه تثنية وجمعاً وإفراداً، ولكنه مردود، بورود خلاف ذلك في كلام العرب، قال أبو دحية النميري:

---

(١) سورة النساء: ١٣٣.

(٢) سورة النجم : ١٨-١٩.

(٣) سورة البقرة : ١٨٥.

وكنت أمشي على ثنتين معتللاً   فصرت أمشي على أخرى من الشجر[(١)]

وكيف كان فقد ذهب جمع آخرون منهم - الرضي - إلى عدم الاشتراط وأحتجوا بأن الاشتراط لم يكن متفقاً عليه وإنه يكفي الاشتراك بين المتقدم والمتأخر في عنوان واحد.

ولذلك صح أن يقال: جاءني علي وآخر، على تقدير: (ورجل آخر) ونحو ذلك، بلا فرق بين التثنية والجمع والإفراد. لذا فهو لا يشترط الاتفاق في التذكير أو التأنيث، فيجوز: جاءني جاريتك وإنسان آخر، قال عنترة:

والخيل تقتحم الغبار عوابساً   من بين منظمة وآخر ينظم[(٢)]

والحق أن يقال: إن (آخر) إنما يؤتى به في مورد يتوهم اتحاد ما قبله لما بعده، فتظهر به المغايرة وحينئذ لا تختص الإتحاد في الجنس، بل يصح في غيره، ولو على ضرب من التأويل، وبذلك يمكن الجمع بين الكلمات، فمن قال بالاختصاص. أي: في ما لم يمكن التأويل، ورفضه الذوق الأدبي ومن قال بعدمه ـ أي: في مورد يصح فيه التأويل»[(٣)].

ثانياً: رأيه في الإعراب:

يميل السيّد السبزواري إلى استنطاق الألفاظ القرآنية، ويأخذ على النحاة

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٩: ٣٥٩.

(٢) ينظر: شرح الأشعار الستة الجاهلية، ديوان عنترة بن شداد ٢ / ق٢: ٥٤.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٩: ٣٥٩.

تعليلاتهم المتعسفة، لذا نراه ينبذ الخلاف والاختلاف في تأويل إعراب لفظ ما أو توجيه حرف ما في القرآن الكريم؛ إذ يقول في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى﴾[١]: «وأمّا رفع «الصابئون» في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ﴾ فقد وقع الخلاف بين العلماء في إعرابه، وبعض النحاة يريد تطبيق الآية الشريفة على ما يذهب إليه وما هو الثابت عنده من القواعد النحوية ولم يعلم- أي بعض النحاة ـ بأن الإعراب إنما هي صناعة يستهدف منها ضبط الكلام وفصاحته، فلا نحتاج إلى تطبيقه ـ القرآن الكريم ـ على قواعد بل هي تطبق عليه»[٢].

ثمّ ينطلق السيد قدس سره من مخالفة اللاحق للسابق في الإعراب متخذاً من قرينة السياق عضداً لتوجيه تلك المخالفة في بيان معنى جمالي من سر التعبير الفني المقصود، رافضاً ذلك التطويل في الإعراب فيقول قدس سره : «إنّ رفع «الصابئون» فيه من الفصاحة ما لا يحتاج إلى تطبيقها على القواعد والنزاع فيها، بل نذكر إنّ تغيير إعراب جملة من بين سائر الجمل التي هي في سياق واحد، لأجل التنبيه على أمر وبيان غرض خاص فيها، أمر جار في كثير من أسباب المحاورة، إما بتغيير نسق الإعراب أو برفع الصوت في

(١) سورة المائدة: ٦٩.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٢: ٥٧٢.

الخطابة، أو بكبر الحروف في الكتابة، وغير ذلك من الأساليب لتنبيه السمع أو الخط، والمقام من هذا القبيل، فلا نحتاج إلى هذا التطويل في الإعراب في كلمة «الصابئون والنصارى»[(١)].

وتجدر الإشارة إلى أنّ السيد السبزواري اعتمد الرأي البصري في توجيه الرفع في كلمة «والصابئون»، إذ يقول[(٢)]: «أما «الصابئون» فقد عرفت أنّ الرفع فيه على الابتداء والخبر محذوف يدل عليه»[(٣)].

وقد اختلف النحاة في أن المحذوف خبر الثاني أو خبر الأول إذا كان في الكلام مبتدآن أو أكثر وخبر واحد. وقيل: إنه معطوف على موضع اسم «إنّ» فقد أجازه الكوفيون وإن منعه البصريين»[(٤)]

ثالثاً: ردّه على التكلف النحوي:

أنكر السيّد السبزواري أن في قوله تعالى: ﴿فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَيَانِ فَيُقْسِمَانِ بِاللَّهِ﴾[(٥)]. غموضاً أو إبهاماً! وصرَّح قُدِّسَ سِرُّهُ معارضاً التأويل النحوي المتكلّف، إذ يقول قُدِّسَ سِرُّهُ بعد أن يورد

(١) المصدر السابق١٢: ٥٧٢.

(٢) المصدر السابق ١٢: ٥٧٢.

(٣) ينظر إعراب القرآن وبيانه ٢: ٢٧٠، إملاء ما من به الرحمن ١: ٢٢١.

(٤) ينظر: الإنصاف: ١٨٦.

(٥) سورة المائدة: ١٠٧.

جملة من الأقوال في إعراب الآية: «وأما الإعراب فقد اختلف العلماء في إعراب الآية المباركة بما لم يختلفوا في غيرها، وقالوا: إنها في غاية الصعوبة إعراباً ونظماً وحكماً[1].

والحق: أنّ الآية ليس فيها غموض من ناحية الحكم فهي من المبينات، وأما الإعراب فللمفسرين والعلماء فيه مذاهب وآراء[2]، والآيات القرآنية نزلت وهي في غاية الفصاحة والبلاغة بشهادة العدو قبل الصديق، فما وافق منها الآيات فهو المقبول، وإلاّ يرد ولا يمكن أن يجعل تلك القواعد التي تواضعوا عليها سبباً لغموض الآية، فإنها لا تزيد إلا إبهاماً، وتجعل الباحث في حيرة واضطراب.

وكان الأجدر بهم تطبيق القواعد على الآيات، لا تأويلها لتتفق مع المذاهب والآراء التي لها أسباب معروفة ، فربما يكون اختلاف اللهجات وتعدد القراءات وغير ذلك مما يوجب احتمال التركيب لعدة وجوه من الإعراب»[3].

والسبزواري ﷺ بفهمه هذا واعتراضه على مثل هذه التأويلات والتعليلات النحوية، يوافق (الآلوسي) الذي أشهد الله تعالى أن حمل كلامه سبحانه على مثل تلك التأويلات النحوية لا يليق[4].

---

(١) ينظر إعراب القرآن وبيانه ٢: ٣١٠، معاني القرآن للفراء ١: ٣٢٤، إعراب النحاس ١: ٥٢٦.

(٢) ينظر: إملاء ما من به الرحمن ١: ٢٣٠، إعراب النحاس ١: ٥٢٦.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١٢: ٥٦٨.

(٤) ينظر: روح المعاني ٧: ٤٩.

المبحث الثالث

أدلته الصناعية (جانب النحو)

لابدّ من الإشارة ولو بصورة إجمالية إلى ما ركن إليه من الأدلة الصناعية في تقريره، أو تأييده القاعدة النحوية المستقاة من الآية الكريمة، أو في توجيه إعراب بعض المفردات، وغير ذلك من موارد الدليل والتدليل، فكان من أدلته الصناعية ما يأتي:

أولاً: السماع

اعتمد النحاة على السماع اعتماداً كبيراً، وطبيعة العمل التفسيري تحتم الخوض أو الولوج في خضم بحر النحو العربي، وبتخصيص ميدان الدراسة في هذا الفصل في الجهد النحوي للسبزواري قُدِّسَ سِرُّهُ فقد اتضح لنا جلياً حذوه حذو النحاة في اعتماده السماع، فجاءت أدلته معتمدة على ما سمع من كلام العرب - وإن كان على غير سبيل السعّة والتوسع- سواء أكان ذلك مما جاء في القرآن الكريم، أم ما جاء في الشعر والنثر.

١. الشواهد القرآنية

يعد القرآن الكريم كتاب العربية الخالد، ونظام اللغة الفصحى الذي

لا يشوبه شك ولا تعتريه شبهة، إستناداً إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[(١)]، ﴿لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾[(٢)]، والقرآن الكريم هو عماد الأدلة النقلية جميعها، وقد فزع النحاة جميعاً إلى الاعتماد عليه في الاستدلال على قواعدهم وأصولهم، ومنهم من توسع في الاعتماد عليه كابن هشام وابن مالك الذي قيل عنه: إنّه كان يعول على اللفظة الواحدة تأتي في القرآن ظاهرها جواز ما يمنعه النحاة فيعول عليها، ويخالف الأئمّة[(٣)].

على الرغم من اعتماد النحاة على القرآن الكريم في الاستشهاد وعند تقعيدهم القواعد النحوية؛ لأن (كلّ ما هو من القرآن يجب أن يكون متواتراً في أصله وأجزائه)[(٤)]، لم يتخذوه منهلاً رئيساً ومنبعاً هنيئاً، إذ إنهم قعّدوا قواعدهم ثمّ عرضوا القرآن عليها، إذ أثبتت الدراسة التي تناولت الشواهد القرآنية في كتاب سيبويه، أنّ صاحب الكتاب أعتمد القرآن في الاستدلال على قواعده وإنْ (بدا أنّه عرض القرآن على ما استنبط من قواعد

(١) سورة يوسف: ٢.

(٢) سورة فصلت: ٤٢.

(٣) ينظر: في أدلة النحو: ٢٧ .

(٤) الإتقان في علوم القرآن ١: ٧٧.

مأخوذة من القرآن وغير القرآن)[١].

وكان الأجدر بهم أن يجعلوا القرآن الكريم ركنهم الركين وحصنهم الحصين، ومنه يستقوا القواعد والأصول النحوية البلاغية، وما إلى ذلك من علوم اللغة ومفاتح كنوزها، إذ إنه بحر زاخر متلاطم العلوم والمعارف، لا ينضب ماؤه، ولا ينفد عطاؤه؛ لأنه من لدن حكيم خبير ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً﴾[٢].

من موارد إتكاء السيد السبزواري على الشواهد القرآنية قوله قُدِّسَ سِرُّه في تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ أنصَارِي إلى اللهِ﴾[٣].

« الظرف في قوله تعالى: ﴿مَنْ أنصَارِي إلى اللهِ﴾، متعلق بـ(أنصاري) بتضمين النصرة معنى السلوك والذهاب، كما في قوله تعالى - حكاية عن إبراهيم عليه السلام -: ﴿إنِّي ذَاهِبٌ إلى ربِّي سَيَهْدِينِ﴾[٤]. والتضمين من المحسنات البلاغية»[٥].

ومن ذلك أيضاً، ما أورده السبزواري وهو يتحدث عن إنابة حروف الجر بعضها عن بعض، إذ قال في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ

(١) في أدلة النحو: ٢٨.

(٢) سورة النساء: ٨٢

(٣) سورة آل عمران: ٥٢.

(٤) سورة الصافات: ٩٩.

(٥) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٥: ٣٣٥.

كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[١]:

« ثمّ إنه قد ذكر الخليل وتبعه الأدباء أن لفظ (على) يأتي بمعنى الاستعلاء، إما حقيقة أو اعتباراً، ولكن يستعمل في معان أُخر، منها: المصاحبة كقوله تعالى ﴿وَآتَى المَالَ على حُبِّهِ﴾[٢] ومنها معنى الباء، كقوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾[٣]، وظاهرهم جعل الكلمة من متعدد المعنى ولها نظائر كثيرة في كلماتهم ولكنه ممنوع؛ لأن هذه الكلمة إنما تستفاد من (على) بالقرائن وإلا فهو مستعمل في جميع ذلك في ذات الاستعلاء ولو إعتباراً »[٤].

٢. استشهاده بالحديث النبوي الشريف

كان الحديث جديراً بأن يقدم - بعد القرآن- سائر ما يمكن الاستدلال به، فنصوص الحديث قد ظفرت بتوثيق لم يتح مثله لرواية الشعر والنثر، وكان لها من حرمة؛ كونها المصدر الثاني للشريعة الإسلامية ما يعطيها المكان الثاني من الأصالة في الفصحى، لتأخذ موضعها من الأدلة[٥].

النحاة بصفة عامة كانوا مُقلّين في الاستشهاد بالحديث النبوي مع

---

(١) سورة البقرة: ١٨٤.

(٢) سورة البقرة: ١٧٧.

(٣) سورة الأعراف: ١٠٥.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٣: ١٣.

(٥) في أدلة النحو: ٨١

علمهم بأن النبي محمد أفصح العرب)[١] ، لأن (الواضعين الأولين لعلم النحو المستقرئين للأحكام من لسان العرب كـ(أبي عمرو وعيسى بن عمر والخليل وسيبويه من أئمة البصريين)، والكسائي وعلي بن مبارك الأحمر وهشام الضرير من أئمة الكوفيين لم يحتجوا بالحديث[٢].

ويقرر (يوهان فك) في كتابه العربية[٣]: إنّ أول من اعتمد على الأحاديث من حيث هي حجة في أمور اللغة هو النحوي ابن خروف الأندلسي[٤]، وتبعه في ذلك أشهر نحاة القرن السابع (ابن مالك)[٥].

ويبدو أن النحاة الذين منعوا اعتماد الحديث الشريف دليلاً نقلياً استندوا إلى أمرين:

أحدهما: جواز رواية الحديث الشريف بالمعنى.

وثانيهما: وقوع اللحن فيما روي من الحديث، لأن كثيراً من الرواة كانوا غير عرب بالطبع[٦].

وبسبب هذين الأمرين دخل احتمال تغيير الصيغة أو التركيب (لأنّ

(١) موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث: ٤٢.

(٢) الاقتراح في علم أصول النحو: ١٧، همع الهوامع على شرح جمع الجوامع ١: ١٠٥.

(٣) ينظر: العربية: ٢٢٦.

(٤) ينظر: خزانة الأدب ١: ٦.

(٥) في أدلة النحو: ٨٣

(٦) الاقتراح في علم أصول النحو: ٤٢.

النحو يعتمد على صحة النطق وضبط الرواية له باللفظ الذي نطق به الرسول ﷺ وهذا ما لم يتأكد منه)[١].

لذا وجدنا السيد السبزواري يتابع النحاة في قلّة الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف، إذ لم يستشهد السيد قدس سره بالحديث الشريف إلا في موضع واحد ليس غير، في بيان معاني (لو)[٢] عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٣].

إذ يقول قدس سره: وعن جمع من الأدباء، وتبعهم بعض المفسرين أن كلمة (لو) تستعمل في معاني منها، التقليل كقول نبينا الأعظم ﷺ:«اتقوا النار ولو بشق تمرة»[٤].

٣. استشهاده بكلام العرب

لم يحاول النحاة القدماء الفصل بين الشعر والنثر في تقعيدهم القواعد، وفي استدلالهم على صحتها، بل أنهم في كثير من الأحيان كانوا يبنون قواعدهم على الشعر وحده[٥].

(١) موقف النحاة من الاحتجاج بالحديث: ٣٩.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٣٣٧.

(٣) سورة البقرة: ٩٦.

(٤) ينظر: مفاتيح الجنان: ١٧٢.

(٥) في أدلة النحو: ١٠١.

أ ـ الدليل الشعري

من فضل النظم أن الشواهد لا توجد إلا فيه، والحجج لا تؤخذ إلا منه، أعني أن العلماء والحكماء والفقهاء والنحويين واللغويين يقولون: قال الشاعر، وهذا كثير في الشعر، الشعر قد أتى به فعلى هذا، الشاعر هو صاحب الحجة، والشعر هو الحجة[١].

مع أنّ الاقتصار على الشعر وحده خطوة متعثرة في إثبات أسلوب عربي، فللشعر لغته الخاصة به اقتضاها الأسلوب الذي يخضع لأحكام الوزن والقافية خضوعاً تاماً وواضحاً، فليس كلّ ما يجوز في الشعر يجوز في النثر.

ولا نعني أن للشعر نظاما يختلف كلّ الاختلاف عن نظام النثر، أو تأليفاً خاصاً لا يمت إلى تأليف النثر بسبب، ولكننا نعني أن للشاعر في التحلل من كثير من القيود حرية حرم منها الناثر[٢].

من هذا المنطلق (نستطيع القول: إنّ عمود أدلة النقل هو الشعر، فقد تفوق على الصور المختلفة للنقل – على اختلاف في تقدير مدى هذا التفوق – فهو يساق منفرداً، أو مع غيره من الأدلة مسبوقاً بها أو سابقاً لها)[٣].

لم تك شواهد السيد السبزواري الشعرية تمثل جانباً كبيراً من الجهد النحوي الخاص به ذلك أنها معدودة ومحدودة لا تكاد تجاوز القلة، من

(١) الإمتاع والمؤانسة ٢: ١٣٦.

(٢) مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو: ٣٢٨.

(٣) في أدلة النحو: ١٠٩.

ذلك استشهاده بقول الحطيئة:

وشرّ المنايا ميت وسط أهله كهلك الفتى قد أسلم الحي حاضره

وليرد به أقوال بعض المفسرين وآراءهم من التقدير وحذف المضاف وإن كان صحيحاً بحسب القواعد النحوية، ولكنه لا يفيد ما يراه قُدِّسَ سِرُّه من براعة الأسلوب وحسن تأديته.

وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ﴾[1].

وكذلك من شواهده الشعرية ما استشهد به قُدِّسَ سِرُّه لجواز الاعتراض بالمدح والذم بين النعوت، الصفات إذا طالت، وذلك في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ﴾[2].

ويمكن أن يكون الرفع والنصب كلاهما على المدح أي: وهم الموفون وأعني الصابرين؛ لأن النعوت والصفات إذا طالت جاز الاعتراض بينهما بالمدح أو الذم قال الشاعر:

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم

وذا الرأي حين تغم الأمور بذات الصليل وذات اللجم

فنصب ليث الكتيبة وذا الرأي على المدح.

---

(١) سورة البقرة: ١٧٧. ينظر: مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٢: ٣٣٩.

(٢) سورة البقرة: ١٧٧.

والأحسن هو الاختلاف في الإعراب في المقام ليكون النصب في «الصابرين» إشارة إلى أن في المقام سراً مكنوناً، وهو بيان مقام الصبر وأهميته.

ب . الدليل النثري

القسم الثاني مما يستدل به من كلام العرب -غير الشعر- هو النثر، ويكون مثلاً أو ما يشبه المثل نحو: أعق من ضب ـ الصيف ضيعت اللبن، أو كلاماً عادياً نحو: خير عافاك الله، قضية ولا أبا حسن لها.

«ومن هذا الدليل النثري ما يمثل قاعدة مطردّة الاستعمال، ومنه ما نقف عند حد السماع فيه، كما أن بعضه مثل لغة من اللغات، ويبين بعض منه حقيقة بعض الكلمات»[(١)].

فمن الأول: السمن منوان بدرهم، يستدل بها على جواز الإبتداء بالنكرة إذا كانت موصوفة ولو بوصف مقدر.

ومن الثاني: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه، يستدل به على حذف (أن) الناصبة للفعل المضارع.

وكذلك- عسى الغوير أبؤساً، يستدل به على مجيء خبر عسى مفرداً، وقيل فيه حذف الخبر، أي يكون أبؤساً.

ومن الثالث: ليس الطيب إلا المسك، إهمال ليس - حملاً على ما- لإنتقاض النفي بـ«إلا» وهي لغة بني تميم.

(١) في أدلة النحو: ١٤٩-١٥٣.

ومن الرابع: الصبر عند الصدمة الأولى، يستدل به على استعمال (عند) للزمان.

أورد السيد السبزواري بعض الشواهد النثرية، للاستدلال بها في توجيه مطلب نحوي، أو لتعزيز وجهة نظر يتبناها هو قُدِّسَ سِرُّهُ.

لذا نراه يورد شاهداً نثرياً في تفصيل القول في معاني (لو) مثلاً فيقول قُدِّسَ سِرُّهُ: «إنّ «لو تأتي بمعنى العرض كقولهم: لو تنزل عندنا فتصيب خيراً»[1].

وكذلك نراه يستشهد بشاهد نثري للاستدلال به في توجيه مجانسة الوصف في لفظ «الآخر»، إذ يقول قُدِّسَ سِرُّهُ في ذلك: « ولذلك خطّأوا قولهم: اتبعت عبداً وجاريةً أخرى؛ لأنَّ الجارية ليست من جنس العبد، لأنه مذكر وهي مؤنث»[2].

وأيضاً مما أورده السيد السبزواري من الشواهد النثرية، قوله قُدِّسَ سِرُّهُ في الاستدلال على التميز، إذ قال رَحِمَهُ اللهُ: «فَتيلاً[3]، وقيل: منصوب على التمييز، كقولك: تصبب عرقاً»[4].

ومن موارد استشهاده بالشواهد النثرية، قوله قُدِّسَ سِرُّهُ لنفي مجيء (إلى) بمعنى (مع) على نحو الكلية في ذلك، إذ يقول: «وقيل: إنّ «إلى» بمعنى

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١ : ٣٧٣.

(٢) المصدر السابق٩: ٣٥٩.

(٣) سورة النساء: ٥٩.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٨ :٢٩١.

«مع» ولكن لا كلية في ذلك، إنما تأتي «إلى» بمعنى «مع» في موارد معدودة، فلا يقال: جاء زيد إليه مال»[١].

ثانياً: القياس

وهو في اللغة: التقدير، وفي الاصطلاح، تقدير الفرع بحكم الأصل، وقيل: هو اعتبار الشيء بالشيء بجامع. ولابدّ لكل قياس أربعة أشياء: أصل، وفرع، وعلة، وحكم[٢].

بدأ القياس ونشأ مع النحو، واقترن ذكر القياس في نشأته الأولى ونموه بذكر من ينسب إليهم آراء في النحو، كما يُعبّر عن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي أنّه (أول من بعج النحو ومد القياس وشرح العلل)[٣].

وكذلك الخليل بن أحمد الفراهيدي، وصفه ابن جني في الخصائص بأنه (كاشف قناع القياس في علمه)[٤] فالنحو كله قياس، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو.

ولا يعلم أحد من العلماء أنكره؛ لثبوته بالدلائل القاطعة والبراهين الساطعة)[٥].

فاللغوي مثلاً شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه، وأما

---

(١) المصدر السابق٥: ٣٣٥.

(٢) في أدلة النحو: ١٧١.

(٣) طبقات الشعراء: ٦.

(٤) الخصائص ١: ٣٦١.

(٥) لمع الأدلة:٤٤.

النحوي فشأنه أن فيما نقله اللغوي، ويقيس عليه)[١].

وأورد صاحب ـ لمع الأدلة ـ أنّ القياس ينقسم إلى ثلاثة أقسام[٢]:

١- قياس العلة

٢- قياس الشبه

٣- قياس الطرد

القياس عند السيد السبزواري كغيره من الأدلة الصناعية لم نعهد له كثرة استعمال في البحث النحوي - على جهة التخصيص - ولكنه لجأ إليه على كلّ حال في مواضع منها:

تدليله قدس سره على استعمال لفظ الخطاب (إياك) في مقام الحصر في الآية الكريمة من سورة الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٣]، إذ يقول قدس سره[٤]، (لفظ الخطاب هنا استعمل في مقام الحصر، وقد أطلق عليه تعالى في القرآن بضمير الغيبة، وضمير المتكلم مع إفادتهما الحصر أيضاً).

قال تعالى: ﴿أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَرْضِي

---

(١) المزهر في علوم اللغة وأنواعها ١: ٥٩.

(٢) لمع الأدلة: ٥٢

(٣) سورة الفاتحة: ٥.

(٤) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٣٣.

(٥) سورة يوسف: ٤٠.

وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾[١]. ومن ذلك أيضاً، قياسه إفراد (التي) في قوله تعالى: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾[٢].

إذ يقول قُدِّسَ سِرُّهُ[٣]: «وإفراد (التي) في الآية، لأن الأموال جمع لا يعقل، ويجزي فيه لفظ الواحد كقوله تعالى: ﴿فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي﴾[٤].

وبخلاف ما لو كان لما يعقل، كقوله تعالى: ﴿وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي﴾[٥].

ثالثاً التعليل:

علل النحاة صنفان:

* علّة تطرد على كلام العرب وتساق إلى قانون لغتهم.

* وعلة تظهر حكمتهم وتكشف عن اعتراضهم ومقاصدهم في موضوعاتهم.

وهم للأولى أكثر استعمالاً وأشد تداولاً، وهي واسعة الشعب، إلا أن مدار المشهور منها على أربعة وعشرين نوعاً، وهي: (علّة سماع، وعلّة تشبيه، وعلّة استغناء، وعلّة استثقال، وعلّة فرق، وعلّة توكيد، وعلّة تعويض، وعلّة نظير، وعلّة نقيض، وعلّة حمل على المعنى، وعلّة مشاكلة، وعلّة

(١) سورة العنكبوت: ٥٦.

(٢) سورة النسا: ٥.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٧: ٢٣٩.

(٤) سورة هود: ١٠١.

(٥) سورة النساء: ٢٣.

معادلة، وعلّة قرب ومجاورة، وعلّة وجوب، وعلّة جواز، وعلّة تغليب، وعلّة اختصار، وعلّة تخفيف، وعلّة دلالة حال، وعلّة أصل، وعلّة تحليل، وعلّة إشعار، وعلّة تضاد، وعلة أولى)[١].

وقد بين ابن السراج ذلك في أصوله، فقال: «إعتلالات النحويين ضربان: ضرب منها هو المؤدي إلى كلام العرب، كقولنا: كلّ فاعل مرفوع، وكلّ مفعول منصوب، وضرب يسمى علّة العلّة مثل أن يقولوا: لم صار الفاعل مرفوعاً والمفعول منصوباً؟ وهذا ليس يكسبنا أن نتكلم كما تكلمت العرب، وإنما يستخرج منه حكمتها في الأصول التي وضعتها، ويبين به فضل هذه اللغة على غيرها»[٢].

برز مبدأ التعليل واضحاً في (المواهب)، سواء أكان على مستوى البحث الأدبي، أو الدلالي أو غير ذلك من المباحث المتعددة.

ومن أبرز تعليلاته في المبحث النحوي ما يأتي: يعلل السيد السبزواري أفعال العبادة والاستعانة بصيغة الجمع في فاتحة الكتاب.

ثمّ يخلص إلى التفاتة اجتماعية لطيفة إذ يقول: «وإنما ذكر (نعبد، نستعين)، بلفظ الجمع

---

(١) الاقتراح في علم أصول النحو: ٨٣

(٢) الاقتراح في علم أصول النحو: ٨٥، الأصول في النحو ١: ٣٥.

إما باعتبار القارئ ومن معه من الملائكة الحَفَظة، أو باعتبار من معه في الإعتقاد، رجاء أن يكون فيهم من يقبل عمله فيتقبل منه أيضاً، ولأجل تصغير ما يصدر عنه من العمل، فإذا التفت إلى أنّ الكل يعبدونه ويستعينون به عزّ وجلّ، فلا يغتر به ولا يحسب لنفسه وزناً.

والأولى أن يقال: إنّ لفظ الجمع فيها للتحريض إلى حفظ وحدة المجتمع الذين يعبدونه تعالى ويستعينون به فكما أنهم مجتمعون في وحدة المعبود والعبادة والمستعان به، لابد من أن يكونوا كذلك في جميع شؤونهم»[١].

ومن ذلك أيضاً تعليله في وصف المعرفة بالنكرة، إذ يقول قُدِّسَ سِرُّهُ: «(غير) في قوله تعالى ﴿غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ﴾[٢]، بالرفع صفة لقوله تعالى (القاعدون) وهي وإن لم تكن معرفة، ولابد من التطابق بين الصفة والموصوف، لكنه غير مقصود في المقام، لأن المراد من القاعدين جنسهم ويصح وصف الجنس بها»[٣].

ومنه أيضاً، قوله قُدِّسَ سِرُّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِه مَنْ يَشَاءُ﴾[٤].

---

(١) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ١: ٣٣.

(٢) سورة النساء، ٩٥.

(٣) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٩: ١٨٠.

(٤) سورة آل عمران: ١٧٩.

(من): لتبين الصفة لا التبعيض، لأن الأنبياء كلهم مجتبون، كما في قوله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا﴾[1]، واستعبد قدس سره حمل (من) على التبعيض، معتلاً بدلالة السياق[2].

وملاحظة التفريع في قوله تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ﴾[3].

---

(١) سورة فاطر: ٢.

(٢) مواهب الرحمن في تفسير القرآن ٧: ٩٥.

(٣) سورة آل عمران: ١٧٩.

الخاتمة

أهم نتائج البحث

لقد بحثنا في هذا الكتاب المتواضع، قضية هامة، نطمح أن يكون لها أثر واضح في إثراء المكتبة القرآنية، وهي تسليط الضوء على المنهج التفسيري لدى السيد عبد الأعلى السبزواري في تفسيره« مواهب الرحمن في تفسير القرآن»، بعد جهد استغرق عدّة شهور في ظلال الفيض الإلهي لكتاب مواهب الرحمن.

ولابد من تشخيص ثمرات هذه الرحلة الدراسية التي مع ما بها من الجهد والاجتهاد في طلب الوصول إلى مستوى التكليف والطاقة إلا أنها تبقى قاصرة ومقصرة في ذلك، ولكن لم تخل من ثمرات يانعة بات بالإمكان قطفها، لهذا يمكن إجمال بعض تلك الثمرات التي وفقني الله (جلّ ذكره) لقطفها من تلك المواهب الرحمانية وهي كما يلي:

١- يعتبر تفسير «مواهب الرحمن» موسوعة تفسيريّة كبرى ودراسة موضوعية شاملة لكتاب الله العزيز، عرض فيه جميع ما يتعلق بالقرآن الكريم من بحوث دلالية وفلسفية وروائية وفقهية وأخلاقية وأدبية وعرفانية وغير ذلك الشيء كثير.

كلّ ذلك بأسلوب رائع رصين خالٍ عن الغموض والتعقيد وقد دلل على تضلعه وبراعته من علوم كثيرة، وأنه لم يكن متمرساً في الفقه والأصول فحسب، بل طرح أروع البحوث الفلسفية وأدق الالتفاتات الروائية والمنازلات الفقهية والإشكالات التفسيرية مضمناً البحوث الأخلاقية والسلوكية والعرفانية، كل ذلك بأسلوب أدبي رفيع أبرز فيه الصورة الأدبية للقرآن الكريم ورفعة الأسلوب البلاغي بحيث تجلت البلاغة القرآنية بأجلى صورها الدقيقة.

٢- ويعدُّ السيد السبزواري من الّذين أدخلوا تغييراً كبيراً في علم التفسير من خلال هذا الكتاب بإدخال مباحث جديدة لم يكن معمول به لدى المفسرين بهذه السعة وهو البحث الدلالي الذي يبتني في استخراج دلالة الألفاظ المتعددة والرموز الخاصة بها. وشاء القدر ان يكون البحث الدلالي من المواضيع المهمة التي يبحث عنها علم اللغة عند الغربيين، وقد عقدوا له بحثاً مستقلاً في كتبهم ووضعوا فيه دراسات واهتموا به اهتماماً كبيراً.

٣- يمكن شطر تفسير المواهب بصورة عامة إلى قسمين:

الأول: هو التناول الرئيس للنص،وادرج ضمن عنوان (التفسير) ويتضمن بيان المضمون والمفردات وعرض البحث الدلالي.

أما القسم الآخر: فيتضمن حقولاً ثانوية، وهي عرض البحوث العلمية المختلفة التي ترتبط بالآية كـ(الروائي، الأدبي، الفقهي، الفلسفي).

٤- ما ذكره في تفسير الآيات القرآنية التي تشتمل على أكثر من دلالة واحدة غير الدلالة الوضعية التي كان القدماء يعتمدون عليها ويهتمون بها غاية الاهتمام.

٥- تفرد أيضاً في استخراج المعنى الأصلي من المعاني المتعددة التي يذكرونها للفظ واحد ويرجع بقية المعاني إلى ذلك المعنى الأصلي واعتبرها من الدواعي لا من الخلاصة وأصل الوضع.

٦- لم يتعرض لبيان النظم بين الآيات، وذلك لأن الجامع القريب في جميعها موجود، وهو تكميل النفس أو الهداية، وكذلك لم يهتم بذكر شأن النزول غالباً لأن الآيات المباركة كليات تنطبق على مصاديقها في جميع الأزمنة.

٧- وأمّا بالنسبة إلى منهجه في التفسير،فأوّل ما يلفت القارئ اعتماد المفسر بشكل أساس على القرآن نفسه في استنطاق آيه والوقوف على معانيها. هذا بالإضافة إلى الاعتماد على ظواهر الآيات القرآنية في التفسير.

٨- اعتماده القرائن لفهم النص القرآني الشريف، وعدم توقفه على المعنى النحوي أو غيره، فنراه مثلاً يتخذ من السياق مندوحة لفهم النص وإبراز دلالاته المتنوعة،فكان للسياق أثر واضح في مواهب الرحمن باعتباره أحد القرائن الحالية على فهم الكلام فقد اعتمده المفسر أساساً في الكشف عن معاني الآيات،وفي رد جملة من آراء المفسرين أو ارتضائها،كما استخدمه دليلاً في قبول ورفض البعض الآخر.

٩- استعان بالسنة في تأييد ودعم النتائج القرآنية التي يقف عليها من خلال البيانات التي يخصصها المفسر لبيان معاني الآيات في ضوء اللغة والإعراب والسياق وقوة الظهور.

١٠- تعرض لمناقشة آراء المفسرين والترجيح بينها على أُسس: كالسياق، والنصوص القرآنية، وما تؤديه هذه الآيات في تفسير بعضها للبعض الآخر، والأُسس الاعتقادية.

١١- تصدى لدعاوى النسخ المتكاثرة التي نشأت من التساهل في إطلاق النسخ على التقييد والتخصيص والاستثناء والتبيين وغيرها،

١٢- توجيه الحركة الإعرابية، أو المعنى النحوي حسبما يستقيه من وحي الآية المباركة ودلالتها، إذ يجعل الآية الكريمة محطته الأولى ومنها ينطلق ليصل إلى توافق يراه معقولاً وموافقاً للقواعد والأصول النحوية، إذ لا نراه يتكلف ما لا طاقة له به من التأويل والتعليل ليطابق به آراء النحويين إذا ما خالفت مقتضى الفهم القرآني، لأنها على غير ما قرروه وأصلوه من القواعد.

١٣- قد يلوح إلى بعض التصويبات اللغوية أو التعليلات الاستعمالية في أصل اللغة.

١٤- يرى أن الإعراب صناعة يستهدف منها ضبط الكلام، ويأخذ على النحاة تعليلاتهم وتأويلاتهم المتعسفة، لأنّ بعض النحاة يريد تطبيق

الآية الشريفة على ما يذهب إليه، وما هو الثابت عنده من القواعد النحوية ولم يعلم - بعض النحاة- بأن الإعراب صناعة يستهدف منها ضبط الكلام وفصاحته، فلا يحتاج إلى تطبيقه - القرآن الكريم- على قواعد، بل هي تطبق عليه.

١٥- ويعتقد أن الفكر العرفاني من العلوم المهمة للوصول إلى الحقائق المعرفية، لكنه لا يبوح بتلك المعالم العرفانية، سوى الإشارة إليها، والتأسف على تضييع هذا العلم الجليل وتجاهله بين الناس.

وفي الختام نرى أنّ المستوى العلمي الرفيع في تفسير القرآن الذي اتّصف به السيد السبزواري قدس سره باعتباره فقيهاً عارفاً بالمنهج الإسلامي بجميع مفاهيمه وتصوراته وقيمه وموازينه، يستدعي مزيداً من الاهتمام بهذا التفسير الشامل والمتكامل والواضح بألفاظه ومصطلحاته التي تحتم على القارئ متابعتها دون كَلل أو ملل لأُسلوبه الشيِّق الجذّاب، وطريقته في الاختصار وإفهام القارئ دون إسهاب في التفاصيل غير الضرورية.

ونأمل من أصحاب الاختصاص أن يعمّقوا النظر في هذا التفسير المبارك، ويوغلوا في أغواره ليقدّموا للمكتبة الإسلامية ثقافة قرآنية واعية.

فهرست المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أبو حيان الأندلسي، محمّد بن يوسف، البحر المحيط، دار الفكر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت،١٩٧٨م.

٢. أبو سعيدة ، حسين علي، المشجر الوافي في السلسلة الموسوية ،١٩٩٢م، دون مكان نشر.

٣. الأزهري، محمّد ابن أحمد، معاني القراءات، حققه وعلق عليه: الشيخ أحمد مزيدي المزيدي، منشورات محمّد علي، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٤. الأسترابادي، رضي الدين، شرح كافية ابن الحاجب، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر، منشورات مؤسسة الصادق، طهران، ناصر خسرو، ١٣٩٨هـ

٥. الأصفهاني، محمد علي الرضائي، دروس في المناهج والاتجاهات التفسيرية للقرآن، تعريب قاسم البيضاني، المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم المقدسة، دون تاريخ نشر.

٦. الآلوسي، شهاب الدين السيد محمود، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، قامت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، دون تاريخ نشر.

٧. الآملي، سيد حيدر، تفسير المحيط الأعظم والبحر الخضم في تأويل كتاب الله العزيز المحكم، تحقيق وتعليق، محسن الموسوي التبريزي، العناية والنشر: المعهد الثقافي نور على نور، الطبعة الثالثة، قم المقدسة، ١٤٢٢ هـ ق.

٨. الأميني، محمّد هادي، معجم رجال الفكر والأدب في النجف الأشرف خلال ألف عام، مطبعة الأداب ، النجف الأشرف ، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.

٩. الأنصاري، محمّد حسين، جذوة مقتبسة من حياة المرجع السيد عبد الأعلى الموسوي السبزواري، دون مكان أو تاريخ نشر.

١٠. الأوسي، علي، الطباطبائي ومنهجه في تفسيره الميزان، منظمة الإعلام الإسلامي، طهران، ١٣٩٠هـ ش.

١١. أيازي، محمد علي، المفسرون حياتهم ومنهجهم، مؤسسة الطباعة والنشر وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، الطبعة الأولى، طهران، ١٤١٤ هـ ق.

١٢. ابن أبي الحديد المعتزلي، عزّ الدين بن هبة الله، شرح نهج البلاغة، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء التراث، الطبعة الثانية، بيروت، ١٣٨٧هـ ق.

١٣. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، مقدمة في أصول التفسير، تحقيق : عدنان زرزور، بيروت،الطبعة الثانية ،١٣٩٢هـق .

١٤. ابن جني، أبو الفتح بن عثمان، الخصائص، تحقيق: محمّد علي النجار القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٢م.

١٥. ابن الحاجب، الأمالي النحوية، تحقيق هادي حسن حمودي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية، بيروت ـ لبنان، دون تاريخ نشر.

١٦. ابن حنبل، أحمد بن محمد، مسند بن حنبل، مصر، المطبعة الميمنية،١٣١٣هـق .

١٧. ابن السراج، أبي بكر محمد، الأُصول في النحو، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٧٨م.

١٨. ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن، شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، انتشارات سيد الشهداء، قم المقدسة، مطبعة أمير، الطبعة الثانية، ١٤١١هـق.

١٩. ابن عنبة، جمال الدين أحمد بن علي المعروف بابن عنبه، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، مؤسسة أنصاريان، قم المقدسة ، الطبعة الثانية، ٢٠٠٤م.

٢٠. ابن فارس، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، الصاحبي في فقه اللغة، حققه الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر،بيروت،١٣٨٢هـق.

٢١. ابن كثير،إسماعيل بن عمر ،تفسير القرآن العظيم، القاهرة، مطبعة الاستقامة،الطبعة الثالثة، ١٣٧٣هـق.

٢٢. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرّم، لسان العرب، الطبعة الأولى لدار إحياء التراث العربي، بيروت،١٤١٦هـق .

٢٣. ابن هشام، جمال الدين عبد الله بن يوسف الأنصاري، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـق.

٢٤. البطليوسي، أبو بكر عاصم بن أيوب، شرح الأشعار الستة الجاهلية، ديوان عنترة بن شداد، تحقيق، ناصيف سليمان عواد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠م.

٢٥. البغدادي، عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب، المطبعة الأميرية ببولاق الطبعة الأولى، دون تاريخ نشر.

٢٦. البهائي، محمد بن الحسين الحارثي، مفتاح الفلاح، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـق.

٢٧. جمال مصطفى عبد الحميد، الموسوعة القرآنية المتخصصة، التفسير والمفسرون، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٢٨. الجمحي، محمد ابن سلام، طبقات الشعراء، إعداد اللجنة الجامعية لنشر التراث العربي دار النهضة، دون تاريخ نشر.

٢٩. جوادي آملي، عبد الله، تفسير تسنيم، قم المقدسة، مركز نشر أسراء، ١٣٨٠هـش.

٣٠. الجويني، عبد الملك، لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة،تحقيق فوقية حسين محمود،الدار المصرية للتأليف والترجمة،الطبعة الأولى، الدار القومية- مصر ١٩٦٥م.

٣١. الحديثي، الدكتورة خديجة، موقف النحاة من الإحتجاج بالحديث الشريف، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ١٩٨١م.

٣٢. الحر العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة، تحقيق مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، مطبعة مهر،قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـق.

٣٣. الحسني، عبد الستار، الطاف الباري،مطبعة كوثر، النجف الأشرف،الطبعة الأولى،١٤٢٥هـق .

٣٤. حسين نجيب محمّد، جمال السالكين، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٢م.

٣٥. الحكيم، محمد باقر، علوم القرآن، مجمع الفكر الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـق.

٣٦. الحيدري، السيد كمال، مقدمة في علم الأخلاق، دار فراقد للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، قم المقدسة، ١٤٢٦ هـق.

٣٧. الخباز، ضياء السيد عدنان القطيفي، صفحات مشرقة من حياة السيد السبزواري، مؤسسة المنار، مطبعة ياران، ١٩٩٦م.

٣٨. الخضري بك، محمد، أصول الفقه، مصر، مطبعة السعادة،الطبعة الخامسة،١٣٨٥هـق.

٣٩. خليل ياسين، أضواء على متشابهات القرآن، بيروت، لبنان، ١٩٦٩م.

٤٠. الخوئي ، الإمام أبو القاسم الخوئي، البيان في تفسير القرآن، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٣٩٤هـق.

٤١. الدار قطني، علي بن عمر، سنن الدار قطني، ، مع التعليق المغني، لمحمد شمس الحق عظيم آبادي، صححه ونسقه عبد الله هاشم اليماني، طبعة المدينة المنورة، ١٩٦٦م.

٤٢. دروزة، محمد عزة، القرآن المجيد، بيروت، بدون تاريخ نشر.

٤٣. الدرويشي، محيي الدين، إعراب القرآن الكريم وبيانه، مطبعة سليمان زاده، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م.

٤٤. الدمياطي، احمد بن محمّد، إتحاف فضلاء البشر، صححه وعلق عليه علي محمّد الضباع، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، بدون تاريخ نشر.

٤٥. الذهبي، محمّد حسين، التفسير والمفسرون، القاهرة، مكتبة وهبة، الطبعة الثانية، ١٩٧٦م.

٤٦. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، المكتبة الرضوية، طهران، ١٣٧٣ هـق.

٤٧. الرازي، فخر الدين محمّد بن عمر البكري، التفسير الكبير، منشورات محمّد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٠م.

٤٨. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد، معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، مطبعة اسماعيليان، قم المقدسة ، الطبعة الأولى، ١٣٩٢ هـ

٤٩. الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق، حروف المعاني، حققه وقدم له: علي توفيق الحمد، الآداب، جامعة اليرموك، إربد الأردن ١٩٨٦م.

٥٠. الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، ٢٠٠٥م.

٥١. الزركشي، بدر الدين، البرهان في علوم القرآن،بيروت،دار المعرفة،١٣١٠هـق.

٥٢. زكي الدين شعبان، أصول الفقه، مصر، مطبعة دار التأليف،الطبعة الثالثة ،١٩٦٥م .

٥٣. الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، أساس البلاغة، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ نشر.

٥٤. الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، الكشاف عن دقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبط وتصحيح مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، بيروت،الطبعة الثالثة،١٤٠٧ هـق.

٥٥. السبحاني، الشيخ جعفر، أصول الحديث واحكامه في علم الدراية،مؤسسة النشر الإسلامي،قم المقدسة، الطبعة الثالثة،١٤١٦هـق.

٥٦. السبزواري، عبد الأعلى، مهذب الأحكام،الطبعة الثالثة، قم المقدسة، ١٣٩٦هـش.

٥٧. السبزواري،عبد الأعلى، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، انتشارات دار التفسير،مطبعة شريعت، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٤٢٨ هـق.

٥٨. السنباطي، أحمد، منهج بن القيم في التفسير، القاهرة، المطبعة الأميرية، دون تاريخ نشر.

٥٩. السيالوني، عبد الحكيم، حاشية السيالوني مع شروح وحواشي الشمسية، للقطب والراوندي والدواني والتفتزاني، المطبعة الأميرية، بولاق، الطبعة الأولى، ١٩٠٥م.

٦٠. سيبويه، الكتاب، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دون تاريخ نشر.

٦١. السيوطي، جلال الدين، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٧٨م.

٦٢. السيوطي، جلال الدين، الاقتراح في علم أصول النحو، تحقيق، أحمد محمّد قاسم، مطبعة السعادة بالقاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٧٦م.

٦٣. السيوطي، جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق محمّد أحمد جاد المولى وعلي محمّد البجاوتي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي، دون تاريخ نشر.

٦٤. السيوطي، جلال الدين، همع الهوامع على شرح جمع الجوامع، تحقيق عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، دون تاريخ نشر.

٦٥. الشوكاني، محمّد بن علي، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، مكتبة الرشيد، المملكة العربية السعودية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م.

٦٦. الصّبان، محمّد بن علي، حاشية الصبّان على شرح الاشموني، دار إحياء الكتب العربية عيسى ألبابي الحلبي، دون تاريخ نشر.

٦٧. الصدر، محمد باقر، المدرسة القرآنية، تحقيق، لجنة التحقيق التابعة للمؤتمر العالمي للشهيد الصدر، المطبعة شريعت، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ

٦٨. الصدر، محمد باقر، دروس في علم الأُصول، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٧٨م.

٦٩. الصغير، محمد حسين علي، المبادئ العامة لتفسير القرآن الكريم، المؤسسة الجامعية للمدرسات، بيروت، ١٢٩٣هـق.

٧٠. الطباطبائي، محمد حسين،القرآن في الإسلام، تعريب أحمد الحسيني، بيروت،الطبعة الأولى،١٣٩٣هـ ـ ق .

٧١. الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن، صححه وأشرف على طباعته الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ ـ ق.

٧٢. الطبرسي، أبو منصور أحمد بن علي بن أبي طالب، الاحتجاج، تحقيق محمد باقر الخرسان، منشورات النعمان، النجف الأشرف، ١٩٦٥م.

٧٣. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القرآن، منشورات مغغؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.

٧٤. الطهراني، آقا بزرگ محمد محسن، الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٣هـق.

٧٥. الطوسي ، أبو جعفر محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القرآن،تحقيق وتصحيح أحمد حبيب قصير العاملي، النجف الأشرف، ١٣٦٤هـق.

٧٦. الطيّبي،الحسين بن عبد الله، الخلاصة في أصول الحديث،تحقيق صبحي السامرائي، بغداد،١٣٩١هـق.

٧٧. العاملي، زين الدين، الدراية في علم مصطلح الحديث، النجف الأشرف،مطبعة النعمان، دون تاريخ نشر.

٧٨. عائشة عبد الرحمن، من أسرار العربية في البيان القرآني، طبعت في دار الأحد (البحيري أخوان)، بيروت، ١٩٧٢م.

٧٩. عبدالرؤوف عبد الغفور، منهج السيد السبزواري في التفسير،النجف الأشرف، دون تاريخ نشر.

٨٠. العبيدي، رشيد عبد الرحمن، أبو عثمان المازني ومذاهبه في الصرف والنحو، مطبعة سلمان ألأعظمي ـ بغداد ١٩٦٩م.

٨١ عدنان زرزور، الحاكم الجشمي ومنهجه في التفسير، دون مكان وتاريخ نشر.

٨٢ عفاف حسانين، في أدلة النحو، مطبعة تشير الثقافية، الطبعة الأولى، ١٩٧٧م.

٨٣ العك، خالد عبد الرحمن، أصول التفسير وقواعده، دار النفائس، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٤هـق.

٨٤ العكبري، أبو البقاء، عبد الله بن الحسين، إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

٨٥ علي بن أبي طالب، ديوان الإمام علي، مؤسسة دار نداء الإسلام للنشر، قم المقدسة، الطبعة الثانية، ١٤١١ هـق.

٨٦ علي محمّد المهدي، لمحة موجزة من حياة السيد السبزواري، مؤسسة المنار، قم المقدسة، دون تاريخ نشر.

٨٧ العوادي، مشكور كاظم، البحث الدلالي في تفسير الميزان، دراسة في تحليل النص، مؤسسة البلاغ، دار سلوني، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣م.

٨٨ العياشي، محمد بن مسعود، تفسير العياشي، وقف على تصحيحه والتعليق عليه السيد هاشم الرسولي المحلاتي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٨٩ فاخوري، عادل، علم الدلالة عند العرب، دون مكان وتاريخ نشر.

٩٠. الفراء، أبو زكريا بن زياد، معاني القرآن، تحقيق محمّد علي النجار وأحمد يوسف نجاتي، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م.

٩١. فنسك وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية،نقلها إلى العربية(محمد ثابت الفندي وآخرون)،طهران، مادة تفسير، دون تاريخ نشر.

٩٢. الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط،دار إحياء التراث العربي،بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٩٣. قطب الدين الراوندي، محمد بن محمد، شرح الإشارات والتنبيهات للمحقق الطوسي، تحقيق كريم فيضي، مؤسسة مطبوعات ديني، قم المقدسة، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـش.

٩٤. القمي، عباس، مفاتيح الجنان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٨م.

٩٥. الكليني، محمد بن يعقوب، الكافي، مؤسسة دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٧٧ هـق.

٩٦. كمال الدين أبو البركات، عبد الرحمن بن محمّد، الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، تحقيق: محمّد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، ١٩٦١م.

٩٧. المتقي الهندي، علاء الدين علي، كنز العمال، تحقيق الشيخ بكري حياني والشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـق.

٩٨. المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، مؤسسة الوفاء، بيروت، الطبعة الثانية ،١٤٠٣هـق.

٩٩. محسن عبد الحميد، تطور تفسير القرآن،جامعة بغداد، بيت الحكمة، دون تاريخ نشر.

١٠٠. محمد بكر إسماعيل، الطبري ومنهجه في التفسير، دون مكان وتاريخ نشر.

١٠١. المخزومي، الدكتور مهدي، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو مطبعة المصطفى البابي الحلبي بمصر، الطبعة الثانية، ١٩٥٨م.

١٠٢. المرادي، الحسن بن قاسم، الجنى الداني في حروف المعاني، تحقيق: فخر الدين قباوة والأستاذ محمد نديم فاضل، طبع في مطابع المكتبة العربية بحلب الطبعة الأولى، ١٩٧٣م.

١٠٣. المصطفوي، حسن، التحقيق في كلمات القرآن الكريم، إيران، منشورات وزارة فرهنك وإرشاد إسلامي، الطبعة الأولى، ١٣٧١هـش.

١٠٤. المظفر، محمد رضا، أُصول الفقه، منشورات المعارف الإسلامية، طهران، ١٣٦٨هـش.

١٠٥. معرفة، محمّد هادي، التمهيد في علوم القرآن،مؤسسة التمهيد،مطبعة ستارة،الطبعة الأولى،قم المقدسة،٢٠٠٧م.

١٠٦. مغنية، محمّد جواد، فلسفة الأخلاق، بيروت ، دون تاريخ نشر.

١٠٧. النحاس، أبو جعفر، إعراب القرآن، تحقيق: زهير غازي، مطبعة العاني، ١٩٧٧م.

١٠٨. النسفي، عمر، التيسير في التفسير، تحقيق: جمال مصطفى النجّار، رسالة دكتوراه.

١٠٩. النعيمي، حسام سعيد، النواسخ في كتاب سيبويه، دار الرسالة للطباعة، بغداد، ١٩٧٧م.

١١٠. ورام، بن أبي فراس، مجموعة ورام، مكتبة الفقيه، قم، دون تاريخ نشر.

١١١. الهاشمي، محمود، مباحث الدليل اللفظي، مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي، مطبعة فروردين، الناشر دائرة معارف الفقه الإسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤١٧ هـ ـ ق.

فهرست الكتاب

الفصل الثاني

أسلوب السيد السبزواري وطريقته في تفسير مواهب الرحمن

الفصل الثالث

الخطوط التفصيلية للمنهج التفسيري عند السبزواري